الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية
قسم الكتاب والسنة

رقم التسجيل :...../ .....

الرقم التسلسلي :.....

بنت الشاطئ وجهودها في التفسير البياني

مذكرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

إعداد الطـــالب :

رحيم الأمين الإندونيسي

إشراف :

الأستاذ الدكتور رابح دوب

لجـــــنة المنـــــاقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
د. رمضان يخلف	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبدالقادر قسنطينة	رئيساً
أ. د. رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبدالقادر قسنطينة	مشرفاً ومقرّراً
د. صونية وافق	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبدالقادر قسنطينة	عضوا
د. ذهبية بورويس	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبدالقادر قسنطينة	عضوا

السنة الجامعية : 1426 - 1427هـ / 2005 - 2006 م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

أستمطر جزيل الشكر لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور رابح دوب، فهو صاحب الفضل الكبير – من بعد الله تعالى – في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود، بما قدّمه لي من توجيهات حكيمة ومساعدات قيّمة وتشجيعات ثيرة، منذ اختياري عنوان البحث حتى آخر كلمة فيه، فكان بحق خير معلّم ومربّ، فأسال المولى تعالى أن يتقبل منه ذلك ويجزيه بأفضل ما يكون به الأجر والجزاء، وأسعده في الدنيا والآخرة.

كما أخصّ بالشكر الجزيل كلاً من :

– الأساتذة الفضلاء بكلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة – على تفضلهم وإخلاصهم في إمدادي بعلمهم وخبراتهم

– القائمين والعاملين على تسيير مكتبة الجامعة

– كل من أسهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد . . .

– وكل أصدقائي الجزائريين والأندونسيين . . . .

فأقول : يا قديم الإحسان، زدني من إحسانك، وأحسن اللهم لمن أحسن إليّ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

أهدي هذا العمل :

- إلى والديّ الكريمين، بالحنان والجهد منهما سرتُ في طريق العلم والعمل، اللذين غرسا فيَّ المصابرة والمجاهدة، تغمدهما الله برحمته في الحياة وبعد الممات.
- إلى إخوتي وأخواتي...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة :

الحمـــد لله الذّي جمّل اللّسان بالبيان، وجمّل البيان بالقرآن، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للثّقلان وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدّين بإحسان.

أمّا بعد :

لقد نزل القرآن الكريم بأسلوب رائع خلاّب، اشتمل على خصائص عليا لم تجتمع في أي لغة بعينها على نحو ما وجدت فيه، وهذا بلا شك معجز، خصوصاً وأنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم تحدّى به أساطين الفصحاء، وأعيا البلغاء، وأخرص ألسنة فحول البيان من أهل صنعة اللّسان.

وقـــد أمعن علماء المسلمين عبر هذا التاريخ الطويل الاشتغال بهذا النص المعجز، مفيضين فيه النظر، تأملاً وتدقيقاً وتفصيلاً، كلٌّ على قدر طاقته، مجتهدين في الكشف عن أسرار بنائه اللّغوي، مع التّفاوت بينهم في عمق الثّقافة والتّوجه والمقدرة العقليّة على النّفوذ إلى أعمـــاق هذا النّص وسبر أغواره. غير أنّ التفسير في القرون الثلاثة الأولى غلبت عليه المعالجـــات النّحويّة و الصّرفيّة واللّغوية السّريعة، حيث أنّ المفسّر التزم فيه بحرفيّة النّص، فلـــم يـــتجاوزها إلاّ مـــا يسعف عليه ظاهره اللّغوي الصّريح، ولكنّ التحرّر أخذ طريقه تدريجياً بمرور الزّمن من هذا التّحفّظ لدى أصحاب الإتّجاه التأوُّلي كعبد القاهر الجرجاني في كتابيه « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة »، والزّمخشري في كشّافه، والفخر الرّازي في تفســـيره الكـــبير، وابن عربي في تفسيره. وقد مثّل كلّ واحد من هؤلاء الأربعة اتجاهاً معيّـــناً في التّفســـير؛ فالأوّل يمثّل الاتّجاه اللّغوي والبلاغي، والثّاني يمثّل المنهج الاعتزالي، والـــثّالث يمـــثّل النّزعة الكلامية في التّفسير، والرّابع يمثّل المنهج الصّوفي. وفي هذه المرحلة المـــتطوّرة تجاوز التّفسير تلك النّظرة التي صبغت القرون الأولى، وتحرّر أصحابه في التعبير عن آرائهم في القضايا التي تُعُرِّضَ أو يتعرّضون لها.

لكن سرعان ما تراجع التّفسير القرآني بعد هؤلاء الأربعة الممتقدمين إلى مرحلة من الـــرّكود والخمـــول لم يعرف فيها المفسّرون إلاّ التّرديد والتّكرار لما قاله السّابقون دونما إضافة تذكر، أو تقديم جديد في مضمار التّفسير أو البحث القرآني. وقد ظلّ هذا الوضع قائماً حتى بدايات النّهضة الفكريّة الحديثة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

ميلادي. ففي هذه المرحلة شهد التّفسير مرحلة متميّزة، حيث استطاع المفسّرون المحْدَثون استحداث قوالب جديدة للتّفسير وأولوا عناية كبيرة فيه بالجانب التّطبيقي، وكان من آثاره ظهور موضوعات وقضايا جديدة لم يعرفها التّفسير قبل العصر الحديث، وكان من آثار ذلك أيضاً، أن ظهرت مناهج جديدة واتّجاهات حديثة إلى جانب التفسير المعروف قديماً كالاتّجاه الاجتماعي والعلمي والأدبي والبياني.

وقد قصدّت في هذا البحث دراسة أحد هذه المناهج الحديثة ألا و هو: المنهج البياني، الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في الصورة البيانيّة من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل، وما يتفرّع عن ذلك من استعمال حقيقي أو استخدام مجازي أو استدلال لفظي أو استجلاء للصّورة أو تقويم للبنية أو تحقيق في العلاقات اللّفظية والمعنويّة، وذلك من خلال دراسة أبرز أعلام هذا المنهج؛ الدّكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ – رحمها الله – والوقوف على جهودها في التّفسير البياني، وذلك من خلال التعرّف على تراث المرأة في هذه الزاوية من زوايا عطائها المتعدّد الجوانب.

وإنّي أسأل الله العليّ القدير أن يوفّقني في بحثي هذا إلى إصابة أوفر حظ المجتهدين وأن يعصمني من الزّلل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به وأمّة القرآن قاطبة.

أسباب اختيار الموضوع :

سبقت الإشارة إلى أنّ بنت الشاطىء من أبرز أعلام المنهج البياني في التّفسير، وجهودها في ذلك ساطعة كالشمس لا يمكن لأحد إغفالها أو إقصاءها، وهي وجهودها محل دراستي هذه كما أسلفت، ويرجع اختياري لهذا الموضوع إلى الأسباب الآتية :

1. لقد كانت أكثر المواد إعجاباً بالنسبة لي في قسم الكتاب والسنّة : الدّراسة البيانيّة في القرآن الكريم. فقد كنت أهتمّ بها منذ أن كنت في كليّة أصول الدّين شعبة التّفسير بجامعة الأزهر الشريف؛ القاهرة سنة 1998م - 2002م، ثم ازداد هذا الإعجاب والاهتمام بعد أن قدّر الله لي شرف الانتساب إلى قسم الدّراسات العليا بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية شعبة الكتاب والسنة سنة 2003م، حيث كانت الدّراسة البيانيّة للقرآن الكريم ضمن المقاييس المقرّرة ، الأمر الّذي دفعني إلى مطالعة المصادر المتعلّقة بها، وإلى أن وقع

إعجابي البالغ بالأدبية والمفسّرة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء ومؤلّفاتها في الدّراسات القرآنية.

2. أنني كثيراً ما قرأت في بعض المقالات أنّ ما قدّمته بنت الشاطىء في مجال التّفسير والدّراسات القرآنية والإعجاز البياني للقرآن الكريم من أجْود و أحْسن ما كتب في العصر الحديث، ممّا دفعني إلى الكشف عن جهودها ومنهجها في ذلك حتى يتّضح لنا مدى إبداعها في هذا المجال.

3. قلة اهتمام الباحثين وخلو الساحة العلمية - في حدود اطلاعي - من دراسات أكاديمية حول شخصيتها وجهودها في التّفسير البياني ممّا شجّعني على بحث هذا الموضوع بحماسة و اهتمام.

أهمّيّة الموضوع :

إنّ القرآن الكريم بما فيه من الأسلوب الرائع الخلاب الّذي اشتمل على تلك الخصائص العليا معجز في ذاته، فالدّرسات البيانية للقرآن الكريم كثيراً ما تكشف عن وجوه الإعجاز البياني. ومن أبرز الّذين درسوا هذا الموضوع بنت الشاطىء في كتابيها : « التّفسير البياني للقرآن الكريم » و« الإعجاز البياني للقرآن الكريم »، فرأيت أنّه من الجدير أن نبحث جهودها وإضافاتها في التّفسير البياني، لأنّه من الأهمية بمكان ـ بنسبة لي على الأقل ـ إبراز الخصائص الّتي ميّزتْ منهجها لنستفيد ممّا قدّمته في مجال التفسير من الآراء البيانية.

إشكاليّة الموضوع :

لقد اتضح ممّا سبق الكلام عنه من أهمّية الموضوع، أنّنا بحاجة إلى بحث جهود بنت الشاطىء لنتعرّف على مدى أهمّية ما قدّمتْه في مجال التّفسير البياني، ومن هنا أثيرت التساؤلات الآتية : من هي بنت الشاطىء ؟ وما هي مكانتها العلمية في التّفسير والدّراسات القرآنية ؟ ما مفهوم المنهج البياني في التّفسير ؟ ما أثر أستاذها أمين الخولي في اتجاهها نحو المنهج في التّفسير ؟ وهل قلّدت منهج أستاذها الّذي تلقته عنه أم سلكت منهجاً غيره ؟ ما هي القواعد الّتي اعتمدت عليها في التّفسير البياني ؟ ما هو موقفها من بعض مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم كفواتح السّور وحروف الزّيادة والحذف والإلغاء

والتّناوب والتّعاقب والتّرادف ؟ ما هي إضافاتها في هذا المجال ؟ وما هـــي أهـــمّ المآخـــذ والانتقادات التي وجهت لكتاباتها في التفسير البياني ؟.

هذه التساؤلات وما شابهها هي ما حاولتُ الإجابة عنه من خلال معالجتي لمباحث مذكرتي هذه.

أهداف البحث :

لعل من أهمّ أهداف هذا البحث ما يأتي :

1. إبراز شخصية بنت الشاطئ، إذ رغم جهودها المبذولة والمكانة التي تبوّؤها في مجال التّفسير والدراسات القرآنية لم تحظ بدراسات ضافية لشخصيتها الفذّة.

2. دراسة المنهج البياني في التفسير وبيان معالمه التي تميزه عن بقية المناهج.

3. دراسة منهج عائشة بنت الشاطئ في التفسير البياني.

4. الاستفادة من الدراسات الرائدة في مجال التفسير البياني، والتي لا تتأتى الغرض منها إلا بالتعمّق فيها .

المنهج المتبع في الدّراسة :

إن طبيعة الموضوع والتساؤلات المطروحة تقتضي أن أسلك عدّة مناهج لتحقيق الهدف من هذه الدّراسة، منها المنهج التّاريخي و المنهج الاستقرائي التّحليلـــي؛ فالمنـــهج التّاريخي استخدمته عند دراستي لشخصية بنت الشاطئ وتطور المنهج البياني، أمّا المنـــهج الاستقرائي أملته ضرورة الوقوف على معظم الجزئيات التي تناولتها بنت الشاطئ أثنـــاء دراستها للجانب البياني للقرآن الكريم، ثمّ أعمد إلى تحليل هذه الجزئيات محاولاً ردّها إلى القواعد العامة التي اعتمدتها في تفسيرها، ومن ذلك الوقوف على الخصائص البارزة الّـــتي ميّزت منهجها في التفسير.

بالإضافة إلى أنّني سأعتمد في تحرير الموضوع على :

1. أهمّ المصادر والمراجع الّتي تناولت حياة بنت الشاطئ وسيرتها الذّاتية مثل كتابها « على الجسر » و « بنت الشاطئ من قريب » لحسن حبر ، والكتب الّتي أبرزت جهودها في التّفسير البياني مثل « التّفسير البياني للقرآن الكريم » و « الإعجاز البياني للقرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الكريم »، كذلك الّتي تناولت التّطور التّاريخي للتّفسير البياني للقرآن الكريم مثل « خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم » محمّد رجب البيومي.

2. تخريج جميع الآيات القرآنية الّتي وردت في المذكّرة مع ضبطها بالشكل ضبطاً كاملاً.

3. تخريج الآحاديث الموجودة تخريجاً مختصراً غير مخل.

4. ترجمة معظم الأعلام الّذين ورد ذكرهم في صلب الموضوع.

5. الرجوع إلى كتب المعاجم اللّغوية في بيان وإيضاح المعاني اللّغوية لبعض المصطلحات.

5. التّعليق على بعض المواطن من إيضاح مشكل، أو بيان مجمل، أو تفسير مبهم.

6. وأخيراً وضعت الفهارس اللازمة للمذكّرة.

الدّراسات السابقة :

في حدود اطلاعي، لم أقف على دراسة أكاديمية سابقة مستقلّة لهذا الموضوع بهذا الطرح الّذي اخترته، غير أنّ هناك بعض الدّراسات تتعلّق ببنت الشاطىء وجهودها في التّفسير البياني، منها :

1. كتاب « بنت الشاطئ من قريب » للدكتور " حسن عبد الحميد جبر المالكي "، استعرض فيه بصدق سيرتها وأصل فكرها وتأثّرها بأستاذها أمين الخولي. وقد استفدت منه كثيراً أثناء البحث عن كل جانب من جوانب شخصيّتها .

2. كتاب « خطوات التّفسير البياني للقرآن الكريم » للدكتور " محمد رجب البيومي "، الّذي قام بدراسة تاريخية لتطور التّفسير البياني للقرآن الكريم من عصر ما قبل التّدوين إلى العصر الحديث. وهو الّذي اعتمدت عليه أثناء الحديث حول التّفسير البياني عبر العصور وجهود العلماء خاصة المتقدّمين منهم.

3. كتاب « اتجاهات التّفسير في القرن الرابع عشر » للدكتور " فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي "، الذي قام بعرض بعض دراسات بنت الشاطئ في كتابها " التّفسير البياني للقرآن الكريم "، واستخرج القواعد الّتي اعتمدت عليها في تفسيرها، وذلك من خلال دراسته لمنهجها في التّفسير وعرض النّماذج التّطبيقية له. ومع أنّه لم يقم بدراسة شاملة لجهود بنت الشاطئ في التّفسير البياني إلا أنّني استفدت منه كثيراً، خاصة أثناء الحديث عن قواعد بنت الشاطئ في التّفسير.

هذه هي الدّراسات السابقة الّتي تناولت هذا الموضوع – حسب اطلاعي –، إضافة إلى بعض المقالات المنشورة في مواقع الإنترنت تتعذّر الإشارة إليها في هذا المقام.

صعوبات البحث :

لقد واجهتني عدة صعوبات أثناء جمعي لمادة هذا البحث ، حالت دون إخراجه على الشكل المرجو له، أهمها :

1. قلّة المصادر والمراجع الّتي تناولت هذا الموضوع.
2. قلّة الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع بالبحث.
3. العجمة الّتي حالت دون الاستفادة من الدراسات البلاغية والبيانية الّتي تتّسِمُ بالعمق وجودة التأليف.
4. الضُّعف في منهجية البحث، بسبب عدم الدّراسة المسبقة لها والمُدّة المحدودة الّتي تناولتُها فيها أثناء الدراسة النظرية.
5. المدّة الزّمنية القصيرة الّتي حالت دون الإلمام بجميع حيثيّات الموضوع.

خطّة البحث :

إرتأيت أن تكون خطّتي في هذا العمل مقسمة إلى ثلاثة فصول، إضافة إلى مقدّمة وخاتمة :

ففي **الفصل الأوّل** : تكلّمت فيه عن **شخصيّة بنت الشاطئ**، وقسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تناولت فيه **حياة بنت الشاطئ**، وقسمته إلى ستّة مطالب حيث تكلّمت فيها عن تعريفها، ونشأتها، ومسارها التعليمي، وتعليمها الجامعي، ولقائها بالأستاذ أمين الخولي، وحياتها العملية، ووفاتها.

المبحث الثاني : تحدّثت عن إنتاجها العلمي والعملي، وقسمته إلى أربعة مطالب. ففي المطلب الأول تكلّمت عن اشتغالها بالأدب ثم عن منهجها في التحقيق، وتحدثت أيضاً عن عودتها إلى الدراسات القرآنية والحديثية بعد اشتغالها بالأدب. أما المطلب الثاني، تحدثت فيه عن مؤلّفاتها في شتّى المجالات، وفي المطلب الثالث أشرت إلى الملتقيات والنّدوات الّتي

حضرها في حياتها، وختمْتُ المبحث بالمطلب الرابع حيث ذكرت فيه الجوائز والأوسمة التي حصلت عليها بنت الشاطئ في حياتها.

المبحث الثالث : تعرّضتُ فيه إلى المعارك الفكرية التي خاضتها **بنت الشاطئ في حياتها، و** أبرزت فيه مواقفها وآراءها، منها معركتها الساخنة مع الأستاذ **عباس العقاد حول قضيّة** المرأة ، وكذلك تناولت فيه علاقتها بالأزهر الشريف وإسهامها في تطويره.

الفصل الثاني : خصّصته لدراسة **التفسير البياني للقرآن الكريم، وقسمته إلى مبحثين :**

المبحث الأول : تكلّمت فيه عن مفهوم المنهج البياني في التفسير، ونشأته ومراحله، وعرضت في نهاية البحث بعض النماذج التطبيقية لجهود العلماء المتقدمين في هذا المجال، **وأفردت** بالدراسة الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، والزمخشري إذ هؤلاء من الرواد المبرّزين في التفسير البياني في العصر القديم.

- **المبحث الثاني** : تحدّثت فيه عن تطور المنهج البياني في التفسير في العصر الحديث وجهود العلماء فيه. وتناولت الحديث في المطلب الأوّل حول الإمام محمّد عبده ودوره في تطوير المنهج البياني في التّفسير في العصر الحديث، حيث قمت بتعريفه ، ثم ذكر قواعده في التفسير وعرض بعض جهوده التطبيقية فيه، أمّا المطلب الثاني، فقد تحدّثت فيه عن الأستاذ أمين الخولي ودوره في تأصيل المنهج البياني في التّفسير في العصر الحديث، حيث قمت بتعريفه ، ثم عرض نظرته في التّفسير وذكر مراحل التفسير البياني عنده. أمّا في المطلب الثالث، تكلمت عن الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي ودوره في الدّراسات البيانية للتفسير، حيث قمت بذكر نبذة عن حياة الأستاذ، ثم الحديث عن جهوده في التفسير البياني و تطبيقه له في مؤلفاته.

الفصل الثالث : قد خصّصته لدراسة **جهود بنت الشاطئ في التفسير البياني و قسمته إلى** ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تناولت فيه **جهودها في كتابها « التفسير البياني للقرآن الكريم ».** وقد قسمت الحديث فيه إلى أربع مطالب، حيث تحدثت في المطلب الأول عن تاريخ الكتاب، ثم في المطلب الثاني تعرضت إلى الحديث عن منهجها في تفسيرها البياني للقرآن الكريم، وأما المطلب الثالث، فقد قمت فيه بعرض القواعد الّتي اعتمدتْ عليها بنت الشاطئ في

التفسير البياني مع ذكر الأمثلة لكل منها. أما المطلب الرابع، فقد تعرضت فيه إلى الحديث عن بعض آراء بنت الشاطئ البيانية في تفسيرها.

المبحث الثاني : تكلّمت فيه حول **جهودها في كتابها « الإعجاز البياني للقرآن الكريم »**. وقد قسمت الحديث فيه إلى ثلاثة مطالب، حيث أشرت في المطلب الأوّل إلى تاريخ الكتاب، ثم في المطلب الثاني تعرّضت إلى الحديث عن منهجها في تفسيرها البياني للقرآن الكريم، أما المطلب الثالث، فقد قمت فيه بعرض بعض ظواهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم ورأي بنت الشاطئ فيها.

المبحث الثالث : تحدّثت فيه حول **المؤاخذات على جهود بنت الشاطئ في التفسير البياني**.

وبهذا أكملتُ البحث في ثلاثة فصول، ثم ختمت المذكرة بخاتمة تجمع أهمّ النتائج الّتي توصلت إليها، ووضعت الفهارس الفنية اللازمة للمذكرة، ابتداءً بفهرس الآيات القرآنية، ثم فهرس الأحاديث النبوية، يليهما فهرس الأعلام ، ثم فهرس المدن والأماكن، ثم فهرس المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

فهذا هو جهد المقل، و لم أظفر إلاّ بهذه الورقات أقدمها على استحياء، فإن كان فيه صواب فهو من توفيق الله جلّ شأنه وله الحمد والشكر، وإن كان غير ذلك – سامحني الله – فهو منّي وتقصيري وأستغفر الله من ذلك، وحسبي أنّي بذلت قصارى جهدي وعملت ما في وسعي، رغم صعوبة الموضوع، في ظلّ حرارة الشوق إلى الأهل والوطن، فقد صدق القائل :

إنّ الغَرِيْبَ لَهُ مَخَافَةُ سَارِقٍ ❁ وَخُضُوْعُ مَدْيُوْنٍ وَذِلّةُ مُوْثَقِ
فَإِذَا تَذَكّرَ أَهْلَهُ وَ بِلاَدَهُ ❁ فَفُؤَادُهُ كَجَنَاحِ طَيْرٍ خَافِقِ

وأسأل الله العلي العظيم، أنّ يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأنّ يوفّقنا لخدمة دينه القويم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. وصلّ اللهم وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قسنطينة،
في : 02 مايو 2006

رحيم الأمين الإندونيسي

الفصل الأول

شخصية بنت الشاطئ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : شخصية بنت الشاطئ

المبحث الأول : حياتها

المطلب الأول : إسمها، مولدها، ونسبها

إسمها :

هي عائشة محمّد علي عبد الرحمن المكنّاة ببنت الشاطئ[1]، الكاتبة المصرية والباحثة والأستاذة الجامعيّة في الأدب العربي والدّراسات القرآنية. سمّاها أبوها عائشة تفاؤلاً باسم أم المؤمنين رضي الله عنها، وكنّاها أمّ الخير[2].

مولدها :

ولدت في مدينة دمياط بشمال دلتا مصر في 6 من ذي الحجة 1331هـ الموافق للسادس من نوفمبر 1913م في بيت جدّها لأمها الشيخ إبراهيم الدّمهوجي[3].

نسبها :

كانت بنت الشاطئ وسطية النسب، أبوها الشيخ عبد الرّحمن من علماء الأزهر الشّريف يمتد نسبه من ناحية أبيه إلى الحسين بن علي حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي معدودة من الأشراف، أمّا أمّها فيمتدّ نسبها من ناحية الأب إلى إحدى الأسر العريقة في دمياط (عائلة المنتصر)، ومن ناحية الأمّ إلى الشيخ الدّمهوجي شيخ الجامع الأزهر من بني الحسن. فهي كما كان أبوها شديد الاعتزاز بنسبه الشّريف فلا ريب أن ترث عنه هذا الاعتزاز، فالأشراف معتزّون بنسبهم على مرّ العصور، أمّا اعتزازها بنسبها إلى الشيخ الدّمهوجي فكان لمكانته الدّينية في بيئة يغلب عليها الطابع الدّيني[4].

---

[1]- اشتهرت بهذا الاسم منذ أن بدأت الكتابة – وهي في سن الثامنة عشر من عمرها – في مجلة النهضة النسائية. هو اسم مستعار مستمد من ذكريلها ولهوها على شاطئ النيل. وقد فضّلت أن تستتر وراءه نظرا لشدة محافظة عائلتها آنذاك. [انظر : حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب. (ط1؛ دار الكتب الحديث، 2001) ص 15].

[2]- بنت الشاطئ ، على الجسر بين الحياة والموت (د.ط ؛ مكتبة الأسرة : القاهرة، 2003م) ص 28 .

[3]- حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 15

[4]- المرجع نفسه، ص 20 - 21.

المطلب الثاني : نشأتها :

ولدت بنت الشاطئ وترعرعت في بيت جدّها لأمّها الشيخ إبراهيم الدّمهوجي المطل على نهر النيل وعلى الطريق الشمالي لمدينة دمياط العريقة[1]، فتفتحت عينا الفتاة الصغيرة على نهر النيل، وارتبطت بالنهر وحكاياته التي كانت تقصّها أمّها لها عنه.

كان والدها عالماً من علماء الأزهر، وقد تربّت على يديه تربيةً إسلاميّة صحيحة، فوهب ابنتَه منذ مهدها للعلم، ونهلت من جلسات الفقه والأدب التي كان أقامها والدها، كما حفظت القرآن الكريم بالكتاتيب التي كانت منتشرة في القرى آنذاك.

تقول بنت الشاطئ في سيرتها الذاتيّة : « ولست أدرى ما إذا كان والدي قد بدأ يُعِدُّني لما وهبني له في تلك المرحلة الأولى التي يفوتني وعيها، اللّهم إلاّ بعض ذكرى تائهة مبهمة لأوقات كان والدي ينتزعني فيها من ملعب حداثتي، ويلزمني من قبل أن تُفَكّ عينّ تمائم الصبا، صحبته في مجلسه في البيت، أو في مكتبه بجامع البحر، وكان يسميه الخلوة. ولعلّي التقطت في تلك المرحلة المنسيّة بعض الآيات والسور القصار من طول ما سمعته يتلو القرآن الكريم. والتقطت معها كلمات ممّا كان يتذاكره مع زملائه وتلاميذه من علوم الإسلام.. ولعلّي كذلك تلقيت مبادئ القراءة والكتابة في ذلك العهد الذي يسبق وعيي..»[2].

المطلب الثالث : مسارها التعليمي :

لم يكن تعليم الفتاة متاحاً في ذلك الوقت، وقليلات هنّ الفتيات اللّواتي استطعن اللّحاق بركب التعليم، وكانت بنت الشاطئ واحدة من المحظوظات، إذ نهلت من مختلف العلوم منذ مهدها، وهذا لا شك كان بسبب نشأتها في بيئة العلم والعلماء.

بدأت بنت الشاطئ دراستها الجادّة المنظّمة في صيف عام 1918م وهي نحو الخامسة من عمرها[3]، وذلك حين انتهى العام الدراسي و شدّت الأسرة رحالها و غادرت مدينة دمياط

---

[1]- وقد وصفت بنت الشاطئ هذا البيت في كتابها ((على الجسر)) مطولاً [انظر : بنت الشاطئ، على الجسر بين الحياة والموت، ص 20 – 21.

[2]- بنت الشاطئ، على الجسر، ص 28.

[3]- المصدر نفسه، ص 28.

لقضاء العطلة الصيفية في قرية الأب « شبرا بخوم، منوفية » عند جدّها الشيخ علي عبد الرّحمن. في هذا الصيف أدخلها أبوها كتاب الشيخ مرسي لتحفيظ القرآن الكريم[1].

تذكر بنت الشاطئ تجربتها في أوّل يوم عند الكتاب فتقول : « وأذكر أنّ سيّدنا ترفق بي في اليوم الأوّل، فلم يرهقني بتلاوة أو كتابة، وإنّما اكتفى بأن أجلسني إلى جانبه على حصير خشن، حيث أمضيت الساعات الست أحدّق في زملائي الصغار وهم يتتابعون على سيّدنا واحد بعد الآخر، فيتلو كلّ منهم اللّوح الذّي حفظه و يكتب اللّوح الجديد. فإذا تعثّر فيما يتلو أو أخطأ فيما يكتب، زجره الشيخ مرّة و مرّتين، فإذا كانت الثّالثة، أمر غلاما فأمسك ساقي الصبي المخطئ و أهوى سيدنا على قدميه ضربا بعصا مفلوقة من طرفها »[2].

وبذلك بدأت بنت الشاطئ مرحلتها التعليميّة بالتّعليم الدّيني. فلمّا عادت إلى دمياط بعد انقضاء العطلة، صارت تصحب أباها إلى المعهد الدّيني، فتكون بجانبه وتتلقى ما تيسر لها من العلوم الدّينية، وظلّت لمدّة ثلاث سنوات تتلقّى العلم الدّيني تحت رعاية أبيها وعلى يد شيوخ المعهد. وفي الصيف عندما تنتقل الأسرة إلى شبرا بخوم، تذهب إلى كتاب الشيخ مرسي حتى حفظت أكثر القرآن الكريم، فوعت من علوم العربية والإسلام الكثير بالنّسبة لمن هم في مثل سنها ممّا لفت أنظار شيوخ المعهد الدّيني وأثار إعجابهم وانطقت ألسنتهم بالثناء.

وعندما دخلت المرحلة التعليميّة الابتدائيّة، التحقت بمدرسة " اللّوزي الأميرية " للبنات، وذلك بعد أن تلقت الرّفض الجازم من والدها حيث قال : « ليس لبنات مشايخ العلماء أن يخرجن إلى المدارس الفاسدة المفسدة، وإنّما يتعلّمن في بيوتهنّ »[3]. وهذا الرّفض كان نتيجة عوامل متعدّدة حيث كانت المدرسة الأميريّة صورة من صور التعليم المدني الذي ثار حوله جدل طويل في المجتمع المصري في بداية أمرها، وأُكره بعض التلاميذ على الإنضمام إليها، وموقف الأزهر من البداية كان متحفّظاً من التعليم المدني، حيث يرى فيه خطراً على الثقافة العربيّة الإسلاميّة، ومن ثم كان جُلُّ شيوخ الأزهر يرفضون التحاق أولادهم بهذه المدارس

[1] - حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 23.

[2] - بنت الشاطئ، على الجسر، ص 31.

[3] - المصدر نفسه، ص 38.

وبخاصة مدارس البنات[1]، إلاّ أنّ جدّها لأمّها وقف بجانبها و أصرّ على دخولها المدرسة، وما زال الجدّ يحاول حتىّ أخذ موافقة أبيها المشروطة قرب انتهاء العام الدّراسي[2].

وظلّت بنت الشاطئ تذكر ذلك اليوم المشهود في حياتها فتقول : « وأصبح جدّي فسعى سعيه حتى ألحقني بالمدرسة بعد مشقة بالغة، إذ كانت السنة المدرسية على وشك الانتهاء. وقدّم الأوراق المطلوبة بوصفه نائبا عن ولي أمري! وكان من المفروض أن التحق بالسّنة الأولى. ومازلت حتى هذه اللّحظة أذكر أنّ يومي السعيد الأوّل بالمدرسة كان يوم خميس على وجه التّحديد، وأذكر الحجرة الدّراسية التي دخلتها في الجناح الشرقي للمبنى الفخم »[3].

بنت الشاطئ طفلة ذكيّة، فعلى الرّغم من أنّه لم يمض من وقت دخولها المدرسة سوى فترة وجيزة، فإنّها عند إجراء امتحان الإنتقال من السنة الأولى إلى السنة الثانية أدّته في أقل من ثلث الوقت المحدّد له، ممّا أدّى إلى اندهاش معلمة الفصل.

تقول بنت الشاطئ : « وأدّيت الامتحان في أقل من ثلث الوقت المحدّد له، فما كادت معلمة الفصل (أبله عزيزة الدمياطي) تلقي نظرة على إجابتي حتىّ هتفت دون أن تكتم دهشتها : عجيبة! هذه إجابة غير منتظرة من أي تلميذة.. وكتمت ضحكة كادت تفلت منيّ، فما كانت الأسئلة بالنسبة إليّ سوى لعب عيال! وإن عجبت فعجبي للمعلّمة التي تتصور أنيّ مبتدئة في العلم، فتستغرب مثل هذه الإجابة منيّ »[4].

أنهت بنت الشاطئ دراستها في المرحلة الابتدائية، فأرادت أن تلتحق بالمدرسة الرّاقية – مدة التحصيل فيها ثلاث سنوات –، ولكن أتى رفض والدها مرّة أخرى، إلاّ أن الجدّ حافظ على موقفه بجانبها، يحاول إقناع الأب بالموافقة على استمرارها في التعليم، فنجح في

---

[1]- حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 26 – 27.

[2]- المرجع نفسه، ص 28.

[3]- بنت الشاطئ، على الجسر، ص 39 – 40.

[4]- المصدر نفسه، ص 40.

إرسالها إلى المدرسة الراقيّة بعد تعرّضه لحادثة كُسرت فيها ساقه فأقعدته، فرقّ الوالد لحال الجد وسكت على مضض حين أرسلها إلى المدرسة[1].

ثم أهّلت بنت الشاطئ دراستها في المدرسة الراقيّة. ودون علم من والدها حيث كان خارجاً في سفر، التحقت بمدرسة المعلمات بالمنصورة، ولكن سرعان ما اكتشف والدها ما حدث، فسافر إلى المنصورة وقام بسحب أوراقها وأضاع عليها فرصة القبول في المنصورة[2].

وفي الأخير، بعد أن نجحت أمّها في إقناع أبيها بالموافقة بمساعدة من شيخه، حاولت بنت الشاطئ الرّجوع إلى المنصورة، إلاّ أنّها فوجئت بأنّ المدرسة قد استكملت العدد المقرر قبوله من الطالبات، فلم يعد لها فيها مكان، أشارت عليها ناظرة المدرسة بتقديم طلب إلتحاق إلى مدرسة جديدة للمعلمات في مدينة حلوان، لأنّ الدّراسة فيها لم تكن بدأت بعد، وزودتها بشهادة رسمية من المدرسة بأنها نجحت بتفوق في امتحان القبول للسنة الثانية بها[3].

ذهبت بنت الشاطئ بصحبة أمّها وخالها إلى مدينة حلوان لتلتحق بمدرسة جديدة للمعلمات هناك، ولكنها فوجئت مرّة أخرى بأنّ المدرسة لن تبدأ الدّراسة في ذلك العام إلاّ بفصول الفرقة الأولى، وهي قد نجحت في امتحان القبول لدخول السنة الثانية من قبل، فلم تجد بنت الشاطئ سوى التنازل عن حقها في الفصل الثاني ورضيت بأن تلتحق بالصّف الأوّل[4].

ولكن هذا لم يستمر سوى شهرين؛ فقد أنبأها ناظرة المدرسة بأنّ وزارة المعارف رفضت رسمياً اعتماد قبولها طالبة بالمدرسة، حيث لا تجيز اللّوائح أن تقبل إلا في السنة الثانية التي نجحت في امتحانها[5].

حاولت بنت الشاطئ الالتحاق بمدرسة أخرى، فبعد أن عانت الكثير من الأسفار والانتظار و القلق، جاء رد مدرسة معلمات طنطا بقبول التحاقها بالسنة الثانية فيها. بذلت بنت الشاطئ كل مجهودها في الدّراسة، وفي السنة النهائيّة أدّت امتحان شهادة الكفاءة

---

[1] - حسن حمر، بنت الشاطئ من قريب، ص 29 – 30.

[2] - المرجع نفسه، ص 30.

[3] - بنت الشاطئ، على الجسر، ص 51.

[4] - المصدر نفسه، ص 53.

[5] - المصدر نفسه، ص 56.

للمعلمات أمام لجنة مدرسة طنطا فنجحت بتفوق كبير، حيث كانت أولى الناجحات في مصر[1]، وحصلت على شهادة الكفاءة للمعلّمات، وذلك في عام 1929م.

لم تكتف بنت الشاطئ بحصولها على شهادة المعلمات، بل حاولت بعد ذلك تقديم طلب أداء امتحان الحصول على إجازة القسم الإضافي، إلاّ أنّها فوجئت بردّ طلبها من إدارة المدرسة، لأنّها لم تكن من المقيّدات في المدرسة، وإنّما تتقدّم إلى الإمتحان من المنزل. ولكنّها لم تيئس، فذهبت إلى القاهرة مع عمّها (الأستاذ الشيخ موسى قمر) لتلتقي مع مراقب تعليم البنات، تطلب منه الإذن لدخول الامتحان بصفة إستثنائية، غير أنّ المراقب اقترح حلاً بديلاً، وهو أن تعدل عن التمسك بدخول امتحان القسم الإضافي إلى امتحان الشهادة الابتدائية[2].

لم يكن لديها سوى هذا الخيار، فقبلت ودخلت امتحان الدّور الأوّل للشهادة وأدّتها بنجاح، فحصلت على الشهادة الابتدائية وكان ذلك سنة م1931م.

وبعد عام واحد من حصولها على الشهادة الابتدائيّة، تقدمت بنت الشاطئ – من المنزل– إلى امتحان الشهادة الثانوية « قسم أوّل » بعد أن استوعبت كل المواد المقرّرة على سنواتها الثلاث[3]، فنجحت بعد أن بذلت مجهوداً كبيراً عند الاستعداد له ودخولها امتحان الدّور الثاني لمادّة الطّبيعة، وحصلت على الشهادة الثانوية « قسم أوّل » في عام 1932م[4].

ثم تابعت تحصيل المواد المقرّرة على طلاب البكالوريا، وتقدّمت لامتحانها من المنزل حتّى حصلت على شهادة « البكالوريا أدبي » سنة 1934م مع قلّة من الناجحين من منازلهم..[5]

المطلب الرابع : تعليمها الجامعي :

لم تكتشف بنت الشاطئ الجامعةَ دفعةً واحدةً، بل في البداية درست في قسم اللّغة العربيّة بعض موضوعات التراث، ثمّ في ظروف بالغة الصّعوبة و الحرج والجو النفسي المشحون

---

[1] – حسن حبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 30 – 31.

[2] – بنت الشاطئ، على الجسر، ص 67 – 68.

[3] – المصدر نفسه، ص 74.

[4] – المصدر نفسه، ص 78.

[5] – المصدر نفسه، ص 85.

بالقلق والخوف - بسبب رفض والدها الشديد - التحقت بقسم اللّغة العربيّة بكليّة الآداب بجامعة القاهرة، وكان ذلك في عام 1935م.

تقول بنت الشاطئ عن شعورها في تلك الفترة : « في ذلك الجو النفسي المشحون بهواجس القلق والخوف، المثقل بعقدة الإحساس بالذنب، تابعت خطواتي إلى الجامعة، وأنا أحاول أن أستجلي كنه تلك القوّة الخفيّة التي تسيِّرُني وتُوَجِّهُني، فلا أجد لها تفسيرا إلاّ أنّها إرادة الله الغالبة ومشيئته النافذة. وطال بي الوقوف على باب الجامعة، دون أن يتخلى عني إيماني - بأن الله غالب على أمره، قد جعل لكل شيء قدرا - »[1].

وفي عامها الأوّل في الجامعة، لم يكن قبول الجديد سهلاً بالنسبة لبنت الشاطئ، إذ كانت تتعامل حتى لحظة دخولها الجامعة بمنطق بيئتها المتصوفة، وتتلقّى العلم بعقليّتها، وتمارس الحياة بذوقها ومزاجها، وتفسّر الوجود بمنهجها الإشراقي... ولمّا وصلت إلى الجامعة تطلّعت إلى الجديد ممّا يدرس فيها، وهي حذرة من أن تشدّها بعيدا عن منطقة الجاذبيّة للقديم الذي جاءت به[2].

وبعد مضي عام واحد من التحاقها بالجامعة، لم تحس بأنّها قدّمت لها شيئا جديدا لم تكن قد تعلمته في مدارسها الأولى، بل أحسّت بعزلة نفسيّة وفكريّة عنها، وأنّها قد عجزت عن شدها إليها، و هي تتساءل عن سبب هذا الشعور! هل كانت الجامعة مسؤولة وحدها عن تلك العزلة؟ أم أنّها هي التي أتت محصّنة من بيئتها الأولى بمناعة تجعلها تقيم حواجز عازلة بينها و بين بيئة الجامعة، لكي تصونها من المسخ والتشويه[3]؟

وممّا زاد في صدمتها ما رأته من فوضويّة النّظام في الجامعة وقتئذ، فقد حُرِم كثير من زملائها من المشاركة في الامتحان لأنّهم لم يستطيعوا استيفاء دفع الرّسوم والمصروفات بعد أن كانت اللاّئحة تنصّ على نسبة الحضور والغياب[4]، كما حدث و أن اغتصب البرلمان قرار

---

[1] - بنت الشاطئ، على الجسر، ص 94 - 95.

[2] - المصدر نفسه، ص 102.

[3] - المصدر نفسه، ص 103.

[4] - المصدر نفسه، ص 105.

الجامعة، فقرّر نجاح الطلاّب (الذين هم من أنصار ودعاة حزب الوفد الحاكم) بعد أن حكمت الجامعة برسوبهم، ممّا جعل فكرة الانسحاب تسيطر على فكرها[1].

ولكن شوقها إلى اكتشاف ما لدى أحد أساتذتها وهو ((الأستاذ أمين الخولي))[2] من علم، يتحدّاها طلاّب قسم اللّغة العربيّة أن تستغني عن كلمة واحدة منه.. بالإضافة إلى نصائح شيخها (الشيخ دسوقي جوهري) بالاستمرار في جولاتها المتبقّية، لكي تشرب من منبع علوم الأستاذ " الخولي " ومتابعة منهجه في تجديد الفكر الدّيني، وتحرير العقل الاسلامي من أغلال الجمود والتقليد التي تخنق حيويّته وتعطّل انطلاقه مع الزّمن[3]؛ كلّ هذا فتح أبصارها، فتوجّهت إلى الجامعة مجددًا مشحونة بالكبرياء و التحدّي وقطعت عهداً على نفسها ألاّ تدع هذه الجامعة تستدرجها لتسلبها كبرها القديم وهي غافلة.

لقاء أمين الخولي وأساتذة الجيل :

التقت بنت الشاطئ في الجامعة بأساتذة الجيل الذين كان لهم أبلغ الأثر في حياتها، منهم أمين الخولي، مصطفى عبد الرازق[4]، لطفي سعيد، وطه حسين[5]، ولكن أمين الخولي كان أوّلهم وأكثرهم تأثيراً فيها واتصالاً بها[6].

---

[1]- بنت الشاطئ، على الجسر، ص 113.

[2]- انظر ترجمته في الصفحة : 62 – 63.

[3]- بنت الشاطئ، على الجسر، ص 115.

[4]- هو : مصطفى بن حسن بن أحمد عبد الرازق، باحث في الشريعة والأدب. ولد في أبي جرج من قرى المنيا بمصر، سنة 1885م، وتخرج بالأزهر، وتتلمذ للشيخ محمد عبده، وأكمل دراسته في باريس وليون، وعاد إلى القاهرة سنة 1916م. عيّن شيخاً للأزهر سنة 1945م، كان هادء الطبع وقوراً متواضعاً، توفي بالقاهرة سنة 1946م. من كتبه ((تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية)) و ((فيلسوف العرب والمعلم الثاني)). [انظر : الأعلام للزركلي 7 / 231].

[5]- هو : طه بن حسين بن علي بن سلامة، الدكتور في الأدب، من كبار المحاضرين، حدّد مناهج. ولد في قرية الكيلو من محافظة المنيا سنة 1889م، وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره فكف بصره. بدء حياته في الأزهر سنة 1902م – 1908م ثم بالجامعة المصرية القديمة، وهو أول من نال شهادة الدكتوراة منها سنة 1914م بكتابه ((ذكرى أبي العلاء)). سافر في بعثة إلى باريس، فتخرج بسربون سنة 1917م وعاد إلى مصر فعين بكلية الآدب بجامعة القاهرة ثم عميدا لها، فوزيراً للمعارف، وأقبل الناس على كتبه منها ((في الأدب الجاهلي)) و ((حديث الأربعاء)) و ((على هامش السيرة)) وغيرها كثير. توفي بالقاهرة سنة 1935م [انظر : الأعلام للزركلي 3 / 231].

[6]- حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 46.

تقول بنت الشاطئ عن لقائها الأوّل بالخولي : « أخذت مكاني في قاعة الدّرس بالجامعة متحفّزة...ودخل الأستاذ الخولي...واقترح لكي نتعارف أن يعرض علينا مباحث المادّة المقرّر درسها من علوم القرآن، ولكل طالب أن يختار مبحثا منها، يعدّه ويعرضه للمناقشة في الوقت الذّي يحدّده. وبادرت وأعلنت اختياري للبحث الأول، في « نزول القرآن »..وعاد الأستاذ يسأل كل طالب منّا، عن الوقت الذي يحتاج إليه في إعداد بحثه فأجبت في عناد و شموخ :

- يكفيني يوم أو بعض يوم !

قال في نبرة إشفاق و تحذير :

- كذا !؟ فكّري مليّا، فربّما بدا لك أنّك في حاجة إلى مزيد من الوقت.

وأبيت أن أتراجع :

ولماذا أتراجع، ومبلغ علمي أن المادّة مبذولة جاهزة، ومصادرها الأصليّة في متناول يدي، فلن يحتاج الأمر معي إلى أكثر من بضع ساعات للمراجعة وبضع ساعات أخرى للتّنسيق والكتابة.

و لم يفتني أن الأستاذ يراني تورطت في هذا التعجّل، فكأنّي خشيت أن يأخذ عنيّ فكرة خاطئة، فقلت أسأله، مدلة بما أملك من ذخائر علمية :

- هل يكفي أن أراجع في موضوعي كتاب « البرهان » للبدر الزّركشي، وكتاب « الإتقان، واللّباب » للجلال السيوطي، مع الاستئناس بالسيرة الهاشمية، وطبقات ابن سعد، وتفسير ابن جرير الطبري ؟

أجاب:

- كتاب واحد منها يكفي الآن، لو عرفت حقا كيف تقرئين !...

- وكبحت غضبي، وقلت :

- ما ذكرت هذه الكتب إلاّ لأنّي قرأتها واستوعبت ما فيها، وإنّما كان سؤالي عن مصادر أجنبية ظننت أن الأستاذ قد يضيفها إلى مراجعي !

فما زاد على أن قال :

- لو أدركتِ الفرق بين المصادر والمراجع لما تورّطتِ في مثل هذا السؤال المنكر !
وتحيّرت لا أملك سؤالا ولا ردا، فما كنت حتى تلك اللّحظة قد فكرت في التمييز بين المصدر والمرجع...
وتابعت الإصغاء إلى الأستاذ، وهو يلقي علينا مبادئ منهجيّة، حريصة ألاّ تفوتني كلمة واحدة مما يقول »[1].

منذ ذلك اللّقاء ارتبطت بنت الشاطئ بالأستاذ أمين الخولي نفسياً وعقلياً، وتابعت محاضراته ولقاءاته، وكان له منهج فريد شرحه في كتابه « مناهج التجديد ». وأخذت تتابع منهجه خطوة خطوة، حتى أصبحت خير من طبق هذا المنهج، ثم تزوّجت به وأصبح أباً لأولادها ممّا أسهم بعد ذلك في أن يلعب الرجل دورا بارزا في حياتها وتقدمها في المسار العلمي.

إنجازات أكاديمية :

لم تشغلها حياتها الزوجيّة و إنجابها لثلاثة أبناء عن مواصلة مسيرة التعليم، - حيث نالت درجة الليسانس سنة 1939م[2] -. بل استمرت في دراستها، إلاّ أنها أصبحت تميل إلى الدراسة الأدبية بتوجيه من أستاذها الزوج، وهو أن تبدأ بالأدب وهضم اللغة التي نزل بها القرآن إذا أرادت أن تشتغل بتفسيره، فاستجابت للنصيحة المنهجية، وبدأت بالدراسات الأدبية واختارت شخصية " أبي العلاء المعري "[3] وتأملاته في الحياة الإنسانية، لتكون موضوعها للحصول على درجة الماجستير، حيث تقوم دراستها على معالجة منهج أبي العلاء في التفكير، وموقفه بين الشعر والفلسفة، وما واجهه في حياته من متاعب، ونضاله في مواجهة سوء الحياة

---

[1]- بنت الشاطئ، على الجسر، ص 133 – 135.

[2]- حسن حمر، بنت الشاطئ من قريب، ص 65.

[3]- هو : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن داود المطهر بن زياد بن ربيع، كان عالماً بالنحو واللغة. ولد بالمعرة سنة 363 هـ، واعتل بالجدري، ورحل إلى بغداد وأقام فيها إلى أن توفي سنة 449 هـ. من مؤلفاته : ((رسالة الغفران)). [انظر : معجم الأدباء 19 / 253 ؛ الأعلام للزركلي 9 / 150].

العامة في زمانه، حتى حصلت على الماجستير في الآداب مع رتبة الشرف الأولى سنة 1941م، وكان بإشراف عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين[1].

أثناء قيامها بإعداد رسالة الماجستير عن الحياة الإنسانية عند أبي العلاء، ازدادت علاقتها به وثوقاً، فكان أبو العلاء شخصية محببة لديها، فاختارت مرة أخرى رسالة الغفران لتكون موضوعها للحصول على درجة الدكتوراه، حتى تحقق لها ما أرادت، حيث حصلت على الدكتوراه في الآداب تخصّص نصوص بتقدير ممتاز سنة 1950م، وكان يوم المناقشة يوماً مشهوداً في الحياة الأدبيّة بالقاهرة[2].

المطلب الخامس : حياتها العملية :

في بداية الثلاثينيّات، في الوقت الّذي لم يكن للمرأة دور كبير في الحياة العمليّة مثل الرّجل، بدأت بنت الشاطئ حياتها العمليّة كمدرّسة في مدرسة البنات الملحقة بمعلمات المنصورة، وذلك بعد حصولها على الترتيب الأوّل في امتحان الكفاءة للمعلمات بمدرسة طنطا، حيث كان من حقها اختيار المدرسة التي تعين فيها مدرسة[3].

ثم قام مراقب تعليم البنات بالقاهرة بنقلها من وظيفتها الأولى إلى وظيفة كاتبة بكليّة البنات بالجيزة[4]. وفي تلك الفترة، مع تحمّل أعباء العمل في كليّة البنات كانت تمارس هواية الكتابة، وذلك كان بسبب كثرة ترددها على مكتبة المدرسة، و من أكثر ما اطّلعت عليه مجلة « النهضة النسائية »، فبدا لها أن ترسل إحدى قصائدها التي كتبتها تحت عنوان " الحنين إلى دمياط " إلى تلك المجلّة ، فرحّبت بها المجلة و نشرت لها القصيدة، ممّا جعلها تتابع إرسال القصائد و المقالات، و المجلّة تفتح لها صدرها الواسع.

تقول عن هذه الفترة : « في ذلك العهد عاودني الشوق القديم إلى الكتابة في الصحف، وكنت أثناء إقامتي القصيرة بمدرسة المعلمات طالعت في مكتبتها أعدادا من مجلّة النهضة

---

[1] - حسن حمر، بنت الشاطئ من قريب، ص 66.

[2] - المرجع نفسه، ص 68.

[3] - المرجع نفسه، ص 32.

[4] - المرجع نفسه، ص 35.

النسائيّة، فبدا لي أن أبعث إليها بقصيدتي في « الحنين إلى دمياط ». فلمّا ظهر العدد التالي وقصيدتي منشورة فيه، تابعت إرسال قصائدي و مقالاتي و المجلّة الغرّاء ترحّب بها و تفسح لها صدرها »[1].

و في رحلة إلى القاهرة، دعتها صاحبة مجلّة النهضة النسائيّة « لبيبة أحمد » لزيارتها في دار المجلّة فلبّت الدّعوة، ومنذ اللّقاء الأوّل توطّدت العلاقة بينهما، فطلبت منها صاحبة المجلّة المراجعة اللّغوية لمواد المجلة، وأحياناً كانت تكلّفها بكتابة مقالها الإفتتاحي، حتىّ أسندت إليها رئاسة تحرير المجلّة و إدارتها من عدد أكتوبر 1933م، وكان هذا التقدير من صاحبة المجلّة لأسلوبها هو الذي أغراها بأن ترسل بعض قصصها إلى الصحف اليوميّة وإلى مجلّة « الهلال » التي كانت في ذلك الوقت تنشر لأعلام من كتاب الجيل، حتى نشرت لها صحيفتا « البلاغ » و « كوكب الشرق » ما أرسلته إليهما من قصص قصار[2].

ومنذ ذلك الحين بدأ قلمها يتجاوز نطاق المجلّة الشهريّة المحدودة، وأصبح هناك احتمال أن يصل ما تكتبه إلى محيط والدها والأسرة، حينئذٍ فكّرت في النّشر وراء إسم مستعار لئلا يعلم أبوها بالأمر فيغضب ويحول دون مواصلتها الكتابة في الصحف والاتصال بها، فلقبت باسم مستعار " بنت الشاطئ " مستمد من ذكرياتها ولهوها على شاطئ النيل[3].

وبعد ذلك بعامين فقط، بدأت الكتابة في جريدة « الأهرام المصريّة »، وهي من أعرق الصحف اليوميّة العربيّة، فكانت بنت الشاطئ ثاني امرأة تكتب بها بعد الأديبة « مي زيادة »[4].

وقد توطدت علاقتها بجريدة الأهرام المصريّة، خاصة نشرها لمقالتها عن قضيّة الرّيف المصري، وعن قضية الفلاّح سنة 1935م في صفحتها الأولى، ولم تكتف الجريدة بهذا بل اتصل بها صاحبها « جبرائيل تكلابك »، وضمّها إلى أسرة التحرير، وكان ذلك بداية عملها

---

[1]- بنت الشاطئ، على الجسر، ص 82.

[2]- حسن حمر، بنت الشاطئ من قريب، ص 249.

[3]- بنت الشاطئ، على الجسر، ص 84.

[4]- http://www.nahdha.net/library/aishaweb.hotm (30 / 09 / 2005)

بالأهرام[1]. وبقيت تكتب للأهرام حتى وفاتها، وكانت آخر مقالة نشرت لها بتاريخ 26 / 11 / 1998م وبعنوان " علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه "[2].

لم تكن بنت الشاطئ كاتبة و باحثة فحسب، بل كانت نموذجاً نادراً وفريداً للمرأة الإسلامية التي حررت نفسها بنفسها. تدرجت و تبوّأت عدّة مناصب علميّة وثقافيّة، فعملت : كعميدة بقسم اللّغة العربيّة بكلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1939م، ومدرّس مساعد مع تدبها مفتشة اللّغة العربيّة بوزارة المعارف من سنة 1942م إلى 1944م، ومدرّس أوّل بجامعة عين شمس سنة 1952م، ثمّ أستاذ مساعد بجامعة عين شمس سنة 1957م[3].

كما عملت أستاذةً للتّفسير والدّراسات العليا في كليّة الشريعة بجامعة القرويّين في المغرب (1970 – 1988م)، وبعد ذلك أستاذ كرسي اللّغة العربيّة وآدابها في جامعة عين شمس (1962- 1972م) بجمهوريّة مصر العربيّة، كما عملت أستاذة زائرة لجامعة أم درمان سنة 1967م، ولجامعة الخرطوم وجامعة الجزائر سنة 1968م، ولجامعة بيروت سنة 1972م، ولجامعة الإمارات العربيّة سنة1981م، وكليّة التربية للبنات في الرّياض (1975 – 1985م)[4].

كما شغلت بنت الشاطئ عضويّة مجموعة من الهيئات الدّولية المتخصّصة، ومجالس علميّة كبيرة مثل : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، و المجالس القوميّة المتخصّصة، و المجلس الأعلى للثّقافة، كما كانت أيضاً أحد أعضاء هيئة الترشيح لجوائز الدّولة التقديريّة بمصر[5].

المطلب السادس : وفاتها :

عاشت بنت الشاطئ وحيدةً بعد وفاة زوجها أمين الخولي في الستينيّات، ووفاة ابنها وابنتها، وهجرة ابنتها الثّالثة مع زوجها، فوهبت بقيّة عمرها للعلم؛ تُسَرِّي به وحدتها وتنفع

---

[1] – حسن حبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 250.

[2] – http://www.nahdha.net/library/aishaweb.hotm (30 / 09 / 2005)

[3] – حسن حبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 255.

[4] – المرجع نفسه، ص 253.

[5] – http://www.syirianstory.com/b.alchty.hom (30 / 09 / 2005)

به أمّتها، فلم يتوقّف عطاؤها العلمي، وكان آخر مقال كتبته يوم 26 / 11 / 1998م بالأهرام أي قبل وفاتها بأربعة أيّام، حيث توفّيت أوّل ديسمبر 1998م، وأعلنت وزارة الأوقاف المغربيّة إقامة سرادق عزائها، وصلّى عليها شيخ الجامع الأزهر بنفسه في جنازة مهيبة لفقدان أحد أعلام العلم المضيئة في العصر الحديث[1].

المبحث الثاني : إنتاجها العلمي والعملي

المطلب الأول : إنتاجها العلمي :

كان لزاماً علينا أن نرتّب نتاجها العلمي ترتيباً زمنياً لنتعرّف على الاتجّاه الذي سارت فيه، والغاية التي تريد بلوغها، ثم ننظر في هذا النتاج لنتبيّن منهجها في الدّراسة والتحقيق.

الأدب أولاً :

الدّراسات الإسلامية كانت موضع اهتمامها في الطور الأوّل من حياتها، ومن ثمّ لم يكن غريباً أن يكون موضوع " نزول القرآن " هو أوّل بحثها الجامعي الذي تختاره، ولكن الأمر اختلف عندما بدأت دراستها الأكاديميّة، فقد أشار عليها أستاذها « أمين الخولي » أن تبدأ بالأدب و تهضم اللّغة التي نزل بها القرآن، إذا أرادت أن تشتغل بتفسيره. فاستجابت للنّصيحة المنهجيّة، فبدأت بالدّراسات الأدبيّة وقضت فيها نحو عشرين عاما[2].

في إحدى مقابلاتها، سئلت عن سبب اتجاهها إلى دراسة الأدب دون غيرها من الدّراسات، فأجابت « الكون يفسّر تفسيراً عقلياً وتأمّلياً ووجدانيّاً، فالعلم يتولّى الجانب العقلي، والفلسفة تتولّى الجانب التأملي، والآداب والفنون تتولّى الجانب الوجداني. وقد إستجبت لدراسة الأدب بدافع من مزاجي الخاص الذي أنميته في بيئتي...وقد عشت طفولتي على الفطرة، والفطرة تشحذ الوجدان »[3].

كانت شخصية أبي العلاء المعرّي أُولى دراساتها في الأدب، لقد كانت متعلقة به منذ أن كانت طالبة في السنة الثالثة بكليّة الآداب، حين كلّف الدكتور طه حسين الطلبة ليُعِدُّوا

---

[1] - http://www.islam-online.net/iol-arabic/dowalia/mashaheer-10.asp (30 / 09 / 2005)

[2] - بنت الشاطئ من قريب، حسن حابر، ص 63.

[3] - لقاء مع عبد التواب عبد الحي – الأهرام - 13 / 9 / 1958 [نقلاً من كتاب ((بنت الشاطئ من قريب))، ص 64].

للدرس (رسالة الغفران)، ووجدت وهي تعد للدّرس صعوبة بالغة في فهم المقدمة، ممّا أثار في نفسها السخط و المقت، لكن ذلك لم يُثبط عزيمتها في مواصلة حضور دروس الأستاذ، حتى أصبح أبو العلاء المعري عزيزاً على بنت الشاطئ أثيراً لديها[1].

عندما سئلت بنت الشاطئ عن سبب اختيارها شخصيّة أبي العلاء ، أجابت : « لأنه الشاعر الذي وجد نفسه، كنت أشعر أنّ فيه من العظمة ما كان يُرْضي غروري في تلك الفترة، وربَّما اخترته لأنّه الرّجل الذي عاكس حوّاء، وأوصى ألاّ تتعلّم القراءة والكتابة، فتعلّمت وذهبت إلى مدينة حلب لأكون أوّل سيدة تحاضر عن " جنة الغفران " للشاعر المعرّي »[2].

فلمّا هَمَمْتُ بدراسته، وجدْتُ أثاراً عدّة تعرّف بجوانب من شخصيته، ولكنّها لم تجد فيها كيف كان يفكّر، ولا كيف كان يواجه مشكلات الحياة، وكيف كان اضطرابه في مسائل الكون.

من هنا حرصت على تقوية اتصالها بأبي العلاء، فأخذت تقرأ ما كُتب عنه، فلمّا حصلت على درجة اللّيسانس سنة 1939م أمضت معه وقت غير قصير، فرأت أنّ أبا العلاء مهموم مُعنَي بحياة الإنسان بوجه خاص، يتّجه إليها بنفسه و عقله، ويبذل لها الحظ الأوفر من عواطفه وتأمّلاته[3].

ولم تنته علاقتها به إلى هذا الحدّ فحسب، إذ أنّها أثناء إعداد الماجستر عن الحياة الإنسانيّة عند أبي العلاء ازداد علاقتها به وثوقاً ثم اختارت " رسالة الغفران " لتكون موضوعها للحصول على درجة الدّكتوراه، فكان لها من ذلك فرصة مواتية لمداومة دراسة تلك الشخصيّة المحبّبة و الاستزادة في معرفتها[4].

و رغم تثبيت مركزها الأكاديمي عن طريق دراستها لهذه الشخصيّة، فقد استمرت في دراستها لها لسنوات طويلة، حيث قامت بتحقيق رسالة الغفران.

---

[1]- حسن حمد، بنت الشاطئ من قريب، ص 65.

[2]- جريدة الأهرام، 20 / 2 / 1960م [نقلاً من كتاب ((بنت الشاطئ من قريب))، ص 64].

[3]- حسن حمد، بنت الشاطئ من قريب، ص 65 – 66 .

[4]- المرجع نفسه، ص 68.

والجدير بالتّنويه أنّ اشتغالها بالتّحقيق في نص بالغ الصعوبة، ممّا يعبّر عن اختيار طريق صعب : كان إلى ذلك الحين مقصوراً على نوعيّة معيّنة من الرّجال، وهو طريق تحقيق التّراث، وبذلك تكون رائدة نسائيّة في هذا الميدان.

و في هذه المرحلة المبكرة -كما استنتج الدّكتور حسن جبر[1]- يبرُزُ أمران يَنُمّان عن جوانبَ من شخصيّتها :

أوّلهما : أنّها في البداية بذلت جهدا كبيرا مضنيا، و لم تخرج بنتيجة مكافئة لهذا الجهد، وكان ذلك كفيلا بصرفها عن هذه الرّسالة، ولكنّها على العكس، فقد كانت تقبل التحدّي وتواصل بذل الجهد في دلالة واضحة على حيويّتها وقوّة روحها و دأبها في طلب العلم.

ثانيهما : أنّها حينما كانت تعجز عن الوصول إلى المعاني باستخدام المعاجم، كانت تفترض التحريف في النّقل أو النّسخ، فتجرب تغيير الكلمة بأخرى في الحدود التي يسمح بها رسم الكلمة، وقد نجحت المحاولة في بعض المواضع نجاحاً أغراها بالمضي فيها على سبيل الرّياضة و التطلّع.

منهجها في التّحقيق :

كان لها منهجها الخاص في التّحقيق، يتّضح من خلال تحقيقها لرسالة الغفران، ويقوم هذا المنهج على الآتي :

1. جمع كل نسخ النص التي يمكن الاهتداء إليها وتقويمها، وعرض بعضها على بعض مستعينة ببعض المختصين في الخط والورق... ثم ترتيب النسخ حسب قيمتها.
2. التعريف بأعلام النّص : وهي علاوة على كثرتها، بها أعلام لأشخاص مغمورين ليس لهم ذكر في كتب الأعلام، إضافة إلى أنّ أبا العلاء كان يكتفي أحياناً بإشارة لا تساعد كثيراً في الوصول إلى صاحبها... فوق هذا فإنّ أبا العلاء كان مولعاً بالتّفنن في عرض أعلامه فيسمي الشخص باسمه مرة وبكنيته ثانياً وبلقبه ثالثاً وبنسبه رابعاً، وهكذا ممّا كلّف جهداً كبيرا في تحقيقها.

[1]- حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 69.

3. خدمة النّص : بشرح مفرداته وتفسير غريبه وإيضاح مبهمه وشرح شواهده.. وقد اقتضى ذلك منها الرّجوع إلى كتب اللّغة، حتىّ في الألفاظ التي فسّرها أبو العلاء، وذلك في كل لفظ يستدعي الضبط أو التفسير، للاطمئنان إلى سلامة اللّفظ من التّصحيف في النسخ الخطيّة... وللحاجة إلى معرفة أسلوب أبي العلاء ومعجمه... والدّلالات التي كان يؤثرها.

بهذا العمل دخلت بنت الشاطئ ميدان التّحقيق من أوسع أبوابه، وذلك بما بذلته من جهد جهيد في اتّباع المنهج العلمي في التّحقيق ودأبها في جمع النسخ، والتّعريف بأعلام النص وخدمته، وقراءة النص بعناية تكشف بوضوح حل كثير من مشكلاته اللّغوية والأدبيّة والتاريخيّة، وأيضاً تكشف عن مهارة عالية وقدرة كبيرة في الوصول إلى الحقيقة من ذلك.

في سنة 1969م صدر كتابها « لغتنا والحياة »[1] وهو ثمرة محاضرات ألقتها في معهد البحوث والدّراسات الأدبيّة، فكان ذلك إسهاما قيّمًا في مجال الدّرس اللّغوي وجهداً مضافا إلى جهود أساتذة كبار اشتغلوا بالدّراسات اللّغويّة. جاءت هذه الدّراسة في أعقاب هزيمة 1967م في صراع العرب لصدّ العدوان الإسرائيلي، لتحول دون وصول آثار الهزيمة إلى حياتنا اللّغوية و القضايا الفكريّة[2].

ثم تتاح لها الفرصة لتشترك في تحقيق أحد المعاجم الموسوعيّة اللّغوية الهامّة، وهو " المحكم "[3] لابن سيده، وذلك بتكليف من معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربيّة. يمثل هذا الكتاب مرحلة من مراحل تطوّر المعاجم وكتب اللّغة، حيث بدأت في شكل رسائل موضوعيّة ثم تطوّرت حتى صارت موسوعات لغويّة حضريّة[4].

وقد بذلت بنت الشاطئ جهداً كبيراً في توفير نسختين أصليّتين من الجزء الثالث الذي كلّفت بتحقيقه من هذا الكتاب المعجم، واتبعت في تحقيقه المنهج العلمي للتحقيق، والّذي تمرّست عليه فيما سبق لها من تحقيق كتب لأبي العلاء المعرّي، فكان ذلك إضافة علميّة تحسب

---

[1] - بنت الشاطئ، لغتنا والحياة : معهد البحوث والدراسات العربية 1969.

[2] - حسن حمر، بنت الشاطئ من قريب، ص 95.

[3] - اسمه (المحكم والمحيط الأعظم) معجم كبير جامع يشتمل على أنواع اللغة، حققت بنت الشاطئ الجزء الثالث منه، وطبعته شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

[4] - حسن حمر، بنت الشاطئ من قريب، ص 99.

لها، ويمكن أن نعتبره استكمالاً لتأهيلها لنفسها ممّا يساعدها في الاشتغال بالدّراسات القرآنيّة فيما بعد[1].

عودة إلى الدّراسات القرآنية و السنّة النبويّة

الدّراسة القرآنيّة :

بعد عشرين عاماً قضتها بنت الشاطئ في دراسة اللّغة العربيّة، وحقّقت من خلالها وجودها الأكاديمي، وحصلت خلال هذه الفترة على الماجستير والدّكتوراه، عادت بنت الشاطئ إلى الدّراسات القرآنيّة، و في مطلع الستينات من القرن العشرين ترقّت إلى درجة أستاذ كرسي اللّغة العربيّة و آدابها، وكان ذلك نتيجة لأعمالها العلميّة حول معجم المحكم لابن سيده و التفسير البياني للقرآن الكريم[2].

فكأن التفسير البياني للقرآن الكريم جاء بمثابة حلقة الوصل أو الجسر الذي تعبر عليه من الدّراسات العربيّة إلى الدّراسات القرآنيّة، ودلّ نتاجها العلمي في هذا العقد على متانة الأساس والقدرة والمهارة الفائقة على دراسة ما توقّفت عن الخوض فيه قبل عشرين عاما. وبالإضافة إلى التفسير البياني، قدّمت إلى المكتبة القرآنيّة « الإعجاز البياني » و « الإنسان و قضايا العصر » و « الشّخصيّة الإسلامية » و « التفسير العصري » وغيرها...

تفرّغت في سنة 1970م للدّراسات القرآنيّة في جامعة القرويّين بالمغرب، ومنذ ذلك الحين يكاد ينحصر نتاجها العلمي في علوم القرآن، ولكنّها لم تنقطع عن العربيّة، لأن المجالين في الدّراسة يكمّل أحدهما الآخر، تقول: « فإذا كنت في دروسي الجامعيّة في قسم اللّغة العربيّة بمصر، قد حرصت على توثيق علوم العربيّة بالبيان القرآني، فإنّي في دراساتي القرآنيّة لجامعة القرويّين حريصة على توثيق علوم الإسلام بالعربيّة لغة وبيانا، من حيث لا يصح لدارس فقه

---

[1]- حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 100.

[2]- المرجع نفسه، ص 101.

الإسلام دون رسوخ في علوم العربيّة، كما لا يصح له رسوخ في العربيّة دون دراية بعلوم القرآن و الإسلام »[1].

دراسة السنّة :

لم تنحصر جهود بنت الشاطئ في خدمة العلوم الإسلاميّة في الدّراسات اللّغوية والقرآنيّة فحسب، بل تطرّقت إلى دراسة السنّة، حيث قامت بتحقيق كتاب « مقدمة ابن الصلاح »[2] و « محاسن الاصطلاح » لـ" البلقيني[3] " الذان يحتويان على علم مصطلح الحديث، فتحقيقها لهذا الكتاب يعتبر تطبيقا عمليّاً للمنهج النقلي العلمي، كما تراه هي.

إنّ " مقدمة ابن الصلاح " كما تقرّر الدكتورة المحققة هو أشهر مؤلفات " ابن الصلاح " في علوم الحديث، إذ قدّم فيه خلاصة لستّة و ستّين نوعا، قليل منها لم يصنّف فيه قبله كتاب مفرد أو أكثر، فجاء كتاب " ابن الصلاح " أشبه بمقدمة جامعة لعلوم الحديث، احتاجت إليها عصور الملخّصات التي أشارت إليها في ديباجة الكتاب[4]. وباستعراض ما بذلته من جهود تبرز لنا عدة قضايا تكشف عن شخصيّة السيدة المحقّقة وطريقتها في التفكير.

أمضت بنت الشاطئ وقتاً طويلاً في عملها هذا وواجهت العديد من الصعوبات في تخريج الأحاديث و كيفيّة التغلّب عليها. وكانت كلّما عكفت على إنجاز هذه الطبعة، ظهر مخطوط من حيث لا تحتسب أو نشر من كتب التراث ما تحتاج إليه، فعادت على بدء تعيد

---

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم (ط6 ؛ دار المعارف : القاهرة، 1977م) 1 / 11.

[2]- هو : الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشافعي، أحد أئمة المسلمين علماً و ديناً. ولد سنة 557 هـ ونشأ في بيت علم ورئاسة. فكان أبوه صلاح الدين من العلماء الأجلاء، واشتهر بالحديث. [انظر : الأعلام للزركلي 4 / 469 ؛ شذرات الذهب 5 / 224 – 222].

[3]- هو : سراج الدّين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح العسقلاني المصري الشافعي، الحافظ البارع المجتهد المُحَدِّث. انتهت إليه رآسة المذهب الشافعي، ولد بالقاهرة سنة 724 هـ، درس التفسير بجامع بن طولون، والمدرسة الظاهريّة. ولي قضاء الشام، وله مصنّفات منها ((محاسن الإصلاح)) و ((شرح الترميذي)) و ((شرح البخاري)). توفّي بالقاهرة سنة 805 هـ. [انظر : الموسوعة العربية 5 / 97].

[4]- حسن حبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 120.

النّظر في ما سبق لها إنجازه، وتكرر ذلك مرارا حتى مضت عشر سنين دأبا، تم فيها إنجاز هذه المهمّة الكبيرة[1].

المطلب الثاني : مؤلّفاتها :

تركت بنت الشاطئ تراثًا علميًا كبيرًا زاد على الأربعين كتابًا في الدّراسات القرآنيّة والفقهيّة والأدبيّة واللّغويّة والاجتماعيّة والتاريخيّة. ففي الدّراسات القرآنيّة والإسلاميّة كان لها كتاب: « التفسير البياني للقرآن الكريم » و « الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق » و « مقال في الإنسان » و « والقرآن والتفسير العصري » و « القرآن وقضايا الإنسان » و « الشخصيّة الإسلاميّة » و « مع المصطفى صلى الله عليه وسلم » و « وتراجم سيدات بيت النبوة » و « قراءة في وثائق البهائيّة » و « الإسرائيليّات في الغزو الفكري » و « مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث » و « محاسن الإصلاح » للسراج البلقيني[2].

وفي الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة كتاب : « الحياة الإنسانيّة عند أبي العلاء المعرّي » « ورسالة الغفران؛ نص محقّق ومعها رسالة ابن القارح » و « معجم المحكم لابن سيدة الأندلسي ؛ تحقيق المجلّد الثالث » و « رسالة الصاهل والشاهج ؛ تحقيق و دراسة قراءة جديدة في رسالة الغفران » و « لغتنا والحياة » و « تراثنا بين الماضي والحاضر » و « الخنساء الشاعرة العربيّة الأولى » و « أبو العلاء المعرّي ؛ في سلسلة أعلام العرب » و « مع أبي العلاء في رحلة حياته » و « الغفران ؛ دراسة نقديّة » و « قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر» و « مقدمة في المنهج » و « أعداء البشر ؛ دراسة تاريخيّة لجولات المعركة بين الإنسانيّة وأعداء البشر » و «أرض المعجزات ولقاء مع التاريخ ؛ رحلة في جزيرة العرب »[3].

---

[1] - حسن حبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 128.

[2] - المرجع نفسه، ص 260 – 261.

[3] - المرجع نفسه، ص 261 – 263.

وفي الدّراسات الاجتماعيّة: « سيد الغربة ؛ رواية مصريّة واقعيّة » و « الرّيف المصري ؛ وقضيّة الفلاح » و « سرّ الشاطئ ؛ مجموعة قصصيّة » و « امرأة خاطئة ؛ مجموعة قصصيّة » و « على الجسر ؛ سيرة ذاتيّة »[1].

ولها أيضاً عدة بحوث منشورة : «المرأة المسلمة » في كتاب « الإسلام : اليوم وغدًا » و « رابعة العدويّة ؛ أديبة وشاعرة » و « تعليق على ما جاء عن القرآن والحديث في كتاب « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » لكبير المستشرقين الرّوسي " كراتشوفسكي " » و « مدينة السلام في حياة أبي العلاء » و « ذخائر البردي المصري في متحف ألبرتينا » و « دراسة برديّات مصر الإسلاميّة » و « كتابنا الأكبر » و « المفهوم الإسلامي لتحرير المرأة الإسلاميّة » و « الأدب النسوي المعاصر » و « من أسرار العربيّة في البيان العربي » و « من الإمام مالك إلى المنهج الحديث » و « الشباب بين العقيدة والاختيار » و « القرآن والفكر الإسلامي المعاصر » و « الشاعرة والملهمة » و « شخصيّة المرأة في القرآن الكريم » و « مع أبي مروان ابن حيان في قراءة جديدة لتاريخ الأندلس » و« أبو العلاء وأدبه في رواية جديدة » و « قبس من مشارق الأنوار على صحاح الآثار: الموطأ والصحيحين للقاضي عياض » و « مشارق الأنوار للقاضي عياض ومطالع الأنوار لابن قرقول » و « المنهج النقلي لعلماء الحديث بين القواعد والتطبيق » و « تفسير آيات الأحكام لسور الطلاق والمدثّر والحجرات » و « التّفسير الدّيني لتاريخنا » و « كتاب للبهائيّة الجديدة عن الإسلام والقرآن والسنة ». ومع ما نشرت من بحوثها التي قدّمتها في المواسم الثقافيّة للحواضر الإسلاميّة والعربيّة التي دعيت إليها. كما تابعت نشر مقالاتها في جريدة الأهرام في قضايا عديدة من عام 1936م حتى عام وفاتها[2].

المطلب الثالث : الملتقيات والنّدوات التي حضرتها :

بنت الشاطئ، بشخصيتها الفريدة ومؤلّفاتها وبحوثها الأصيلة جاوزت شهرتها أقطار الوطن العربي والعالم الإسلامي إلى المغرب، فدعيت بصفتها الشخصيّة إلى أكثر الملتقيات

---

[1]- حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 263.

[2]- المرجع نفسه، ص 264 – 267.

والنّدوات الدّولية والمحافل الإسلامية منها: مؤتمر المستشرقين الدّولي - ميونخ : 1957م ونيودلهي : 1964م، والمؤتمر الثقافي العربي - بغداد : 1957م، والمؤتمر للكتاب الآسيويّين والأفريقيّين – طشقند : 1957م، ومؤتمر الأدباء العربي في القاهرة : 1968م، والكويت : 1960م، وبغداد : 1964م و 1970م، ومؤتمر النّساء الأفريقيّات - أكرا – غانا : 1960م، والحلقة العربيّة للأدب العربي المعاصر - روما : 1961م، ومؤتمر للمعلمين العرب - الجزائر : 1963م، والعيد الألفي لمدينة بغداد - بغداد : 1963م، ومؤتمر علماء الإسلام في احتفال المغرب بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم - المغرب : 1967م و 1968م، وندوة القرآن الكريم بجامعة أم درمان الإسلاميّة – السودان : 1968م، و المؤتمر التأسيسي لجامعة الجامعات الإسلاميّة - فاس : 1969م، ومؤتمر علماء الإسلام بالمغرب - مراكش : 1970م، ومؤتمر الدعوة الإسلاميّة بليبيا - طرابلس : 1970م، وندوة الإمام مالك بالمغرب - الرّباط : 1971م و - فاس : 1980م و - مراكش : 1981م، ومؤتمر الإسلام والأسرة بجامعة الأزهر – القاهرة : 1975، ومهرجان الشاعر إقبال - باكستان : 1969م، ومهرجان الذّكرى الألفيّة للشّاعر ابن حيان القرطبي - الرّباط : 1981م، ومعرض الكتاب الإسلامي بالمركز الثقافي المصري - لندن : 1980م، ومؤتمر السنّة والسّيرة النبويّة بالأزهر – القاهرة : 1985م[1].

المطلب الرابع : جوائزها :

لقد حضيت بنت الشاطئ بمكانة رفيعة في أنحاء العالم العربي والإسلامي، وكرّمتها الدّول والمؤسّسات الإسلاميّة حيث حصلت على جوائز وأوسمة متعدّدة منها : جائزة الدولة المصريّة الأولى للدّراسات الاجتماعيّة - الرّيف المصري عام 1936م، جائزتان من المجمع اللّغوي بالقاهرة لتحقيق النصوص عام 1950م، وللقصّة الصغيرة عام 1953م، ووسام الكفاءة الفكريّة من جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المغرب عام 1967م، والوسام المصري عام 1956م، ووسام الاستحقاق من الطّبقة الأولى - مصر عام 1973م، وجائزة الدّولة التقديريّة

[1]- حسن حمد، بنت الشاطئ من قريب، ص 263 - 264.

للآداب – مصر 1978م، وشهادة التّقدير من المنظّمة العربيّة للتّربية والتّعليم و الثّقافة – مصر عام 1980م[1]. وجائزة الآداب من الكويت عام 1988م، وجائزة الملك فيصل عام 1993م[2].

المبحث الثالث : معاركها الفكريّة ؛ قضايا وأراء :

لقد كانت بنت الشاطئ من النوع المتعدّد المواهب والعطاء... فهي أستاذة جامعيّة، لها طلاّبها الأعلام، وهي كاتبة وأديبة مرموقة، ومفكّرة مسلمة، تشغلها قضايا الإسلام والمسلمين، وقضايا أمتها العربيّة، ثمّ هي كاتبة صحفيّة لها قلمها السيّال. وهي من أولئك القلائل الذّين أسهموا في قضايا ساخنة كانت محمل اختلاف في الرّأي واجتهاد في الفهم، وثار حولها جدل واسع. ومن أبرزها معركتها ضد التّفسير العصري للقرآن الكريم ذودًا عن التراث، وما دار من جدل صاخب بينها وبين " عباس محمود العقّاد[3] " في قضيّة المرأة وتحرّرها ومكانتها في الإسلام ، ومواجهتها الشهيرة للبهائيّة في أهمّ ما كُتِبَ في الموضوع من دراسات مسلّطة الضّوء على علاقة البهائيّة بالصهيونيّة العالميّة، إلاّ أنّ معركتها مع العقاد كانت أشدّها وأشهرها.

فقد كتب " العقّاد " كتابًا بعنوان " المرأة في القرآن " أورد فيه فقرات فيها انتقاص للمرأة، فأورد أن النّظافة ليست من خصائص الأنوثة، واعتبر أنّه من الضّلال في الفهم أن يخطر على بال أحد أن الحياء صفة أنثويّة، أو أنّ النّساء أشدّ حياءً من الرّجال[4].

---

[1]- حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 254.

[2]- (30 / 09 / 2005) http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ID=480&SectionID=384

[3]- هو : عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد، إمام في الأدب. ولد بأسوان سنة 1889م، أصله من دمياط. انتقل أسلافه من المحلّة الكبرى. وكان أحدهم يعمل في " العقادة " الحرير، فعرف بالعقاد. تعلّم في مدارس أسوان الابتدائيّة وشغف بالمطالعة، وسعى للرّزق فعمل موظّفا بالسّكك الحديديّة، وبوزارة الأوقاف بالقاهرة ، ثمّ معلما في بعض الدارس الأهليّة، وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، حيث كان من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الابداع. تعلّم الإنجليزية في صباه وأجادها، ثمّ ألمّ بالألمانيّة والفرنسية، وظلّ اسمه لامعا مدّة نصف قرن، أخرج خلالها من تصنيفه ثلاثة وثمانين كتاباً في أنواع مختلفة من الأدب الرّفيع، منها كتاب ((عن الله)) و ((عبقريّة محمّد)) وغيرهما. وكان من أعضاء المجامع العربيّة الثلاثة (دمشق، القاهرة وبغداد). توفّي سنة 1964م. [انظر : الأعلام للزركلي 3 / 266].

[4]- (30 / 09 / 2005) http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ID=480&SectionID=384

ودفعت هذه المقولات من " العقاد "، بنتَ الشاطئ لكي تردّ بمقالات صحفيّة، وتقابل العاصفة بالعاصفة، وترجمت مشاعرها الغاضبة في مقال بعنوان " اللّهم إنّي صائمة " في جريدة الأهرام بتاريخ 21 / 3 / 1960م[1]، وأتبعت هذا المقال بآخرين في الرّد على العقّاد. فما كان منه إلاّ أن وجّه سهام نقده اللاّذعة إلى بنت الشاطئ، معتبرًا أنّها المثال الوحيد الماثل أمامه على تناقض المرأة، وواصفًا إيّاها بأنّها " الست " مفسرة القرآن[2].

كما أنّ قصّة هبوط أبوينا آدم وحوّاء من الجنّة كانت مثار الجدل بينهما كذلك، فالعقّاد يرى بأنّ حوّاء أغوت آدم، فكان ذلك سبب خروجهما من الجنّة... وبنت الشاطئ تنكر عليه هذا الفهم من القرآن الكريم، لأنّ القرآن لم يسند الغواية قط إلى حواء، وليس فيه إشارة من قريب أو من بعيد إلى أنّها هي التي أغوت آدم فأكل من الشجرة المحرّمة ، وإنّما الذّي فيه ما جاء في ﴿ فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[3]، وإذا كان بعض المفسّرين قد أسندوا الغواية والعصيان إلى حوّاء فمرجعهم فيها « التّوراة » وقد نقلها إليهم " وهب بن منبه[4] " وأمثاله من اليهود الذّين أسلموا وحرصوا على أن يحشوا أذهان المسلمين بإسرائيليّاتهم[5].

وتُعقّب بنت الشاطئ بعد ذلك فتقول: « ومدلول القضيّة عند الأستاذ عجيب، هي عنده تعبّر برموزها السّهلة عن دور كل من الجنسين على الوجه الوحيد الذّي تتمّ به إرادة النّوع.. وإنّما تتمّ هذه الإرادة بين جنس تملك الزّمام، و جنس تقوم إرادته على أن تحرك إرادة غيره..الرّجل يملك الزّمام، والمرأة تحرك إرادة الرجل..وقد أردت أن أقول للمنكر الكبير، أنّ

---

[1]- حسن حمد، بنت الشاطئ من قريب، ص 134.

[2]- (30 / 09 / 2005) http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ID=480&SectionID=384

[3]- طه : 121.

[4]- هو : وهب بن منبه الأنبري الصنعاني الذماري أبو عبد الله، مؤرخ، إخباري، من التابعين، له معرفة بأخبار الأوائل وأحوال الأنبياء وسير الملوك. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. ولد بصنعاء سنة (34 هـ) وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، وتوفي بصنعاء سنة 111 هـ. من آثاره : ذكر الملوك المتوّجه من حيمار وأخبارهم، قصص الأنبياء. [انظر : الأعلام للزركلي 9 / 150 ؛ وفيات الأعيان 6 / 772 ؛ حلية الأولياء 4 / 23 ؛ تهذيب التهذيب 11 / 147].

[5]- حسن حمد، بنت الشاطئ من قريب، ص 135.

معنى هذا بداهة، أنّ المرأة هي التي تقود وأنّنا نحتاج إلى أن نلغي عقولنا لكي نأخذ بمنطق الأستاذ العقّاد في إمساك الرجل بالزمام »[1].

ولكن رغم هذه المعركة الحادّة التي تجاوزت الموضوع وجرحت الشخوص، لا تفقد بنت الشاطئ تقديرها واحترامها للعقّاد، تقول : « منذ مرض الأستاذ العقّاد وأنا أتتبّع الأخبار عن صحّته في قلق. لم تكن الخصومة التي بيني وبينه سوى خصومة فكريّة حرصت كلّ الحرص على أن لا تتجاوز نطاقها المحدود فتنسيني ما قدّم هذا الكاتب الكبير إلى حياتنا الفكريّة والأدبيّة من ثمار دراساته ومطالعاته طوال حياته الخصبة العاملة »[2].

كما خاضت بنت الشاطئ معركةً أخرى عنوانها " النحو بين الأزهر والجامعة " المعركة التي تدور بين رجال الجامعة و بعض شيوخ الأزهر[3].

علاقتها بالأزهر :

كانت علاقة بنت الشاطئ بالأزهر علاقة حميمة وطيدة، وهي على وعي بدور الأزهر، ونتيجة لهذه العلاقة القويّة و بحكم عملها كناقدة ومفكرة إسلاميّة، فقد وجدت نفسها تخوض مع شيوخه معارك عديدة ، أحياناً مع خصوم الاتّجاه المحافظ وأحياناً بين التيّارات المختلفة داخل الأزهر.

أوّل امرأة تحاضر في الأزهر :

كان الاختلاط والحجاب من القضايا الجدليّة ليس فقط بين الأزهر ودعاة تحرير المرأة، بل في ذلك خلاف بين مشايخ الأزهر عن طبيعة الاختلاط وشكل الحجاب. دعيت بنت الشاطئ لتلقي محاضرة في الأزهر، فألقت فيها محاضرة تطالب باشتراك الفتاة في الأزهر طالبة وأستاذة، ولكن عند إلقائها محاضرتها انقسم الحضور الذين كان منهم كبار رجال الأزهر، وفريق كبير من المثقفين رجالا ونساء إلى فريقين، فريق المعارضين و فريق المؤيّدين؛ المعارضون

---

[1]- جريدة الأهرام، 3 / 4 / 1960 [نقلاً من كتاب ((بنت الشاطئ من قريب))، ص 136].

[2]- المرجع نفسه، 14 / 3 / 1964 [نقلاً من كتاب ((بنت الشاطئ من قريب))، ص 139].

[3]- حسن حمزة، بنت الشاطئ من قريب، ص 141.

اعتبروا أنّ كلّ ما حدث بدعة ومجاملة على حساب الدّين، أما المؤيّدون فقد حيّوا بنت الشاطئ في موقفها و أيّدوها في ثورتها[1].

بمحاضرتها هذه، فقد دخلت بنت الشاطئ معترك التيّارات المتصارعة داخل الأزهر، واستغلّت الأطراف المختلفة الحادثة، واتّخذوها سلاحا أشهره كلّ منهم في وجه الآخر، وقد كانت الحادثة إرهاصاً بأنّ الأزهر مقبل على تحوّلات كبيرة، إذ إنّ المحاضرة لم تكن سوى ثقاب اشتعل فأدّى إلى هذا الانفجار الّذي لابد وأن يسفر عن شيء[2].

المسهامة في تطوير الأزهر وموقفها منه :

لم يؤثر موقف معارضيها في علاقتها بالأزهر، بل زادها وثوقاً ودفعها إلى الإسهام بفعاليّة في تطويره وإبراز دوره في حياتنا الثقافيّة، وما كانت تنادى به من إشراك الفتاة في الأزهر طالبة وأستاذة ومحاضرة ومشرفة سوى قبس من آراءها واقتراحاتها.

في عام 1962م دعاها الشيخ "محمود شلتوت "[3] شيخ الجامع الأزهر لتكون عضواً في لجنة التطوير فقبلت، ولكن بعد مضي سنة من المشاركة في أعمال اللّجنة، وقفت عند دواعي التطوير الذي يراد للأزهر، ورأت أنّها لا يمكن أن تستمرّ في هذا العمل، فقدمت توصياتها ومقترحاتها للشعبة المكلّفة بتطوير الكليّات الأزهريّة، وانسحبت من اللّجنة معتذرة بأنّها لم تقتنع بأن نستكثر على مصر، العاصمة العلميّة للوطن العربي والعالم الإسلامي جامعة واحدة فحسب لعلوم الإسلام والعروبة، إلى جانب عشرات الجامعات والمعاهد العالية. كانت بنت الشاطئ حريصة على تطوير الأزهر، و أن يعلو شامخاً سامقاً راسي القواعد، لا أن يصبح صورة من الجامعات المدنية[4].

---

[1]- حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب، ص 146 – 147.

[2]- المرجع نفسه، ص 147.

[3]- هو : فقيه، مفسر مصري، ولد في منية بني منصور بالبحيرة سنة 1893م، وتخرج بالأزهر سنة 1917م، كان داعية إصلاح نير الفكر، عمل في المحاماة، وعين وكيلاً لكلية الشريعة بالأزهر، ثم عضوا من كبار العلماء سنة 1941م، وعضوا في مجمع اللغة العربية سنة 1946م، ثم شيخاً للأزهر 1957م إلى وفاته سنة 1963م. كان خطيباً موهوباً، جهير الصوت، له 26 مؤلفاً مطبوعاً، منها : ((التفسير وحكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي)) و ((والقرآن والمرآة)) وغيرها... [انظر : الأعلام للزركلي 7 / 173].

[4]- حسن جابر، بنت الشاطئ من قريب، ص 148 – 149.

إلتفتت بنت الشاطئ إلى ما كان يحدث للأزهر في السنوات الأخيرة، وأبدت رأيها بأنّ حركة التجديد للجامع الأزهر سارت على غير هدى، إذ أدخل عليه ما ليس منه وأثقل على قدميه العتيقتين بواجهات عصريّة وصبغات حديثة نابعة من إلغاء (هيئة كبار العلماء) أئمة مشايخ الإسلام ،ونقل ما كان موكولاً إليها من اختيار شيخ الجامع الأزهر إلى يد رئيس الجمهوريّة يُصدر قرارا بتعيين من يرضاه شيخاً للإسلام، ويُصدر قرارا بعزله متى شاء، واستبدال هيئة كبار العلماء بمجمع البحوث الإسلاميّة، وتحدّثتْ عن فصل جامعة الأزهر عن الجامع الأزهر وهجر المباني العتيقة إلى مبان حديثة ،واستحداث كليّات للطّب والهندسة والزّراعة والتّجارة والعلوم واتخاذ الكادر الجامعي وألقاب الجامعة (الدّكتوراه) وعدم الالتزام بالزّي الأزهرى[1].

كل ما تقدّم ذكره، ما هو إلا نبذة موجزة عن شخصية الدّكتورة عائشة بنت الشاطئ، التي ذاع صيتها في العالم العربي الإسلامي، والتي أغنت مكتبتنا العربيّة الإسلاميّة بمؤلفاتها في مختلف المجالات وبخاصة الدّراسات القرآنيّة. ومهما حاولنا الإحاطة بشخصيتها الفذّة والبارزة وجدنا أنفسنا عاجزين عن استيافائها حقّها من التعريف.

[1]- حسن جعر، بنت الشاطئ من قريب، ص 150.

الفصل الثاني

دراسة حول المنهج البياني في تفسير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني : دراسة حول التفسير البياني

شهدت ساحة الفكر الإسلامي مناهج جديدة وألوان عديدة في مجال تفسير القرآن الكريم، ومن أبرز هذه المناهج المنهج البياني، ولكن ثمّة أمور لا تزال غامضاً عند الباحثين حول هذا المنهج. فما مفهوم هذا المنهج؟ وهل هو ابتكار حديث في مجال التّفسير أم له جذور عند المفسّرين الأوائل؟ إذا كان الجواب الثاني صحيحاً، فما هي أبرز محاولات تطبيق هذا المنهج في العصر القديم؟ وكيف كان تطوّره في العصر الحديث؟ وماهي مراحله ومعالمه؟ وما هي أبرز محاولات المُحدثين في هذا المجال؟.

سنحاول في المباحث القادمة تتبّع ملامح هذا المنهج من خلال الإجابة عن هذه التّساؤلات المطروحة.

المبحث الأول : مفهوم التفسير البياني، نشأته ومراحله ، جهود العلماء المتقدّمين فيه

المطلب الأول : مفهوم المنهج البياني :

لقـــد كنت ممن التبس عليهم مفهوم هذا المنهج في التّفسير وحدث في ذهني خلط بينه وبـــين مـــا يسمى بالاتجاه الأدبي في التفسير، إلى أن تأكّدت أن العلاقة بينهما علاقة بين العام والخاص. فالاتجاه الأدبي في التّفسير أعمّ من المنهج البياني، إذ الاتجاه الأدبي هو أحد الاتجاهات الّـــذي يقوم على دراسة النص القرآني من الجانب الأدبي، وهو يشتمل على عدّة مناهج عند تناوله تفسيرَ آيات القرآن الكريم، منها المنهج البياني.

ولـــو حاولنا البحث عن مفهوم المنهج البياني في التّفسير فلن نجد تحديداً خاصاً لمفهوم هـــذا المنهج، غير أننا وجدنا الأستاذ " محمد حسين الصغير " قد بيّن في كتابه « المبادئ العامة لتفســـير القـــرآن الكريم » بأن المراد بالمنهج البياني في التفسير هو «المنهج الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل، وما يتفرع من ذلـــك مـــن استعمال حقيقي أو استخدام مجازي أو استدراك لفظي، أو استجلاء للصّورة أو

تقويم للبنية، أو تحقيق في العلاقات اللّفظية والمعنوية أو كشف للدّلالات الحالية والمقاليـــة »[1]، واعتبر الأستاذ بأنّ البحث في هذا الجانب يُعدّ بحثاً أصيلاً في جوهر الإعجاز القرآني، ومؤشراً دقيقاً في استكناه البلاغة القرآنية.

وهناك تعريف آخر للدكتور فاضل صالح السّامرائي، يقول فيـــه بأنـــه : « التفســـير الّذي يبيّن أسرار التّركيب في التّعبير القرآني، فهو جزء من التّفسير العام تنصبّ فيه العنايةُ على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتّقديم والتّأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة علـــى أخرى وما إلى ذلك مما يتعلّق بأحوال التّعبير »[2].

و من مقارنة التعريفين نجد أن مفهوم المنهج البياني في التّفسير عند الأستاذ محمد حسين الصغير أدقّ وأشمل من غيره، فقط لو كان من الممكن الجمع بين التعريفين بحيث يكمل بعضه بعض، فيكون مفهوم المنهج البياني هو : المنهج الذي تدور مباحثه حول بلاغـــة القـــرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل، وما يتفرع من ذلك مـــن اســـتعمال حقيقي أو استخدام مجازي أو استدراك لفظي، أو استجلاء للصّورة أو تقويم للبنية، أو تحقيـــق في العلاقات اللّفظية والمعنوية، أو كشف للدّلالات الحالية والمقالية، أو بيان أسرار التركيب في التّعبير القرآني من النّاحية الفنّية كالتّقديم والتّأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك ممّا يتعلّق بأحوال التّعبير.

المطلب الثاني : نشأته و مراحله :

لقد ذهب كثير من الباحثين حينما تحدّثوا عن تاريخ التّفسير البياني إلى خُلوّ تفاسير عصر صدر الإسلام منه، إذ أنّ ظهوره كان مرتبطاً بظهور المصطلحات البلاغية في صدر العصر العباسي، ولكنّ الدكتور " محمّد رجب البيومي " ذهب إلى أن التّفسير البياني له جذور تصل إلى صدر الإسلام، إذ أنّ الواقع يدلّ على أنّ القوم إذ ذاك قد درسوا القرآن دراسة من

---

[1] – محمد حسين علي الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم – دراسة مقارنة – (ط 1 ؛ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : بيروت، 1983م) ص 103.

[2] http://www.islamiyyat.com/ala%20tareek%20altafseer.htm (25 / 04 / 2006)

يعرف مناحي البيان، وإن فاتتهم معرفة مصطلحاته الّتي ظهرت بعدهم، فهم يعرفون بفطرتهم مكان الإيجاز والإطناب، ومواضع الحقيقة والمجاز، ونقل عنهم في ذلك ما يصلح أن يكون بذرة التّفسير البياني للقرآن[1].

وقد أيّد محمّد رجب البيومي رأيه بأنّ الجاحظ[2] قد ردّ على من أنكر تفاضل العرب في كلامهم وتفاوتهم في ذلك، حيث قال الجاحظ : « فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت، فلما ذكروا العيّ و البكيءَ والحَصر والمُفحَمَ والخطل[3] والمسهَب[4] والمتشدِّق والمتفيهِق والمهمار والثّرثار[5] والمكثار والهمار، ولما ذكروا الهُجر والهَذَرَ والهَذَيَانَ والتَّخليط، وقالوا رجل تِلقّاعة[6] وتلهاعة[7] وفلان يتلهيع في خطبته؛ وقالوا : يخطئ في جوابه و يحيل في كلامه ويناقض في خبره. ولولا أن هذه الأمور قد تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الأسماء »[8].

ثم قدّم محمّد رجب البيومي تعقيبه بعد عرض قول الجاحظ قائلا : « ولا شكّ في أنّ هذه الأوصاف والمسميات الّتي ذكرها الجاحظ لا تدلّ على أنّ كلام العرب طبقات فقط، بل إذا أضيف إليها ما ورد على ألسنة السابقين في مجالسهم الناقدة من كلمات تدور حول

---

[1]- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم (د.ط ؛ الشركة المصرية للطباعة : القاهرة، 1971م) ص 9 - 10.

[2]- هو : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، ولد بالبصرة سنة 190 هـ، معتزلي. عالم أديب مشارك في أنواع العلوم. سمع من أبي عبيدة والأصمعي، وأخذ الكلام عن النظام، وتلقن الفصاحة من العرب شفاهاً. له مصنفات كثيرة في التوحيد وإثبات النبوة، وفضائل المعتزلة، توفي سنة 255 هـ بالبصرة، أيام خلافة المهدي، من كتبه ((الحيوان)) و ((البيان والتبيين)) وله رسائل مطبوعة [انظر : الأعلام للزركلي 2 / 729 ؛ وفيات الأعيان 3 / 140 ؛ سير أعلام النبلاء 8 / 140 – 141 ؛ معجم الأدباء 16 / 74 – 114].

[3]- الخطل : ذو الخطل، وهو الكلام الفاسد الكثير، والمسهب : بضم الميم وكسر الهاء وفتحها : الكثير الكلام. [انظر : القاموس المحيط 3 / 379).

[4]- والمسهب : بضم الميم وكسر الهاء وفتحها : الكثير الكلام. [انظر : لسان العرب لابن المنظور 3 / 2131).

[5]- رجل مهمار : كثير الكلام، والمهماز (التحريف)، قال : رجل هُمار، ومهمار، ومهمر أي مكثار الكلام. [انظر : لسان العرب لابن المنظور 3 / 2131].

[6]- التلقاعة والتلقاع بكسر التاء واللام وتشديد القاف : الكثير الكلام. [انظر : مجمع مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا 5 / 263 ؛ لسان العرب لابن المنظور 5 / 4062].

[7]- تلهيع في كلامه : أفرط فيه. [انظر : مجمع مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت. 390 هـ) 5 / 217].

[8]- الجاحظ، البيان والتبيين (ط4 ؛ دار الفكر : بيروت، د.ت) 1 / 90 - 91.

المعاظلة والمطابقة والإيجاز والصدق والمبالغة والتوعر، فإنّ ذلك كلّه يرسم الجوّ البلاغي الّذي تنفست فيه المعاني البيانية قبل أن ترسمها المصطلحات البلاغية المحدثة، وفي ذلك ما يدفعنا إلى ملامسة الأصول الأولى للتّفسير البياني للقرآن الكريم لدى الأوائل من سامعيه »[1].

ونحن نرى أن الحقّ مع الدّكتور محمّد رجب البيومي فيما ذهب إليه، وذلك أنّنا إذا تأمّلنا قول الجاحظ، وجدنا ما يدعمه في ما ورد عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- حين تعرّض في تفسيره للقرآن إلى توضيح كثير من تشبيهاته وكناياته، نذكر لها بعض الأمثلة :

1. بيانه عليه الصّلاة والسّلام للخيط الأبيض والأسود في آية الصّيام ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾[2]، ببياض النّهار وسواد اللّيل[3]، منتقلاً بالمعنى من الحقيقة إلى المجاز.

2. لما نزل قول الله عزّ وجلّ : ﴿ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴾[4] شقّ ذلك على المسلمين فقالوا " يا رسول الله وأيّنا لا يظلم نفسه "؟ فقال عليه الصّلاة والسّلام " ليس ذلك، وإنّما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ﴿ يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[5] "[6] ..وتفسير الظلم بالشرك هنا على سبيل المجاز[7].

ثم إذا تأملنا تفسير الصّحابة والتّابعين -رضوان الله عليهم- وجدنا جذور التّفسير البياني للقرآن الكريم كذلك، وأشهر من عرف عنه هذا اللون من التّفسير في طبقة الصحابة

---

[1]- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 11.

[2]- البقرة : 187.

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب : التفسير، باب : وكلوا واشربوا...لعلكم تتقون. رقم 4510، 8 / 229 ؛ سنن النسائي بشرح الإمام السيوطي، كتاب : الصيام، باب : قوله تعالى : وكلوا واشربوا ... الخيط الأسود : 4 / 147 ؛ سنن الدارمي، كتاب : الصيام، باب : متى يمسك المتسحر من الطعام، 2 / 5.

[4]- الأنعام : 82.

[5]- لقمان : 13.

[6]- فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب : التفسير، باب : لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم، رقم 4776، 8 / 651 ؛ صحيح مسلم، كتاب : الإيمان، باب : صدق الإيمان وإخلاصه، 1 / 114.

[7]- انظر : محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقران الكريم، ص 13.

" عبد الله بن عبّاس[1] " -رضي الله عنهما-، حيث اعتبره بعض المؤرّخين للتّفسير صاحبَ الرأي الخاص في تفسير القرآن تفسيرًا لغويًا، يرجع فيه إلى شعر العرب لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتّراكيب[2].

فهناك أمثلة عدة ، مما تبرز الحس البلاغي عند ابن عبّاس -رضي الله عنهما- في تفسيره، نذكر منها :

1. ما رواه ابن جرير الطّبري[3] في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[4] « أنّ عمر رضي الله عنه سأل النّاس عن هذه الآية، فما وجد أحداً يشفيه حتّى قال ابن عبّاس -رضي الله عنهما- وهو خلفه : " يا أمير المؤمنين، إنّي أجد في نفسي منها شيئاً "، فالتفت إليه فقال : " تحوّلْ ههنا لِمَ تحقر نفسك؟ " قال : " هذا مثلٌ ضربه الله عزّ وجلّ، فقال أيودّ أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فني عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله،

---

[1]- هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس، حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة سنة 4 قبل الهجرة، ونشأ في بدء عصر النبوة، لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين. قال عنه ابن مسعود : "نعم ترجمان للقرآن ابن عباس ". [لنظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : 3 / 7066 ؛ حلية الأولياء : 1 / 314 – 329 ؛ وفيات الأعيان 3 / 62 – 64 ؛ الأعلام للزركلي 4 / 95 ؛ شذرات الذهب 1 / 75 ؛ تهذيب التهذيب 5 / 242 – 244].

[2]- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 14.

[3]- هو : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. من أهل آمل في طبرستان. ولد سنة 224 هـ، ورحل من بلده وهو في الثانية عشرة من عمره طلباً للعلم، فجاء مصر والشام والعراق، واستقر ببغداد، وكان من أئمة الحديث أهل الرواية والضبط المتقن، وقد شارك البخاري في كثير من أساتذته، وروى عن العراقيين والشاميين، كان ذا ثقافة موسوعية، فهو كما قلنا من كبار أئمة الحديث، وهو شيخ المؤرخين، ومن كبار علماء القراءات، ومن فحول علماء العربية، كما كان إماماً مجتهداً صاحب مذهب فقهي. وقيل أن مذهبه شافعي، وذلك قبل أن ينفرد بمذهب. وكان من الأتقياء الصالحين. توفي سنة 310 هـ ببغداد. [انظر : تاريخ بغداد 2 / 162 ؛ وفيات الأعيان 4 / 191 ؛ معجم الأدباء : 5 / 242 ؛ البداية والنهاية 11 / 145].

[4]- البقرة : 266.

فحرقه أحوج ما كان ليه " »[1]، فتفسير ابن عباس هنا، كان من باب الاستعارة التمثيلية، حيث ألمع إليه بقوله المقارِب " هذا مثل ضربه الله عز وجل... "الخ.

2. أتى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- سائل فسأله عن تفسير قول الله عز وجل ﴿ أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] فقال اذهب إلى ابن عباس ثم تعال فأخبرني فذهب فسأله فقال كانت السماوات رتقاً لا تمطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر -رضي الله عنهما- فأخبره فقال : " قد كنت أقول ما تعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً "[3].

وتاريخ التفسير يحدّثنا مرارًا عن لقاء " نافع بن الأزرق[4] " بابن عباس رضي الله عنهما فيقول : « بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لـــ" نجدة بن عويمر ": " قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنّا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال بن عباس: سلاني عما بدا لكما »[5]، فسأله " نافع " عن أكثر من مائة وثمانين مسألة أوردها " السيوطي" في الإتقان[6]، مما يدلّ على أن خُلّص العرب كانوا يقفون عند بعض الألفاظ القرآنية ويستدلون على معانيها من الشعر الجاهلي[7].

---

[1]- تفسير الطبري (د.ط ، دار الفكر : بيروت، 1978م) 3 / 51.

[2]- الأنبياء : 30.

[3] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون (د.ط، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، د.ت) 1 / 52 – 53.

[4]- هو: نافع بن الأزرق الحنفي، من بني حنيفة، أحد الشجعان الأبطال في العصر الأموي، كان أمير قومه وفقيههم، وإليه تنسب فرقة الأزارقة التي لقي المهلب بن أبي صفرة الأهوال في حربها، قُتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة 65 هـ. [انظر : الأعلام للزركلي 3 / 1094].

[5]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ط1 ، دار الكتب العلمية : بيروت، 1987م) 1 / 120.

[6] المرجع نفسه : ص 120 – 133.

[7]- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 14.

وإذا كان قد صدَر عن عبد الله بن عباس ما ينتمي إلى التفسير البياني، فإن ملامح هذا النوع من التفسير ظهرت بوضوح عند تلاميذه أمثال " مجاهد[1] " و" عكرمة[2] " و" ابن جبير[3] " و" ابن أبي رباح[4] "، وقد أشار إلى أمثلة منها الأستاذ " محمد فؤاد عبد الباقي " في كتابه ((معجم غريب القرآن))[5].

كل هذا كان قبل عصر التدوين، أما في عصر التدوين فأول ما يصادفنا فيه كتاب ((مجاز القرآن)) لـ" أبي عبيدة معمر بن المثنى[6] " (ت 210 هـ)، حيث أنه حين يتعرض في كتابه للنصوص القرآنية يشير إلى ما تدل عليه من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية أو ما يتضمن من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير، فوضع بذلك اللبنة الأولى في الدراسات البلاغية للقرآن الكريم، وقد يكون في ذلك بعض التجوز في التحديد، ولكنه منهج مبدئي، وله بذلك موضعه من التقدير[7].

---

[1]- هو : مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر، من أهل مكة، ولد سنة 21 هـ، قال الذهبي : " شيخ القراء والمفسرين " ، أخذ التفسير عن ابن عباس، وتنقل في الأسفار، واستقر بالكوفة، ويقال أنه مات ساجداً سنة 104 هـ [انظر : سير أعلام النبلاء 4 / 449 ؛ شذرات الذهب 1 / 125 ؛ حلية الأولياء 3 / 279].

[2]- هو : عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي، كان أبوه من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم، أسلم بعد فتح مكة وولي العمال لأبي بكر رضي الله عنه واستشهد في اليرموك وعمره 62 سنة في سنة 13 هـ. [انظر : سير أعلام النبلاء 1 / 323 ؛ تهذيب التهذيب 7 / 257 ؛ الاستيعاب 8 / 116 ؛ شذرات الذهب / 27].

[3]- هو : سعيد ابن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله، تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، ولد سنة 45 هـ، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، قال فيه ابن عباس " أتسألوني وفيكم ابن أم دهماء ؟ " يعني سعيداً. قتله الحجاج بواسط سنة 95 هـ، قال الإمام أحمد : " قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه ". [انظر : طبقات ابن سعد 6 / 267 – 277 ؛ تذكرة الحفاظ 1 / 76 ؛ حلية الأولياء 4 / 272 – 309].

[4]- هو : عطاء ابن أبي رباح ابن أسلم بن صفوان تابعي، من أجلاء الفقهاء، كان عبداً أسوداً، ولد في جند باليمن سنة 27 هـ، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي بها سنة 114 هـ .[انظر : حلية الأولياء 3 / 310 ؛ وفيات الأعيان 3 / 261].

[5]- انظر : محمد فؤاد عبد الباقي، معجم غريب القرآن (د.ط ؛ دار الحديث : القاهرة، د.ت).

[6]- هو : أبو عبيدة معمر بن المثنى، اشتغل بالتفسير والرواية وأيام العرب واللغة، ولد في بغداد وتوفي فيها سنة 564 هـ، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، من كتبه ((ديوان الشعر)) و ((المجازات النبوة)) و ((مجاز القرآن)) و ((مختار شعر الصانين)). [انظر : الأعلام للزركلي 3 / 889].

[7]- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 46.

وجاء بعده عدد من المؤلفين خاضوا في هذا المضمار، فألّف " الفرّاء[1] " (ت 207 هـ)كتابه ((معاني القرآن))، حيث أنه في كتابه هذا، قد خاض في مثل ما خاض فيه أبو عبيدة من ألوان العربية، وإن غلب النحو على منهجه، ودراسة الكتابين توحي بإتحاد المنحنى لدى الرجلين في البدء بتفسير الآيات حسب ترتيبها في المصحف سورة سورة، وإنْ توسع الفراء في توجيه القراءات، وتخريج الإعراب، فقد ألم بكثير مما ألم به أبو عبيدة من مسائل البيان من كناية وتشبيه و مثل واستعارة ومجاز[2].

وجاء بعدهم الجاحظ (ت 225 هـ)، فألّف كتباً هامة منها : ((نظم القرآن)) و ((آي القرآن)) - وكلاهما كتاب مفقود - و ((الحيوان)) و ((البيان والتبيين)) و ((حجج النبوة))، وقد اشتملت هذه الكتب كلها على كثير من الإشارات البلاغية في القرآن. ويقول الجاحظ : ((ولي كتاب جمعت فيه آياً من القرآن لتعرف بها فضل ما بين الإيجاز والحذف وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبته لك في باب الإيجاز وترك الفضول، فمنها قوله حين وصف خمر الجنة ﴿ لا يُصَدَّعُوْنَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُوْنَ ﴾[3] وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا، وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة فقال ﴿ لاَ مَقْطُوْعَةٍ وَلاَ مَمْنُوْعَةٍ ﴾[4] جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني، وهذا كثير قد دللناك عليه فإن أردت فموضعه مشهور))[5].

---

[1] - هو : أبو زكريا، يحي بن زياد الفراء الديلمي، من موالي بني أسد. أخذ عن الكسائي، وكان إماماً ثقة ذا حظوة عند المأمون، وقد عهد إليه بتعليم ابنيه النحو. واقترح عليه أن يألف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية، وأمر أن تفرد له حجرة من الدار، ووكل بها خدماً للقيام بما يحتاج إليه، وعين له نفراً من الوراقين، يكتبون ما يمليه حتى صنف كتاب ((الحدود)) في سنتين، ثم خرج للناس، وأملى كتاب ((المعاني)) وهو ورود كتاب من أحد أصحابه، وهو عمر بن بكير، يطلب إليه كتابة تفسير للقرآن حتى يعتمده في الإجابة عندما يسأل. توفي الفراء سنة 207 هـ. [انظر : غاية النهاية 2 / 371 ؛ تاريخ بغداد 14 / 149 ؛ تهذيب التهذيب 11 / 186 ؛ شذرات الذهب 2 / 19].

[2] - محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 59.

[3] - الواقعة : 19.

[4] - الواقعة : 33.

[5] - الجاحظ، الحيوان (ط3 ؛ دار و مكتبة الهلال : بيروت، 1995) 3 / 86.

ولعل هذا النص يؤكد جهدَ هذا البيانيّ الكبير في استشفاف أسرار القرآن البلاغية، ويحفظ له مكانته الرائدة في هذا المجال. أمّا عن جهوده وإسهاماته فسنخصّص لها مجالاً عند حديثنا عن جهود الأقدمين في التفسير البياني.

وجاء بعد الجاحظ " ابن قتيبة[1] " (ت 276 هـ) وألّف كتابه « تأويل مشكل القرآن » ردّ فيه على الطاعنين في بلاغة القرآن الكريم، وقد استفاد من جهود من سبقه في الدراسات البيانية للقرآن، حيث وقف على آراء الجاحظ في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض والإطناب والاختصار، ولكنه حين ألمّ بآراء سابقيه لم يسردها سرد الناقل، أحكم تبويب كتابه إحكامًا يدلّ على دقة وبصر، فوضع كل رأي في موضعه المستريح[2].

أما في القرن الرابع الهجري، فقد اختار أغلب من تصدوا لهذا اللون من التفسير عنوان « إعجاز القرآن »، فألّف " أبو الحسن علي بن عيسى الرماني[3] " (ت 384 هـ) كتابه « النكت في إعجاز القرآن »، وألّف " أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي[4] " (ت 386 هـ) « بيان إعجاز القرآن ». وفي هذا القرن أيضا ألّف قاضي المعتزلة " عبد الجبار أبو الحسن[5] "

---

[1]- هو : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ، وقيل المروزي. النحوي اللّغوي صاحب كتاب ((المعرف)) و ((أدب الكاتب)). ولد ببغداد وقيل بالكوفة سنة 213 هـ، وأقام بالدّينور مدّة قاضيا فنسب إليها. وتوفّي سنة 276 هـ. [انظر : وفيات الأعيان : 2 / 42].

[2]- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 93.

[3]- هو : أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، باحث معتزلي ومفسر، و أديب نحوي لغوي، أصله من سامراء، ومولده ببغداد سنة 296 هـ، ووفاته بها سنة 384 هـ، له نحو 100 مصنف، منها ((الأسماء والصفات)) و ((التفسير)) و ((شرح سيبويه)) و ((النكت في أعجاز القرآن)). [انظر : الأعلام للزركلي 2 / 684 ؛ معجم الأدباء 14 / 73].

[4]- هو : أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي، ولد زيد بن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب. قال السمعاني : " كان الخطابي حجة صدوقا، رحل إلى العراق والحجاز وحال خراسان..." وقال الثعالبي : " كان يُشبَّهُ في زماننا بأبي عبيد القاسم بن سلام ". وتوفي سنة 386 هـ. [انظر : معجم الأدباء 1 / 630 – 639].

[5]- هو : عبد الجبار أبو الحسن العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، من كبار فقهاء الشافعية. له تصانيف كثيرة، منها : ((الأمالي في الحديث)) و ((دلائل النبوة))، ولي قضاء القضاة بالري، مات في ذي القعدة سنة 415 هـ. [انظر : سير أعلام النبلاء 17 / 244 ؛ تاريخ بغداد 11 / 113؛ ميزان الاعتدال 2 / 533 ؛ لسان الميزان 3 / 424].

(ت 415 هـ) كتابه ((المغني في أبواب التوحيد والعدل)) خصّ إعجاز القرآن بجزء مستقل، كما ألّف أيضًا " أبو بكر الباقلاني[1] " (ت 403 هـ) كتاب ((إعجاز القرآن)).

ولعل أشهر من تصدى لهذا اللون في القرن الخامس الهجري " عبد القاهر الجرجاني "[2] (ت471 هـ) حين ألّف كتاب " دلائل الإعجاز " ورسالته التي سماها ((الرسالة الشافية)). وسنقوم بعرض بعض جهوده في هذا المجال عندما نعرض جهود الأقدمين في ذلك .

وجاء القرن السادس الهجري، فألّف فيه " أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري[3] " (ت 538 هـ) تفسيره ((الكشاف))، وسنقوم بدراسة بعض جهوده عند الحديث عن جهود المتقدمين في التفسير البياني.

وفي أواخر هذا القرن ألّف " فخر الدّين الرّازي[4] " (ت 606 هـ) رسالته ((نهاية الإيجـــاز

---

[1]- هو : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر الباقلاني، قاض من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد بالبصرة سنة 338 هـ، وسكن بغداد وتوفي فيها سنة 403 هـ. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. من كتبه ((إعجاز القرآن)) و ((الإنصاف)) وغيرها كثير. [انظر : الأعلام للزركلي 6 / 176 ؛ وفيات الأعيان 4 / 269].

[2]- هو : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الأشعري الشافعي الفارسي الأصل. ولد في جرجان. نحوي بياني، فقيه، متكلم، مفسر، واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة، وله شعر رقيق. من كتبه ((أسرار البلغة)) و ((دلائل الإعجاز)) و ((الجمل)) في النحو و ((العمدة)) في التصريف، توفي سنة 471 هـ. [انظر : الأعلام للزركلي 4 / 174 ؛ معجم الأدباء 14 / 14 ؛ سير أعلام النبلاء : 11 / 46].

[3] هو : محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزّمخشري الخوارزمي النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر. وقد عرف بجار الله، لأنه جاور في مكة مدة من الزمان. ولد في زمخشر سنة 467 هـ، وتوفي ليلة عرفة في جرجانية من قرى خوارزم سنة 538 هـ. كان من أكبر رؤوس الاعتزال في عصره، وكان حنفي المذهب، وترك عدة كتب نافعة، من أشهرها : ((أساس البلاغة في مفردات اللغة)) التي تستعمل في المجاز، و ((المفصل)) في النحو، و ((الفائق)) في غريب الحديث، وغير ذلك [نظر : البداية والنهاية 12 / 219 : طبقات المفسرين، للداودي 2 / 314].

[4]- هو : محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام القرشي البكري، فخر الدين الرازي، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الشافعي المفسر المتكلم، ولد في الراي سنة 544 هـ ونسب إليها، وهو قرشي النسب. رحل في طلب العلم، واستطاع أن يبلغ فيه المنزلة العالية، فقد كان متفرقاً في العلوم العقلية والنقلية، وكان طبياً مشهوراً، وكان واعظاً بارعاً، وكان يحسن الفارسية، وله شعر بها وبالعربية. وكان صاحب وقار، له هيئة جميلة، إذا ركب مشى معه نحو الثلاثمائة. وله ((التفسير الكبير)) و ((المحصول)) في اصول الفقه، و ((شرح أسماء الحسنى)) وغير ذلك. توفي في هراة سنة 606 هـ. [انظر : البداية والنهاية 13 / 55 ؛ شذرات الذهب 5 / 21 ؛ طبقات المفسرين للسيوطي، ص 100 ؛ طبقات المفسرين، للداودي 2 / 214 ؛ وفيات الأعيان 3 / 381].

في دراية الإعجاز ». وفي القرن السابع وضع " أبو الأصبع المصري[1] " (ت 654 هـ) كتابه « بديع القرآن » وكتابه « الخواطر السوانح في أسرار الفواتح ».

وفي القرن الثامن وضع " الإمام يحيى بن حمزة العلوي[2] " (ت 749 هـ) كتابه « الطراز » الذي أملاه على أصحابه بعد أن قرؤوا تفسير « الكشاف » فطلبوا منه أن يملي عليهم في إعجاز القرآن كتاباً فأملاه عليهم.

وفي القرن التاسع ألّف " برهان الدّين بن عمر البقاعي[3] " (ت 885 هـ) كتابه « نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور ». وفي أواخر هذا القرن وأوائل القرن العاشر جاء " الإمام جلال الدّين السيوطي[4] " (ت 911 هـ) صاحب المؤلّفات والمصنّفات في هذا الموضوع وغيره، ومنها كتابه « تناسق الدّرر في تناسب السور » وغيره كثير.

ولا يعرف كتاب أو تفسير من هذا اللّون في القرنين الحادي عشر والثاني عشر. أمّا القرن الثالث عشر فقد ألّف فيه " شهاب الدّين السيد محمود الألوسي[5] " (ت 1217 هـ)

---

[1]- هو : عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري. شاعر من العلماء بالأدب. مولده ووفاته بمصر (595 – 654 هـ). له تصانيف حسنة، منها : ((بديع القرآن)) و ((تحرير التحبير)) وغيرهما. [انظر : الأعلام للزركلي 4 / 30].

[2]- هو : هو يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم الحسني العلوي، من أكابر أئمّة الزيديّة وعلمائهم في اليمن. ولد في صنعاء 669 هـ. وأظهر الدّعوة بعد وفاة " المهدي " محمد بن المطهر سنة 729 هـ، وتلقّب بالمؤيّد بالله، واستمرّ إلى أن توفّي في حصن هران سنة 745 هـ. من تصانيفه ((الشامل في أصول الدّين)) و ((نهاية الوصول إلى علم الأصول)) وغيرها كثير. [انظر : الأعلام للزّركلي 8 / 143].

[3]- هو : إبراهيم بن عمر بن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي. ولد سنة 809 هـ في البقاع في سورية. سكن دمشق، ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، فهو مؤرخ وأديب. له مؤلفات كثيرة منها : ((عنوان الزمن في تراجم الشيوخ والأقران)) و ((نظم الدرر في تناسب الآيات والسور))، توفي بدمشق سنة 885 هـ [انظر : شذرات الذهب 7 / 339 ؛ البدر الطالع 1 / 18].

[4]- هو : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد سنة 849 هـ بالقاهرة. مات والده وعمره 5 سنوات، كان يلقب بابن الكتب، له نحو 600 مصنف من كتاب إلى رسالة، منها : ((الإتقان في علوم القرآن)) و ((تدريب الراوي)) و ((الأشباه والنظائر)). وافته المنية سنة 911 هـ. [انظر : شذرات الذهب 8 / 51 ؛ والأعلام للزركلي 3 / 301].

[5]- هو : محمود بن عبد الله الحسين الآلوسي، شهاب الدين. مفسر محدث، أديب من المجددين، من أهل بغداد، ولد سنة 1802م، وتوفي سنة 1854م. كان سلفي الاعتقاد مجتهداً، تقلّد الإفتاء ببلده سنه 1248 هـ، سافر إلى الموصل فالأستانة، ومرّ بمردين وسيواس. أكرمه السلطان عبد المجيد وعاد إلى بغداد يدون رحلاته، من مصنفاته ((روح المعاني)) في التفسير و ((غرائب الاغتراب)) ضمنه تراجم الذين لقيهم. [الأعلام للزركلي 7 / 176].

تفسيره « روح المعاني » حتى عدّه بعض المعاصرين « امتداداً لتفسير الكشّاف للزمخشري في الاهتمام بالمسائل البلاغية والنحوية »[1].

فهذه إشارة سريعة إلى نشأة وتاريخ التفسير البياني، حيث انتهى بنا القول بأن التفسير البياني له جذور قديمة تصل إلى عصر الإسلام الأول. أما ما عرضناه هنا لا يقصد به الاستيفاء ولا الشمول ولا الاستقصاء، وإنما قصد بها الإشارة إلى وجود الدّراسات البيانية للقرآن الكريم عند الأقدمين، وتسلسلها عبر القرون، واتصالها بعضها ببعض من عصر نزول القرآن إلى القرن الرابع عشر الهجري.

المطلب الثالث : من جهود الأقدمين في التفسير البياني :

حتى نؤكد أن للمتقدمين جهودا تمتد إليها جذورالتفسير البيان، لابدّ من إبراز جهودهم التطبيقية من خلال تفسيرهم لآي القرآن الكريم بيانياً، ولتحقيق ذلك اخترنا ثلاثة نماذج من كبار الذين اهتمّوا بالدرس القرآني من الناحية البيانية وهم : الجاحظ، عبد القاهر الجرجاني، والزمخشري.

أ – جهود الجاحظ :

لم يؤلّف الجاحظ كتاباً مستقلاً في التفسير، ولكنه مع ذلك فارس التفسير البياني، فتح بعض أكمامه، ورسم ملامح طريقه. ذلك لأنه بما ضرب من أمثلة قرآنية على ما يريد من فنون البلاغة وأساليب البيان، قد جعل القرآن – كما هو دائماً – القمة التي تتجه إليها الأنظار، فأطال في الاستشهاد بفرائده، ووقف عند كثير من آياته محلّلاً شارحاً، ومهتدياً إلى أسرار تفتحت مغاليقها على يديه، حتى اجتمعت له من ذلك أصول وافية، كانت أسس البلاغة العربية الوطيدة[2].

---

[1] – حفني محمد شرف ،إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، 1390هـ) الكتاب الرابع، ص 303 .

[2] محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 64.

لقد تعاطى تفسيرَ القرآن في زمن الجاحظ نفرٌ ممّن يجمُدون أمام اللفظ، فلا يجاوزون معناه الحرفي إلى دلالته المجازية وإن اقتضى السياق هذه الدلالة، ونطقت بها الشواهد والقرائن، لأنهم ينكرون وجود مجاز في القرآن، ويزعمون أن كل لفظ في القرآن حقيقة تتقيد بمدلولها اللغوي وحده، لهذا رأى الجاحظ أن يضيّق على أصحاب هذا التفكير، فكرّر في عدة مواضع من كتبه إشاراته القوية إلى المجاز القرآني.

لم يكن الجاحظ في تفسيره لآيات القرآن ممن يغربون في التأويل، فإن تبصره بالأساليب الأدبية كان يهديه إلى أسرار البيان فيما يتناول من كتاب الله، وإن خالف نفراً ممن يتمسكون في تفسير القرآن بالمرويات المنسوبة إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن طريق لم يتأكد[1].

لقد نظر الجاحظ إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فأطال النظر الفاحص ليهتدي إلى أسس وضابط في التحليل والاستنتاج، كانت عونَ البلاغيين جميعاً في كثير مما كتبوه عن اللفظ والجملة والصورة، فما تحدّث البلغاء عن فصاحة الكلمة، وفصاحة الكلام، وأسرار الحذف والذكر ومواضع الإيجاز والإطناب، وجمال التشبيه والكناية والاستعارة وغيرها من الأبواب إلا بعد أن عرض لهم الجاحظ إضاءاته الدقيقة من استشفافه الذوقي لكتاب الله[2].

فقد تحدّث الجاحظ عن ألفاظ القرآن حديثاً لم يُسمع من أحد قبله إذ قال في الباب الأول من " البيان والتبيين " : « وقد يستخفُّ الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلاّ في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، كذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامّة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نَزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعا! والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر

[1] - محمد وجب البومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 78.

[2] - المرجع نفسه، ص 80.

وأولى بالاستعمال، وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج »[1].

هذا بعض قول الجاحظ، ومعناه الصريح أن ألفاظ اللغة مهما كانت صحيحة ليست مما يساق سوقاً دون اختيار، وإنما تحسن الكلمة في موضع وتشوه في سواه، وأن المفرد قد يقابل بالجمع، كما يقابل الجمع بالمفرد لمزية واضحة يتطلبها الحسّ الفني في التعبير، كما أن الكلمة قد تدل على معاني شتى في وضعها اللغوي، ولكن القرآن يقصرها على معنى واحد لا يتعداه، ولذلك استعمل الله في القرآن الجوع والخوف في موضع العقاب وحدهما، مع أن اللغة تجيز أن يجمع اللفظان أو يفردا على حدى، كما تجيز أن يجمع السمع ويفرد البصر على غير ما جاء القرآن وكيف جمعت السماوات في كتاب الله و لم تأت الأرض مجموعة مع أن جمعها مشتهر ذائع في غير القرآن ؟[2].

وإذا كان كتاباه المتداولان « الحيوان » و « البيان والتبيين » قد حفظت أجزاؤهما كثيرًا من إشارات الجاحظ البيانية، فإننا حينما نعتمد عليهما في توضيح المجهود البياني لدى الجاحظ في تفسير القرآن،

سنجد من خلال الأمثلة الواردة فيهما عمق التأمل وقدرة الاستنباط والعلم بخفايا اللغة ودقائقها.

ومن أمثلته ما ذكره تفسيراً لقول الله عز وجل عن شجرة الزقوم: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [3] قوله : « زعم أناس أن رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كريه، والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير، وقالوا ما عنى إلا رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم، فقال أهل الطعن والخلاف كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه، ولا وصفت لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق، ومخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة والتفزيع منها، وعلى أنه لو كان شيء أبلغ فالزجر من ذلك

---

[1] - الجاحظ، البيان والتبيين 1 / 20.

[2] - محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني، ص 81 .

[3] الصافات : 65.

لذكره، فكيف يكون إنسان كذلك، والناس لا يفزعون إلاّ من شيء هائل شنيع قد عاينوه، أو صوّره لهم واصف صدوق اللسان بليغ في الوصف، ونحن لم نعاينها ولا صورها لنا صادق، وعلى أن أكثر الناس من هذه الأمم لم يعايش أهل الكنائس وحملة القرآن من المسلمين، ولم يسمعوا الاختلاف ولا يتوهمون ذلك ولا يقفون عليه، ولا يفزعون منه فكيف يكون ذلك وعيداً عاماً؟. قلنا وإن كنا نحن لم نر شيطاناً ولا يصف رؤوسها لنا صادق بيده، ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين أحدهما أن يقولوا لهو أقبح من الشيطان، والوجه الآخر أن يسمّى الجميل شيطاناً على جهة التطير له كما تسمى القرس الكريمة شوهاء، والمرأة الجميلة صماء قرناء وخنساء وجرباء وأشباه ذلك على جهة التطير منه، ففي إجماع المسلمين والعرب وكل من لاقينا، على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح »[1].

ومحل هذا القول في مضمار الحديث عن التفسير البياني للجاحظ أنّ الرجل لا يترك توسعه الجدلي حين يورد شُبه مخالفيه في هذا التفسير، بل يمد ويُفيض ويتسع حتى لا يبقي حلجة تجول في نفس معترض.

و هناك مثال آخر من تفسيره البياني حين تعرّض إلى تأويل قول الله عز وجل : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾[2]، حيث قال: « فقد اعترض المعترضون في هذه الآية... فزعموا أن هذا المثل لا يجوز أن يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام، لأنه قال ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾ فما يشبه حال من أُعطي شيئاً فلم يقبله، ولم يذكر غير ذلك بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولى ذاهباً وإن تركته شدّ عليك ونبح، مع أن قوله « يلهث » لم يقع في موضعه، وإنما يلهث الكلب من عطشٍ شديدٍ وحرّ شديد،

[1] - الجاحظ، الحيوان 6 / 427.

[2] - الأعراف : 175 – 176.

ومن تعب، وأما النباح والصياح فمن شيء آخر »[1]. ردّ الجاحظ على هذ الكلام فقال : « قلنا له إن قال : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ فقد يستقيم أن يكون الرادّ لا يسمى مكذباً، ولا يقال لهم كذبوا إلاّ وقد كان ذلك منهم مراراً، فإن لم يكن ذلك فليس بعيداً أن يشبه الذي أوتي الآيات والأعاجيب والبرهانات والكرامات في بدء حرصه عليها وطلبه لها بالكلب في حرصه وطلبه، فإن الكلب يعطي الجدّ والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات، وشبه رفضه وقذفه بها من يأسه وردّه لها بعد الحرص عليها، وفرط الرغبة فيها بالكلب إذا رجع ينبح بعد اضطرادك له، وواجب أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفسية في وزن طلبها الحرص عليها، والكلب إذا اتبع نفسه في شدة النباح مقبلاً إليك و مدبراً عنك لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش، على أننا ما نرمي بأبصارنا إلى كلابنا وهي رابضة وادعة، إلاّ وهي تلهث من غير أن تكون هناك إلا حرارة أجوافها، والذي طُبِعَت عليه من شأنها، إلاّ أن لهث الكلب يختلف بالشدة واللين »[2].

إلى جانب هذه الأمثلة الموجودة في كتاب « الحيوان »، هناك أمثلة أخرى في كتابه « البيان والتبيين » :

1- في قوله تعالى : ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [3]. قال الجاحظ : « العذاب يكون نزلاً[4]، ولكنه لمّا أقام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم سمّي باسمه، وقال الآخر :

فقلت اطعمني عمير تمرا فكان تمري كهرة وزبرا [5].

والتمر لا يكون كهرة وزبرا ولكنه على ذا »[6].

---

[1]- الجاحظ، الحيوان 2 / 223.

[2]- المرجع نفسه : 2 / 224.

[3] الواقعة: 56.

[4]- النزل : ما يقدم للنازلين من طعام أو شرب. [انظر : لسان العرب لابن المنظور 6 / 4399].

[5]- الكهرة : الاستهانة بالضيف والعبوس في وجهه، والزبر : النهر والزجر. [انظر : لسان العرب لابن المنظور 5 / 3946].

[6]- الجاحظ، البيان والتبيين 1 / 159.

2- في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾[1]، قال الجاحظ : « وليس في الجنة بكر ولا عشي، ولكنه على مقدار البكر والعشيات »[2].

3- قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾[3] ، قال الجاحظ : « والخزنة الحفظة، وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ، ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به »[4].

هذه بعض ملامح التفسير البياني عند الجاحظ، والتي تؤكد لنا جهوده البارعة في هذا المجال.

ب- جهود عبد القاهر الجرجاني :

إذا كان عبد القاهر الجرجاني في ميدان البلاغة قمة لا تُستدرك، وجهوده فيها ممّا يقدّره الدارسون أحسن تقديرٍ، فإن آثاره في مجال التفسير البياني للقرآن كانت من القوة والنفاذ، بحيث أصبحت الشاغل الدائم لأكثر من تعاطوا إيضاح البيان القرآني.

وإذا نظرنا إلى دراسة عبد القاهر الجرجاني في البيان القرآني، وجدناه يدير حديثه في ثلاثة كتب من مؤلفاته، في « الرسالة الشافية » و « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة ».

وإذا تتبعنا مؤلّفاته تلك، نلاحظ الشواهد والآيات القرآنية وتحليلاتها البيانية كثيرة جداً. حيث وجدنا أنه أورد في « الرسالة الشافية » ثمان آيات من خمس سور، وفي كتاب « دلائل الإعجاز » أورد مائة و ستاً وستين آية، من خمس وأربعين سورة، ويقع كتاب الدلائل في حدود ثلاثمائة وأربع وستين صفحة من القطع المتوسط، وفي كتابه « أسرار البلاغة » نرى أن عبد القاهر قد أورد تسعا وثلاثين آية من خمس و عشرين سورة.

فهذا يفسّر ما ذهبنا إليه من أن عبد القاهر انشغل بالتفسير البياني للقرآن، ولكن رغم كثرة الشواهد القرآنية وتحليلها نلاحظ أن عبد القاهر درس البيان القرآني من وجهة الوسيلة

---

[1]- مريم : 62.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين 1 / 153.

[3]- غافر :.49.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين 1 / 153.

المؤدية إلى فهمه أكثر، حيث وجه عبد القاهر إلى قصور دراسات السابقين في توضيح طريقة العرب في فهم البيان القرآني. ولذا لم يرتض الوسائل التي جعلوها من وجوه الإعجاز القرآني، إذ تتخلف في ناحية من القرآن، وتصدق في أخرى، ولذا حاول جاهدًا أن يقدم طريقة تتمثل في القرآن كله، وجعل هذه الطريقة باسم « النظم » ولكنه لم يطبّقها في البيان القرآني، بل كان همّه تقديم وسيلة وكفى[1]. وهو بهذا ما أراد أن يكتب في التفسير البياني للقرآن، إنما أراد أن يقدّم نموذجاً لفهم التفسير البياني من خلال النموذج[2].

وستعرض بعض الشواهد من مؤلفات عبد القاهر التي تؤكد جهوده في مجال التفسير البياني للقرآن :

حين بدأ عبد القاهر في دلائل الإعجاز بتوضيح ما عناه بنظم الكلام، أراد أن يبين بما لا يدع مجالاً للشك أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمٌ مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى جارتها وفضل مؤانساتها لأخواتها، ثم ساق الدليل على ذلك من قول الله عز وجل: ﴿ وَقِيْلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[3]، فشرح الآية شرحاً بيانياً، وجلّى ما يعنيه بالنظم تجلية زاهية، قال فيها : « إن شككت فتأمّل، هل ترى لفظة منها بحيث لو أُخذت من بين أخواتها وأفردت لأدّت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية، قل « ابلعي » واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها، وكيف بالشك في ذلك، و معلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت ثم في أن كان النداء بـــ« يا » دون « أي » نحو : (يا أيتها الأرض) ثم إضافة الكاف إلى الماء ، دون أن يقال ابلعي الماء، ثم أن اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ثم أن قيل: ﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾،

---

[1]- محمد بركات حمدي أبو علي، معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني (ط4 ؛ دار الفكر : عمان – المملكة الأردنية، 1984م) ص 13.

[2]- المرجع نفسه، ص 9.

[3]- هود : 44.

فجاء الفعل على وزن " فُعِلَ " الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمرٍ وقدرة قادرٍ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى : « وقضى الأمر » ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾، ثم إضمار « السفينة » قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عِظَم الشأن، ثم مقابلة « قيل » في الخاتمة بـــ« قيل » في الفاتحة، أفترى لشيء من الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النطق ؟ ، أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟ »[1]. إن شرح عبد القاهر لهذه الأية لمن النماذج القيمة التي تشير إلى جهده البياني في تفسير القرآن.

وانظر أيضاً إلى صورة من استشهاده بهذه الآيات الكريمة من سورة البقرة، حيث قال بعد تمهيد حي بيّن فيه مكان الجمل الموصوفة والجمل المؤكدة بما قبلها في الإيضاح والتثبيت، بحيث تستغني كلتاهما عن روابط تصلها بما تقدمها لتتصل بها مباشرة دون حرف من حروف العطف، قال عبد القاهر :

« ومثال ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى : ﴿ الَمّ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2]، قوله : ﴿ لاَ رَيْبَ فِيْهِ ﴾ بيان وتوكيد وتحقيق لقوله : ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ ﴾ وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن تقول هو ذلك الكتاب فتعيده مرة ثانية لتثبيته، وليس يثبت الخبر غير الخبر، ولا شيء يتميّز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه، و عاطف يعطفه عليه، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3]، قوله تعالى: ﴿ لاَ يُؤْمِنُوْنَ ﴾ تأكيد لقوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾، وقوله: ﴿ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ تأكيد ثان أبلغ من الأوّل، لأن من كان حاله إذا أُنذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل وكان مطبوعة على قلبه لا محالة، و كذلك قوله عز وجل :

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ط2 ، مكتبة الخنجي : القاهرة، 1989) ص 46 .

[2] - البقرة : 1 – 2.

[3] - البقرة : 6 – 7.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُوْلُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللّهَ ﴾[1]، إنما قال « يخادعون الله » و لم يقل « ويخادعون الله » لأن هذه المخادعة ليست شيئا غير قولهم « آمنا » من غير أن يكونوا مؤمنين، فهو إذن كلام أكد به كلام آخر هو في معناه، وليس شيئا سواه، وهكذا قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوْا قَالُوْا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوْا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[2]، وذاك لأنّ معنى قوله : « إِنَّا مَعَكُمْ » إنّا لم نؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم و لم نترك اليهودية، وقولهم : « إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ » خبر بهذا المعنى بعينه، لأنه لا فرق بين أن يقولوا : « إنّا لم نقل ما قلناه من أنّا آمنا استهزاءً و بين أن يقولوا إنّا لم نخرج من دينكم وإنّا معكم »، بل هما في حكم الشيء الواحد، فصار كأنهم قالوا : « إنّا معكم لم نفارقكم »، فكما لا يكون « إنّا لم نفارقكم » شيئاً غير « إنّا معكم »، كذلك لا يكون « إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ » غيره، فاعرفه »[3].

ونضرب مثالاً آخر مما استشهد عليه في باب حذف المفعول به حيث قال :

« إن أردت تبييناً لهذا الأصل - أعني وجوب أن تسقط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله ولا يدخلها شوب — فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾[4]، ففيها حذف المفعول في أربعة مواضع، إذ المعنى « وجد عليه أمة من الناس يسقون » أغنامهم أو مواشيهم، وامرأتين تذودان غنمهما، و « قالتا لا نسق » غنمنا، « فسقى لهما » غنمهما، ثم إنه لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره [يريد المفعول به] ويؤتى بالفعل مطلقاً، وما ذاك إلاّ أن الغرض في أن يُعلَم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذود، وأنهما قالتا لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى عليه السلام من بعد

---

[1] - البقرة : 8.

[2] - البقرة : 14.

[3] -عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 227 – 228.

[4] - القصص : 23 – 24.

ذلك سقي، فأما ما كان السقي؛ أغنماً أم إبلاً أم غير ذلك، فخارج عن الغرض، وموهم خلافه، وذلك أنه لو قيل، وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما [بذكر المفعول] جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم، حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود، مع أنك إذا قلت : « ما لك لا تمنع أخاك »، كنت منكرا المنع، لا من حيث هو منع، بل من حيث هو منع أخ، فاعرفه تعلم أنك تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت، إلا أن في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة وأن الغرض لا يصح إلا على تركه »[1].

وفي باب اللفظ والنظم تحليل واف من عبد القاهر لدقائق بلاغية رائعة في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾[2]، وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[4]، وقوله: ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[5].

ولو تعرّضنا إلى تحليله لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾[6] لضاق مجالنا - المحدود - لسرد هذا النمط الرائع ، لذلك نكتفي بتحليله الموجز لقول الله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾[7]، ففيه مع إيجازه البارع لوامع من دقته وبوارق من نفاذه يتضمنها قوله :

« ومما ينظر إلى مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾[8]، إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك، وجدت لهذا التفكير وإن قيل « عَلَى حَيَاةٍ » و لم يقل « على الحياة »، حسناً وروعةً ولطف موقعٍ لا يقدر قدره، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف و تخرج عن الأريحيّة والأُنس إلى خلافهما، والسبب في ذلك أنّ المعنى على الازدياد من الحياة

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 161 – 162.

[2]- الأنعام : 100.

[3]- ق : 37.

[4]- البقرة : 179.

[5]- البقرة : 71.

[6]- الأنعام : 100.

[7]- البقر : 96.

[8]- البقرة : 96.

لا الحياة من أصلها، وذلك لا يحرص عليه إلا الحي، فأما العادم للحياة فلا يصح منه الحـــرص على الحياة ولا على غيرها »[1].

أما في كتابه « أسرار البلاغة » فقد حلّل الرجل بعض الصور البلاغية في القرآن أجمل تحليلٍ وجلاّها أتم الجلاء، ونحن نقرأ تحليله الكاشف لمثل قول الله عزّ وجل: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2]، وقوله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [3]، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾[4]، إذا قرأناه وجدناه فناناً بارعاً يصوّر، لا عالماً يتحدث.

هذه نماذج مختارة لنمط تحليلي من التفسير البياني لدى عبد القاهر الجرجاني ، وليست مما نخصه بهذا البحث، وإنما نبحث عن الاستشهادات القرآنية لنؤكد جهوده التطبيقية في مجال التفسير البياني.

ج- جهود الزمخشري في التفسير البياني :

في القرن السادس ألّف " أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري " كتابه " تفسير الكشاف ". وهو بتفسيره هذا قد فتح الباب لدراسة جديدة في التفسير البياني التطبيقي للقرآن الكريم، انتظمت على ما ابتكره عبد القاهر الجرجاني ، بل وما اتجه إلى التفسير البياني إلاّ بوحي عبد القاهر وعلى هدي سنّاه. ولكن إذا كان عبد القاهر قد رسم الخطة وأعدّ المثال و بيّن الطريق، فإننا نجد الزمخسري قد تولى التنفيذ الدقيق لما رسم صاحبه.

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ط2 ؛ دار الكتاب العربي : بيروت، 1998) ص 288.

[2]- الجمعة : 5.

[3]- الزمر : 67.

[4]- يونس : 24.

أجل، لقد تولّى الزمخشري تفصيل قضية النظم في تفسير الكشاف، ليبين ما يتعلّق بكل نص قرآني من مسائل المعاني والبيان[1]، و أضاف نكتاً بلاغية، ومعان إعجازية، فأصبح تفسيره المسمى (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) كنزاً من المعارف لا تنتهي فوائده، وقد تجلّى فيه ما أضافه من دلالات جمالية في نظم المعاني، وما بحثه من المعاني الثانوية في تقديم العبارة وعائدية الضمائر، والتركيب اللغوي، وتعلق العبارة بعضها ببعض من وجهة نظر بلاغية تعتمد على عنايته بالكناية والاستعارة والتشبيه والمجاز والتمثيل والتقديم والتأخير، عناية فائقة فهو يفصل القول في الفروق المميزة بينها، ويشير من خلالها إلى المعاني الثابتة، وهو كثير التنقل بالألفاظ القرآنية من الحقيقة إلى المجاز، إذا كان المعنى الحقيقي يختلف عن نظريات المذهب المعتزلي وصميم أفكاره[2] .

ولا يعنينا في هذا الموضع أن نبين كيف انتصر الزمخشري لآراء الاعتزال، وإنما يهمّنا أن نبيّن كيف تناول الآيات القرآنية تناولاً ينسجم مع معتقداته الكلامية انسجاماً يراه متّفقاً مع أسرار القول البياني دون تعسّف.

فالمعتزلة مثلاً لا يجيزون رؤية الله، إذ لو رآه راء لنظر إليه من جهة فانحصر في حيّز، وهم ينفون التشبيه، ولكن القرآن يجيء بآيات تدل على الرؤية، فلابد لمثل الزمخشري أن يفسرها من وجهة نظره الكلامية. ولنستعرض أمثلة من ذلك جاء بها الكشاف :

1- قال الله تعالى في سورة القيامة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[3]، فقال الزمخشري : «تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول. ألا ترى إلى قوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَومَئِذٍ الْمُستَقَر ﴾ ، ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ ، ﴿ إِلَى اللهِ تَصِيْرُ الأُمُوْرُ ﴾، ﴿ إِلَى اللهِ الْمَصِيْرُ ﴾، ﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ﴾، ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ أُنِيْبُ ﴾، كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد في محشر تجتمع فيه الخلائق كلها، فإن المؤمنين نظّارة ذلك اليوم لأنهم

---

[1]- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 232 .

[2]- http://www.balagh.com/mosoa/tafsir/ua152swg.htm- (30 09 / 2005)

[3] القيامة : 22- 23

الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورًا إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: « أنا ناظر إلى فلان، ناظر ما يصنع بي »، تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل :

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نِعَما

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم تقول : « عويتي نو نظيرة إلى الله وإليكم » والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلاّ من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه »[1].

فالزمخشري يحمل النظر على توقع الخير وانتظار الكرامة، ويقول إنّ تقديم الجار والمجرور « إِلَىٰ رَبِّهَا » في الآية وأمثالها يدلّ على الاختصاص.

2- قال الله في سورة المطففين : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾[2]، فقال الزمخشري : « وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم، قال :

إذا اعترو باب ذي عبية رجبوا

والناس من بين مرجوب و محجوب »[3].

وقد أيّده في منحاه ما حكاه عن " ابن عباس " و" قتادة " و" ابن أبي مليكة " بأن المقصود أنهم محجوبين عن رحمته، و عن " ابن كيسان " محجوبين عن كرامته، وقول الزمخشري في هذه الآية معقول لأن الرؤية فيها ليست نص صريحاً يتمسك به[4].

ومما فتح الله به على الزمخشري، ويؤكد براعته في تفسير القرآن بيانياً، تفسيره لقول الله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا

---

[1]- الزمخشري، الكشاف (ط1 ؛ مطبعة مصطفى محمد : مصر، 1354هـ) 4 / 165.

[2]- المطففين : 15 – 16 .

[3]- الزمخشري ، الكشاف 4 / 196.

[4]- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 239.

الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾[1]، حيث قال : « الأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا، وهذا لا يكون، فبقي أن يكون مجازًا، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه، وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق، فلما فسقوا حقّ عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم »[2]، ثم يكر على رأي ذائع فينقضه بقوله : « هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا ؛ قلت : لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز، فكيف بحذف ما الدليل قائم على نقيضه، وذلك أن الأمر به إنما حذف لأن " فسقوا " يدل عليه وهو كلام مستفيض، يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ فلا يفهم منه إلاّ أن المأمور به قيام وقراءة، ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب »[3]، ثم يفيض المفسر الكبير فيما يؤيد رأيه ذاكرا من الأمثلة والردود ما يدل على مهارة واقتدار، ولو أنّ طابع المنطق الصارم يخفف بعض عباراته لكانت نمطا حيا من التفسير البياني.

لقد وقف الزمخشري أمام الألفاظ القرآنية وقفات من تغلغل إلى باطن أسرارها تغلغلا يكشف المجهولات من الدفائن، فنحن نراه يقول – مثلا – عن لفظ « تقشعر » في الآية الكريمة : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[4]، قال : « اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً، وتركيبه من حروف القشع، وهو الأديم اليابس مضموماً إليه حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالاً على معنى زائد، يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة التخويف، فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل، تصويراً لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق »[5]، ولا نجد كلاما سبق به المؤلف في تحليل لفظة « اقشعر » وبنائها التركيبي وإضافة

[1]- الإسراء : 16.

[2]- الزمخشري، الكشاف 2 / 355.

[3]- المرجع نفسه : 2 / 355.

[4]- الزمر : 23.

[5] الزمخشري، الكشاف 3 / 345 .

الراء إلى المادة الثلاثية لتصير رباعية يتم بها التأثير، هذا مما يدل على أن الرجل يكتشف للكلمات أسرارا لا تكاد تبين، وهو بعد شديد الحساسية بموقع اللفظ القرآني من سياقه.

ولندع هذا المثال إلى مثال أخر يبين كيف تذوق الزمخشري موضع الجملة من الآية، كما تذوق فيما سبق موضع اللفظ من الجملة، وهو قول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾[1]، حيث قال الزمخشري : « فإن قلت لم جاء « فتثير » على المضارعة دون ما قبله وما بعده؟ قلت ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحابَ، وتستحضر تلك الصور البديعة للدلالة على القدرة الربّانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية بحال تستغرب أو تُهُمّ المخاطب قال تأبط شرًا :

بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فاضربها بلا دهش فخرّت صريعاً لليدين و للجران

لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها، ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هول وثباته على كل شدة ، وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها كانا من الدلائل على القدرة الباهرة فقيل فسُقنا وأحيينا معدولاً بهما من لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه. »[2].

أمّا براعة الزمخشري في إيضاح تناسب الآيات في نظمها المطرد فممّا يتعذّر الاستشهاد عليه بالنص الكامل، والرجوع إلى التّفسير الأصلي في هذا المقام أولى من عرضه هنا.

وبعد كل هذا، نكاد نقول : إنّ خير تفسير في العربية تحدث في بلاغة القرآن، وإعجازه وسر نظمه وروعة أدائه هو تفسير الزمخشري. وحسبنا من اشتهاره، أننا لو سألنا باحثاً ما عن تفسير بياني واف للقرآن لما تعدى في جوابه الكشاف.

---

[1]- فاطر : 9.

[2]- الزمخشري، الكشاف : 3 / 269 – 270.

المبحث الثاني : تطور المنهج البياني في التفسير في العصر الحديث وجهود العلماء فيه

المطلب الأول : الإمام محمد عبده ودوره في تطوير المنهج البياني في التفسير في العصر الحديث :

أشرقت شمس القرن الرابع عشر الهجري، والإسلام حينئذ مطموس الملامح، بسبب سيطرة الاحتلال في آفاق الشرق التي تمنع أهليه من البعث، فذووه لا يكادون يعرفون عنه شيأً، إذ أسدل عليه نقاب كثيف من الشعوذة الطامعة والمزورات الباطلة، والطقوس الجاهلية!، حتى قام جمال الدين الأفغاني يصيح بالغافلين مشيراً إلى الإسلام الصحيح، وما طريق الإسلام الصحيح غير القرآن؟.

لقد استطاع القرآن أن ينقذ العالم من جاهليته الأولى حين جاء - وكلّه بيئة وثنية وإشراك -، فلابدّ له أن ينهض بأبنائه النوام من مضاجعهم الهامدة مرة أخرى، ولكن لابدّ من تفسير صحيح لكتاب الله يكون معجزة الإنقاذ، ولابدّ أن يقوم بهذا التفسير رجل عصره. ومن يكون غير الشيخ محمد عبده الأستاذ الإمام؟.

التعريف بالإمام محمد عبد :

هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) سنة 1849م، تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر، وتصوف وتفلسف. عمل في التعليم وكتب في الصحف ولا سيما جريدة « الوقائع المصرية »، وقد تولى تحريرها. سجن بعد الاحتلال الإنجليزي ونفي إلى الشام سنة 1881م، وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وشيخه " جمال الدين الأفغاني " جريدة « العروة الوثقى »، وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف، وسمح له بدخول مصر فعاد سنة 1888م، وتولى منصب القضاء ثم جعل مستشاراً فمفتياً لديار المصرية 1899م، واستمر إلى أن توفي بالاسكندرية سنة 1905. له عدد من الكتب « تفسير القرآن الكريم » و لم يتمه، و « رسالة التوحيد » و « شرح نهج البلاغة » وغيرها[1].

[1]- الأعلام للزركلي 6 / 252.

فقد نهض بتفسير القرآن لا ليضمّ نسخة جديدة تتشابه مع سابقاته، بل ليجعله صيحة البعث ونور الشروق، فكانت رسالته الأولى أن يظهر الذكر الحكيم كما أنزله الله ناصع الصفحة واضح الغرض[1].

يقول الأستاذ الإمام محمد مصطفى المراغي[2] وهو يتحدث عن دروس الإمام محمد عبده رحمهما الله :

« كانت دروس الشيخ كالغيث، أما البلد الطيب فقد خرج نباته بإذن ربه، وأما البلد الخبيث فقد خرج نباته نكدا؛ وكانت دروسه مثلا عاليا في طريقة الإلقاء والتفهيم، وفي العبارات الفصيحة المتخيرة النافذة إلى القلوب، وكانت دائرة معارف يجد اللغوي فيها حاجته، والفقيه رغبته والمتكلم بغيته، ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق آي القرآن على معارفهم، وكانت صرخاته المدوية منبهة للغافل، ومحركة للجامد، وكانت عاصفة قوية هزت الأشجار الباسقة القوية فسقطت أوراقها الذابلة ثم أورقت، أمّا الشجيرات الضعيفة، والحشائش الدنيئة فأفلتت منها لم تنتفع بها »[3].

قواعد التفسير عند الإمام محم عبده :

إذا كانت دروس الإمام القرآنية دائرة معارف تلبي حاجة اللغوي والفقيه ورجل الإجتماع، -كما وصفه الشيخ محمد مصطفى المراغي سالفاً-، فإننا عندما نقرأ ما بقي لدينا من تفسير الرجل، نجد أنه قد وضع حجر الأساس في نهوض التفسير البياني في العصر الحديث. فها هو قد قرر لتلاميذه في بداية درسه للقرآن الكريم الأمور التي يجب أن يلتزمها المفسر :

---

[1]- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 285 – 286.

[2]- الشيخ المراغي (1298 – 1364هـ - 1881 – 1945م) : هو محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، باحث مصري عارف بالتفسير، من دعاة التحديد والإصلاح ، ممن تولو مشيخة الجامع الأزهر، عرف بمحمد مصطفى. ولد بالمراغة (من جرجا في الصعيد) وتعلم بالقاهرة وتتلمذ للشيخ محمد عبده، عين شيخاً للأزهر سنة 1928 فمكث عاماً، وأعيد سنة 1935، فاستمر إلى أن توفي بالإسكندرية ودفن بالقاهرة. له تآليف، منها : ((بحث في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية)) و ((تفسيرسورة الحديد وآيات من سورتي لقمان والعصر))و ((الدروس الدينية)) و ((بحوث في التشريع الإسلامي))و ((كتاب الأولياء والمحجورين)). [انظر : الأعلام للزركلي : 7 / 103].

[3]- مجلة الأزهر، رجب سنة 1360م، المجلد الثاني عشر، ص 387، نقلا عن كتاب خطوات التفسير البياني : ص287 .

« **أحدها** : فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن، بحيث يحقّق المفسر من ذلك استعمالات أهل اللّغة، غير مكتف بقول فلان وفهم فلان. فإنّ كثيرًا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لعدة معان، ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد... إلى أن قال : ...يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملّة، ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب، فكثيرًا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت في الملّة بعد القرون الثلاثة الأولى[1]، فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللّفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه، وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ « الهداية »...ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا أنّ القرآن يفسر بعضه ببعضا، وإنّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللّفظ: موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته.

ثانيها : الأساليب، فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة. وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته مع التفطن لنكته ومحاسنه والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه. نعم إننا لا نتسامى إلى فهم مراد الله تعالى كله على وجه الكمال والتمام، ولكن يمكننا فهم ما نهتدي به بقدر الطاقة، ويُحتاج في هذا إلى علم الإعراب وعلم الأساليب (المعاني والبيان)، ولكن مجرد العلم بهذه الفنون وفهم مسائلها وحفظ أحكامها لا يفيد المطلوب...

ثالثها : علم أحوال البشر.

رابعها : العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن، فيجب على المفسر القائم بهذا الغرض الكفائي: أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم، لأنّ القرآن ينادي بأنّ الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال، وأنّ النبي- صلى الله عليه وسلم – بعث به لهدايتهم

---

[1]- من ذلك لفظ ((الولي))، معناه في القرآن غالباً الناصر والموالي هم أنصار دينه من أهل الإيمان والتقوى. قد اصطلحوا بعد ذلك أن الأولياء صنف من الناس تظهر أيديهم الخوارق ويتصرفون في الكون بما وراء الأسباب و لم يعرف الصحابة هذا المعنى. [انظر : محمد رشيد رضا، تفسير المنار (ط 3؛ دار المنار : مصر، 1367هـ) 1 / 11].

وإسعادهم، وكيف يفهم المفسر ما قبّحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفا بأحوالهم وما كانوا عليه ؟...

خامسها : العلم بسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون، دنيويها و أخرويها »[1] .

هذه بعض النصوص التي جاءت في تفسير المنار، و نرى أنها من الأمور التي تؤكد أن الشيخ قد وضع لنا أهم القواعد التي سار عليها التفسير البياني للقرآن الكريم في العصر الحديث.

جهود الإمام محمد عبده في التفسير البياني :

سنتكلم بشيء من التفصيل عن جهود الشيخ في هذا المجال، ، لنرى كيف أذن الله للتفسير البياني أن تتلألأ أشعته في هذا العصر أوّل ما تلألؤ من شمس الأستاذ الإمام.

لم يؤلّف لنا الشيخ محمد عبده كتاباً مستقلاً يقدم فيه التفسير البياني للقرآن الكريم، ولكنّنا عند قراءتنا لما بقي لدينا من تفسير الشيخ –تفسير جزء عمّ وتفسير المنار– ، ندرك الفن البلاغي في رسم الصورة واختيار الكلمات وائتلاف السياق، وندرك روح التأثير في امتلاك النفوس وامتلاء العواطف وإشباع الوجدان، حيث كانت قوته العقلية ونظرته الأدبية تدفعانه إلى آراء حية في الأسلوب البياني للقرآن .

لقد وقر لدى الشيخ أنّ كل كلمة في القرآن ثبتت في موضعها الصحيح، فلا يجوز أن يقال إن لفظاً قدم على لفظ لرعايته الفاصلة[2]. هذا ما يجلّيه في تفسيره البياني لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[3]، ما يدلّ على أنّ الرأفة شدّة الرحمة، وكان الأصل أن يجئ النص هكذا : « إن الله بالناس لرحيم رءوف » لرعاية الترقي من الأدنى إلى الأعلى، ولكن القرآن قدّم الرأفة على الرحمة رعاية لبلاغة الفواصل! ، يقرأ ذلك الأستاذ الإمام لينكره بعقليته المنطقية وفكرته الأدبية التي ترى أن رعاية الفواصل ضرورات يلجأ إليها العاجز غير المتمكن،

---

[1] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار (ط2 ؛ دار المعرفة : بيروت، د.ت) 1 / 21 – 24، باختصار.

[2] – المرجع نفسه : 2 / 12.

[3] – البقرة : 143.

أما القرآن البليغ فقد جاءت فواصله في مواضعها الحقيقية التي يتطلبها المعنى دون تقديم وتأخير، إذ ليس القرآن شعراً يلتزم قافية أو سجعاً يخضع لضرورة! ، وإنما قدمت الرأفة على الرحمة في منطق الإمام لأن الرأفة أخص من الرحمة ولا تستعمل إلاّ في حق من وقع في البلاء، والرحمة أعمّ لأنها تشمل من وقع في البلاء ومن لم يقع[1].

وبناء على هذا المنطق أيضاً، ينكر الشيخ القول بالترادف في تفسيره لقول الله ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ ﴾، إذ لو تطابقت الكلمتان على معنى واحد كانت إحداهما لغواً يتنزه عنه القرآن، إذ يأتي بالألفاظ لمحض التزويق والتنميق، وجل الله في بيانه الأعلى عن ذلك[2].

إنما الذي يذهب إليه الشيخ أن رحمان جاءت على صيغة فعلان، وهذه الصيغة إحدى صيغ المبالغة التي تستعمل في الصفات العارضة كعطشان وغضبان، أما رحيم فقد جاءت على صيغة فعيل وهذه الصيغة تدل على المعاني الثابتة والسجايا الدائمة، وبذلك يحصل الفرق بين لفظين، إذ يعطى الأول ما يفيد الدلالة على مصدر الرحمة ويعطى الثاني ما يدل على دوامها وثبوتها[3]، هذه خلاصة ما قال الشيخ.

وانظر كذلك إلى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾[4]، نراه يقول : « كثر خلاف المفسرين والرواة في معنى كل من الفجر وليال عشر إلى آخر ما أقسم به. وقد يفسر الواحد منهم الفجر بمعنى ثم يأتي في الليالي العشر بما لا يلائمه، وغالب ذلك يجري على خلاف ما عودنا الله في نسق كتابه الكريم. وقد جرت سنة الكتاب بأنه إذا أريد تعيين يوم أو وقت ذكره بعينه، كيوم القيامة في ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ وكاليوم الموعود في سورة ﴿ والسماء ذات البروج ﴾[5] و كليلة القدر في سورتها، فإذا أطلق الزمن و لم يقيد كان المراد ما يعمه معنى الإسم، كما سبق في قوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[6] فالفجر هنا – على

---

[1]- محمد رشيد رضا، تفسير المنار 2 / 2.

[2]- المرجع نفسه : 1 / 46.

[3]- المرجع نفسه : 1 / 47.

[4]- الفجر : 1 – 2.

[5]- البروج : 1.

[6]- التكوير : 17 – 18.

هذا – هو جنس ذلك الوقت المعروف الذي يظهر فيه بياض النهار في جلد الليل الأسود، وينبعث الضياء لمطاردة الظلام، وهو وقت تنفس الصبح، وهو معهود في كل يوم، فصح أن يعرف بالألف واللام، والمراد –والله أعلم– من ليال عشر ليال يتشابه حالها مع حال الفجر، وهي ما يكون ضوء القمر فيها مطارداً لظلام الليل إلى أن تغلبه الظلمة، فكأنه وضع التناسب على شيء من التقابل، فضوء الصبح يهزم ظلمة الليل ثم يسطع النهار ولا يزال الضوء إلى الليل وضوء الأهلة في عشر ليال من أول كل شهر يشق الظلام، ثم لا يزال الظلام يغالبه إلى أن يغلبه فيسدل على الكون حجبه »[1].

وهناك أمثلة كثيرة في تفسير الشيخ، يأتي على مثل هذا المنوال، وهو إذا كان قد التزم الإشراق الآخذ في لفظه، والترتيب المنسّق في تفكيره، والتحديد المدقق في معانيه، فتلك عناصر واضحة في تفسيره البياني، إذ لم يعد الشرح البلاغي لديه يدور في أكثر مناحيه حول تحديد التشبيه والاستعارة والكناية في دائرة البيان أو يتقيد في أكثر أموره بمصطلحات الفصل والوصل والخبر والإنشاء في دائرة الأسلوب الأدبي الواضح بأسراره السافرة، بحيث تطالعك روح البلاغة وجوهرها مطالعة تشبعك وترضيك[2].

إن ما قدّمناه من لمحات بيانية ذكية في تفسير الشيخ محمد عبده، تكشف لنا عن جهوده في مجال التفسير البياني.

وجاء تلاميذ الأمام من بعده،–أمثال الشيخ محمد مصطفى المراغي، و الأستاذ عبد القادر المغربي، والأستاذ إبراهيم الجبالي– فتمسكوا بنهجه، وارتضوا طريقته فوصلوا إلى عقول السامعين والقارئين، وأصبح هناك من التفسير البياني المعاصر آثارًا رائعة تستأهل الدراسة.

المطلب الثاني : أمين الخولي ودوره في تأصيل المنهج البياني في التفسير في العصر الحديث :

لقد كان هدف دراسات السابقين في البيان القرآني وإعجازه هو الهدف الذي لخصه الأستاذ " حسني محمد شرف " بعد أن درس إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، حيث انتهى به المطاف إلى ملاحظة هامة دوّنها في خاتمة رسالته حين قال : « والذي لاحظته

---

[1]– محمد عبده، تفسير القرآن الكريم – جزء عمّ – (د.ط ، دار الكتب الجزائر : الجزائر العاصمة، د.ت) ص 80.

[2]– خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، محمد رجب البيومي، ص 297 – 298.

أثناء هذا التطواف، وتلك المقابلات، أنّ أكثر علماء الإعجاز درسوا البلاغة العربية و أرخو لها وطوروا دراستها، لأنّهم كانوا مؤمنين بأنّ دراسة البلاغة وسيلة لغاية أسمى، وهي إعجاز القرآن البياني، ويمكن التأكد من هذا بالرجوع إلى مقدمات مؤلفاتهم في البلاغة التي كثيراً ما يصرّحون فيها بهذه الملاحظة التي أشرت إليها »[1].

وكانت دراساتهم للقرآن محصورة في حدود محمدة تدور في النطاق التقليدي، لأن دارسي الأدب العربي —كما وصفت بنت الشاطئ في كتابها « كتابنا الأكبر »— « .. لم يتصلوا بكتابنا الأكبر بقدر ما اتصلوا بغيره، ولأنّ البلاغيين واللغويين لم يتجاوز جهدهم التقاط شواهد منه على قواعدهم، ولأن المتحدثين عن البيان المعجز له يتعلقون في وصفه بما لا يليق بجلاله من عبارات جوفاء ابتذلها التكرار، وأهدر قيمتها استعمالها في وصف سخافات وأعمال أدبية هزيلة، وأين هذا كله مما يكشف عنه الدرس الأدبي للقرآن من اللفظ القرآني الذي لا يقوم مقامه سواه، والحرف لا يؤدي معناه حرف آخر، بل إن الحركة أو النبرة تأخذ مكانها في النظم المعجز »[2]. وكذلك مؤلفاتهم لم تؤصل للمنهج البياني و لم تحدد معالمه، وإنما تناول كل منها جانباً أو جوانب معدودة[3].

أما في العصر الحديث، فقد كانت دراسة التفسير وقفاً على البيئات التي أخلصت نفسها للدراسة الدينية كالأزهر ومدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم. فلما أنشئت الجامعة المصرية اتجهت هي الأخرى إلى دراسة التفسير، وقد أحيت المنهج اللغوي والأدبي في فهم النص القرآني وتفسيره بعيداً عن الديانات ومشكلاتها وما تأثرت به من الفلسفة والمنطق، غير أن دراسة التفسير في الجامعة لم تخرج عن الطريقة المألوفة[4].

---

[1] – حفني محمد شرف، إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، ص 375.

[2] – عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، كتابنا الأكبر – محاضرة عامة – (طبع القاهرة، 1972م) ص 22، وانظر التفسير البياني للقرآن الكريم للمؤلفة نفسها، 1 / 11.

[3] – فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه (ط7 ؛ مكتبة الملك فهد الوطنية : الرياض، 1424هـ) ص 107.

[4] – محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر (ط1، دار التراث : القاهرة، 1982م) ص 493.

إلى أن جاء الأستاذ أمين الخولي حيث لفت الإنتباه – وهو يعاني درس التفسير ويمارسه – إلى الخطوة الناقصة في هذا المجال، واكتشف السبب الموضوعي لقصور منهج القدماء عن إنجازها، واقترح – متخذاً من دعوتهم الصريحة إشارة خضراء –[1] الطريق إلى تطوير علم التفسير من خلال منهج واضح المعالم متين التراكيب، سجّل أصوله في مادة التفسير بالترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية..، وراح يعلمه ويطبقه منذ الثلاثينات حتى الخمسينات بكلية الآداب جامعة القاهرة وأذاع بعض تطبيقاته، ثم سجّله كاملاً مفصلاً في كتابه « مناهج التجديد »، مطلقاً على منهجه هذا –الذي استفاد فيه من قصور مناهج الأقدمين بنفس القدر الذي أفاد به من تقدم مناهج الدّراسة الأدبية والنقدية عند المحدثين– اسم المنهج الأدبي للتفسير[2].

التعريف بالأستاذ أمين الخولي :

ولد سنة 1895م بشوشي مركز أشمون بمحافظة المنوفية، وتخرج في القسم العالي بمدرسة القضاء الشرعي سنة 1920م واختير مدرساً بها. وترأس تحرير مجلّتها في سنتيها الأولى والثانية.

وفي سنة 1923م عُيِّن إماماً للمفوضية المصرية بروما ثم في برلين، ولهذا ألم باللغة الإطالية والألمانية، واطلع على بحوث المستشرقين في الإسلاميات بهاتين اللغتين. وعاد إلى مصر سنة 1927م ليدرّس بقسم التخصص في مدرسة القضاء الشرعي، وفي العام التالي نقل إلى كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) مدرساً فأستاذاً مساعداً فأستاذاً فرئيساً لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية، ثم أستاذاً للأدب المصري، ثم وكيلاً لكلية الآداب، وظلّ فيها حتى سنة 1953م، حيث نقل مستشاراً فنياً لدار الكتب المصرية، ثم عين مديراً لإدارة الثقافة في وزارة التربية والتعليم حتى بلغ سن التقاعد سنة 1956م.

---

[1] – يذكر الشيخ الخولي عن القدماء تقسيمهم العلوم الإسلامية إلى ما نضج واحترق، وعلوم لا نضجت ولا احترقت، ومنها البيان والتفسير..، ويقول : ((أليس قول القدماء أنفسهم بعدم نضج هذين الأخيرين يعد إذناً صريحاً منهم بالمحاولات المجددة في حياة هاتين المادتين؟)) [انظر مناهج التجديد (د.ط ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م) ص 302].

[2] – محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص 493.

وأنشأ الأستاذ أمين هو وتلاميذه سنة 1943م مدرسة أدبية هي « الأمناء » نسبة إليه، رسالتها الفن والحياة، وهدفها تحقيق أهداف فنية نظرية وعملية. وأصدرت في سبيل تحقيق ذلك « مجلة الآداب » سنة 1957م، حيث رأس الأستاذ أمين تحريرَها، وعين سنة 1961م عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

و كُلّف بعد تقاعده بأعمال عديدة، فانتدب مثلا لتدريس الأخلاق والفلسفة وتاريخ الملل والنحل في الأزهر في قسم التخصص شعبة الأخلاق والتاريخ وشعبة الوعظ، وكذلك في كلية أصول الدين، ورأس قسم اللغة العربية في معهد الدراسات العليا للمدرسين، وحاضر في معهد الدراسات العربية العالية سنة 1957م – 1958م، وفي معهد الدراسات الإسلامية، وحضر عدداً من المؤتمرات[1]، وتوفي سنة 1966م.

وله مقالات وبحوث في اللغة والآدب والبلاغة والنحو والتفسير نشرت في مجلات علمية وأدبية، وله تعليقات على كثير من مواد دائرة المعارف الإسلامية في الأدب والفقه، ومن أهمها ما كتبه في مواد التفسير وأصول الفقه والبلاغة، وجمع أكثرها في كتاب اسمه « مناهج التجديد في النحو والبلاغة والأدب والتفسير »، وطبع تعليقه على مادة « التفسير » مستقلاً مرة بعنوان « التفسير معالم حياته، منهجه اليوم » طبعته جماعة الكُتّاب سنة 1944م، ومرة بعنوان « التفسير نشأته تدرجه وتطوره » تحت سلسلة كتب دائرة المعارف الإسلامية وصدرت طبعته الأولى سنة 1982م في بيروت.

وله كتاب « من هدي القرآن » ويحتوي على ثلاثة من مؤلفاته « القادة..والرسل » و « في رمضان » و« في أموالهم » ، وله أيضاً كتاب عن مالك بن أنس رحمه الله وهو العدد (11) من سلسلة أعلام العرب.

نظرته في التفسير وغرضه منه :

حتى تتبين لنا نظرة الأستاذ وغرضه في التفسير، علينا أن نقرأ ما كتبه هو بنفسه. قال مبيناً المقصد الحقيقي للتفسير عند الإمام محمد عبده، ومعقباً عليه : « فالمقصد الحقيقي عنده هو

[1] – لخصت ما سبق من ترجمته الواردة في مقدمة كتابه (التفسيرنشأته تدرجه وتطوره) بقلم إبراهيم خورشيد رئيس تحرير النسخة العربية من دائرة المعارف الإسلامية.

الاهتداء بالقرآن، وهو مقصد جليل ولا شك.. يحتاج المسلمون إلى تحقيقه، لكن ليس بدعا من الرأي أن ننظر في هذا المقصد لنقول : أنّه ليس الغرض الأول من التفسير وليس أوّل ما يُعنى به ويُقصد إليه، بل إن قبل ذلك كلّه مقصداً أسبق وغرضاً أبعد تتشعب عنه الأغراض المختلفة، وتقوم عليه المقاصد المتعددة، ولابد من الوفاء به قبل تحقيق أي مقصد آخر، سواء كان ذلك المقصد دنيويا أو أخرويا..وذلك المقصد الأسبق والغرض الأبعد هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية وأثرها الأدبي الأعظم، فهو الكتاب الذي أخلد العربية وحمى كيانها وخلد معها، فصار فخرها وزينة تراثها، وتلك صفة للقرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدّين أو يفترق به الهوى، ما دام شاعرا بعربيته، مدركا أنّ العروبة أصله في الناس، وجنسه بين الأجناس، وسواء بعد ذلك أكان العربي مسيحيا أو وثنيا، أم كان طبيعيا دهريا لا دينيّا، أم كان المسلم المتحنف، فإنّه سيعرف بعروبته منزلة هذا الكتاب في العربية ومكانته في اللغة، دون أن يكون ذلك على شيئ من الإيمان بصفة دينيّة للكتاب، أو تصديق خاص لعقيدة فيه..وليس هذا شأن العرب فحسب، بل إنّ الشعوب التي ليست عربية الدم أصلا ولكن وصلها التاريخ وسير الحياة بهذه العروبة، فارتضت الإسلام ديناً أو خالطت العرب فاختلطت دماؤها بدمائهم، ثم اتّخذت العربية أصلاً من أصول حياتها الأدبية..حتى ربطتها بالعربية هذه الأواسر الوثقى، إلى أن صارت العربية عنصرا أساسيا وجانبا جوهريا من شخصيتها اللّغوية الفنية، قد صار لكتاب العربية الأعظم وقرآنها الأكرم مكانة بين ما تعنى به من دراسة أدبية وآثار فنية قولية، فألزمها كل أولئك تناول هذا الكتاب بدراسة أدبية، تتفهم بها أصول ما ورثت من تلك العروبة إن كانت عربية النجّار، أو كانت قد اتّصلت بتلك العروبة اتّصالا حيويا قويا دفع شخصيتها و سير وجودها ووجه حياتها، فالعربية القح أو من ربطته بالعربية تلك الروابط، يقرأ هذا الكتاب الجليل ويدرسه درسا أدبيا كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللّغات المختلفة، وتلك الدراسة الأدبية لأثر عظيم كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدّارسون أولا، وفاءاً بحق هذا الكتاب، ولو لم يقصدوا الاهتداء به أو الانتفاع بما حوى وشمل، بل هي ما يجب أن يقوم به الدّارسون أولا، ولو لم تنطو صدورهم على عقيدة ما فيهم،

أو انطوت على نقيض ما يردده المسلمون الذين يعدونه كتابهم المقدس، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس، سواء أنظر إليه الناظر على أنّه كذلك في الدّين أم لا.

وهذا الدّرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني، دون نظر إلى أي اعتبار ديني، هو ما نعتده وتعتده الأمم العربية أصلا والعربية اختلاطا، مقصدا أول وغرضا أبعد يجب أن يسبق كل غرض، ويتقدم كل مقصد.. ثم لكل ذي غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء بهذا الدّرس الأدبي أن يعمد إلى ذلك الكتاب، فيأخذ منه ما يشاء و يقتبس منه ما يريد، ويرجع إليه فيما أحبّ من تشريع أو اعتقاد أو أخلاق أو إصلاح اجتماعي، أو غير ذلك. وليس شيء من هذه الأغراض الثانية يتحقق على وجهه، إلا حين يعتمد على تلك الدّراسة الأدبية لكتاب العربية الأوحد، دراسة صحيحة كاملة مفهمة له، وهذه الدّراسة هي ما نسميه اليوم تفسيرا، لأنّه لا يمكن بيان غرض القرآن ولا فهم معناه إلا بها.

فجملة القول : أنّ التفسير — فيما أفهمه - هو الدّراسة الأدبية الصحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتسقة التوزيع، و المقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار، وراء ذلك.. وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه.. هذه هي نظرتنا إلى التفسير اليوم، وهذا غرضنا منه »[1].

هذه خلاصة منهج الأستاذ أمين الخولي في التفسير، وإنّما نقلنا هذا النص بطوله لما فيه من بيان نظرة الأستاذ إلى التفسير، ولما فيه من بيان غرضه، وكفا بهما من مطلب بسطه لنا صاحب المنهج ومؤصله.

وقد رأى الأستاذ جمال البنا أن مثل هذا المنهج مدخل جديد وهام واعتبره أقرب المسالك إلى إيضاح الفكر القرآني، ولكنه لاحظ أن أمين الخولي وبعض تلاميذه عند تطبيقهم هذا المنهج، اعتمدوا على ما قام به المستشرقون في دراستهم للقرآن، فنحن عندما نقرأ دراستهم لا نحس بتلك العاطفة الدافئة المتدفقة التي تتملك المسلم عند اقترابه من القرآن، ويرى

[1]- أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 229 – 231 باختصار.

الأستاذ جمال البنا أن افتقاد مثل هذا الإحساس قد يفسح المجال لخروج أو انحراف أو اجتهاد خاطئ[1].

ولئن كان لا يسعنا هنا أن نذكر الفوارق بين نظرة الأستاذ الخولي في التفسير و نظرة الشيخ محمد عبده الذي وضع حجر الأساس للتفسير البياني قبله، فإنه لا يمنعنا أن نذكر فارقاً واحداً به يتضح مدى البون بين الطرفين. ذلكم أن الشيخ نص في مقدمة تفسير المنار على الهدف الذي يرمي إليه من تفسيره، فقال : « والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا، وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله »[2]، بينما يرى الأستاذ أمين الخولي أن « المقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك..وعليه يتوقف تحقق كل فرض آخر يقصد إليه..هذه هي نظرتنا إلى التفسير اليوم، وهذا غرضنا منه وعلى هذا الأساس نتقدم لبيان طريقة تناوله ومنهج درسه »[3]، فشتان بين المنهجين في هدف كل منهما في تفسير القرآن.

مراحل التفسير البياني عند الأستاذ الخولي :

نقصد بدراسة مراحل التفسير البياني هنا، المراحل التي يمّر بها المفسر الواحد في العصر الحديث لتطبيق المنهج البياني في التفسير كما بسطها صاحبه.

ولئن كان الأستاذ أمين الخولي لم يوردها متسلسلة مرتبة، فإنّا بعد قراءتنا المتأملة قد أجملناها في المراحل الآتية ، هذا بيانها :

المرحلة الأولى : جمع الآيات ذات الموضوع الواحد وترتيبها ترتيباً زمنياً :

. وهي المرحلة التي أشار إليها الأستاذ أمين الخولي واختارها عند النظر بين يدي خطته لتفسير القرآن الكريم في مسألة الترتيب القرآني ليبني عليها الرأي في كيفية تناول التفسير، حيث يتسائل هل تُتـــتَبّع فيه الخطة التي سادت، أي دراسته حسب ترتيب سوره وآيه في

---

[1]- جمال البنا، تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين (د.ط ؛ دار الفكر الإسلامي : القاهرة، 2003 م) ص 201.

[2]- محمد رشيد رضا، تفسير المنار 1 / 17.

[3]- أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 231.

السور أو على غير ذلك من ترتيب؟ قال : « والقرآن - كما هو معروف - لم يرتّب على الموضوعات والمسائل، فيفرد كل شيء منها بباب أو فصل، يجمع ما ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة،... إنّما جرى القرآن على غير هذا كلّه، فعرض لكثير من الموضوعات، و لم يجمع منها واحداً بعينه، فيلتقي أوّله بآخره، ويعثر به في مكان معين.. وإنّما نثر ذلك كله نثرا، وفرّقه تفريقا، فالحكم التشريعي في أكثر من موضع، والأصل الاعتقادي قد عرض له غير مرّة، والقصة قد وزّعت مناظرها و مشاهدها في جملة أماكن، وهكذا تقرأ في الصورة الواحدة فنوناً من القول، وتمر بألوان من الأغراض المختلفة تعرض لها صورة أخرى، فيتكامل العرضان، فتتم الفكرة بتتبعها في مواطن متعددة وذلك لحكمة ومرمى يبين في غير هذا المكان من الدراسة القرآنية، التي تعرض للكلام في الترتيب ».[1]

فهو يرى أنّ لهذا الواقع في موضوعات القرآن الكريم أثره في طريقة تناول القرآن بالتفسير، وأنّ طريقة السلف في تفسيره سوراً وأجزاءً لا يمكّن من الفهم الدقيق والإدراك الصحيح لمعانيه وأغراضه إلاّ أن يقف المفسر عند الموضوع يستكمله في القرآن ويستقصيه إحصاءً، فيرد أوله إلى آخره ويفهم لاحقه بسابقه..[2]. ولكننا نظن أنّ نظرة الأستاذ الخولي إلى طريقة السلف في تفسيره هنا فيها نظر، فإنا نرى -كما رأى الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي أيضاً[3]- أن السلف حينما يتناولون بالتفسير حكماً تشريعياً لا ينظرون إلى آياته التي حملته نظرة منفصلة عن الآيات الأخرى بل ولا عن ما هو خارج عن الآيات — يعني السنة - وغيرها فلا تعد نظرتهم تلك نظرة قاصرة، وهذا يبدو من خلال تناولهم الآيات، حيث إنهم يستكملون مناظرها ومشاهدها من نصوص آيات أخرى في مواضع مفترقة، كل هذا يدل على كمال النظرة السلفية في تفسير الآية القرآنية.

فالتفسير — عند الأستاذ - لا يكون إلاّ بأسلوب التفسير الموضوعي الذي يجمع الآيات ذات التفسير الموضوعي الواحد جمعاً إحصائيا مستقصياً من أماكنها المتفرّقة ويعرف

2- أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 231.

[2]- المرجع نفسه، ص 231 – 232.

[3]- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (ط4 ؛ مكتبة الرشد : الرياض، 2002م) ص 882.

ومنسوخه، وبعبارة أخرى يشترط على المفسر أن يكون عالماً بأصول العلوم المتّصلة بالقرآن والمعروفة بعلوم القرآن.

وأمّا الدّراسة العامة لما حول القرآن الكريم، فإنّه يقصد ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن وعاش، وفيها جمع وفيها كتب وقرىء وحفظ، وخاطب أهلها أوّل من خاطب، وإليهم ألقى رسالته لينهضوا بأدائها وإبلاغها شعوب الدّنيا، فروح القرآن عربيّة، ومزاجها عربي، وأسلوبه عربي ﴿ قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1].. والنفاذ إلى مقاصده إنّما يقوم على التمثل الكامل، والاستئناف التام لهذه الروح العربية، وذلك المزاج العربي[2].

ومن هنا يرى الأستاذ أنه لابدّ للمفسر أن تكون لديه المعرفة الكاملة لهذه البيئة العربية المادّية، إذ كل ما يتّصل بتلك الحياة الماديّة العربية وسائل ضرورية لفهم هذا القرآن العربي المبين[3]. كما أنه يرى أيضاً أنّ ما يتّصل بالبيئة المعنوية بكلّ ما تتّسع له هذه الكلمة من ماض سحيق، وتاريخ محروق، ونظام أسرة أو قبيلة وحكومة في أيّ درجة كانت وعقيدة بأيّ لون تلونت، وفنون مهما تتنوّع، وأعمال مهما تختلف وتتشعب، وكل ما تقوم به الحياة الإنسانية لهذه العروبة، وسائل ضرورية كذلك لفهم هذا القرآن العربي المبين[4].

ونظنّ أنه لا داعي للتوقف أمام التحليل الخارجي، أو دراسة ما حول القرآن أكثر من هذه الإشارات لنرى ما هي خطة المفسر البيانية في دراسة النص القرآني نفسه بعد اختياره للموضوع القرآني المراد درسه واستقصاء جميع آياتها وترتيبها تاريخياً.

ثانياً : دراسة في القرآن نفسه :

وحتى تظهر معالم الطريق في هذه المرحلة، أحبّ أن أُجْمِل الخطوات في هذه الدّراسة، لننطلق منها إلى التفاصيل.

---

[1] - الزمر : 28.

[2] - أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 235.

[3] - المرجع نفسه.

[4] - المرجع نفسه.

ومنسوخه، وبعبارة أخرى يشترط على المفسر أن يكون عالماً بأصول العلوم المتّصلة بالقرآن والمعروفة بعلوم القرآن.

وأمّا الدّراسة العامة لما حول القرآن الكريم، فإنّه يقصد ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن وعاش، وفيها جمع وفيها كتب وقرىء وحفظ، وخاطب أهلها أوّل من خاطب، وإليهم ألقى رسالته لينهضوا بأدائها وإبلاغها شعوب الدّنيا، فروح القرآن عربيّة، ومزاجها عربي، وأسلوبه عربي ﴿ قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1].. والنفاذ إلى مقاصده إنّما يقوم على التمثل الكامل، والاستئناف التام لهذه الروح العربية، وذلك المزاج العربي[2].

ومن هنا يرى الأستاذ أنه لابدّ للمفسر أن تكون لديه المعرفة الكاملة لهذه البيئة العربية المادّية، إذ كل ما يتّصل بتلك الحياة الماديّة العربية وسائل ضرورية لفهم هذا القرآن العربي المبين[3].كما أنه يرى أيضاً أنّ ما يتّصل بالبيئة المعنوية بكلّ ما تتّسع له هذه الكلمة من ماض سحيق، وتاريخ محروق، ونظام أسرة أو قبيلة وحكومة في أيّ درجة كانت وعقيدة بأيّ لون تلونت، وفنون مهما تنوّع، وأعمال مهما تختلف وتتشعب، وكل ما تقوم به الحياة الإنسانية لهذه العروبة، وسائل ضرورية كذلك لفهم هذا القرآن العربي المبين[4].

ونظنّ أنه لا داعي للتوقف أمام التحليل الخارجي، أو دراسة ما حول القرآن أكثر من هذه الإشارات لنرى ما هي خطة المفسر البيانية في دراسة النص القرآني نفسه بعد اختياره للموضوع القرآني المراد درسه واستقصاء جميع آياتها وترتيبها تاريخياً.

ثانياً : دراسة في القرآن نفسه :

وحتى تظهر معالم الطريق في هذه المرحلة، أحبّ أن أُجْمِل الخطوات في هذه الدّراسة، لننطلق منها إلى التفاصيل.

---

[1] - الزمر : 28.

[2] - أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 235.

[3] - المرجع نفسه.

[4] - المرجع نفسه.

فدراسة النص نفسه تنقسم كما يريد الأستاذ أمين الخولي إلى قسمين :

أولاً : دراسة في المفردات.

ثانياً : دراسة في المركبات.

أولاً : دراسة في المفردات

يرى الأستاذ الخولي أنّ الخطوة الأولى في دراسة النص نفسه هي النظر في المفردات لتحديد معانيها مراعياً في الاعتبار الأول تدرج المعاني اللغوية للمادة، ورتّب الأستاذ الخولي على هذا أيضاً، أن ينظر المفسّر الأدبي في الألفاظ القرآنية من ناحيتين[1] :

الناحية الأولى : النظر في المادّة اللّغوية للفظ الذي يريد تفسيره، لينحي فيها المعاني اللغوية عن غيرها، ثمّ ينظر في تدرج المعاني اللّغويّة للمادة نظرة ترتبها على الظّن الغالب، فتقدم الأسبق الأقدم منها على السابق، حتى يطمئنّ- ما استطاع - إلى شيء في ذلك ينتهي منه إلى ترجيح معنى لغوي للكلمة، كان هو المعروف حينما سمعتها الآذان في أيّ كتاب.. والمفسر في هذا التمييز والنظر ملم- ما أمكن – بمحدث الدّراسة في أنسب اللّغات وصلة ما بينهما، ليطمئنّ كذلك إلى أنّ الكلمة عربية أصيلة أو هي دخيلة، وإن كانت فما بيئتها؟ ومعناها الأوّل؟ ثمّ هو محاذر كذلك من اندفاع معاجمنا في رد الكلمات إلى أصل عربي يشابهها في اللّفظ، مع التكلّف في الإشتقاق والربط.

الناحية الثانية : وإذا ما فرغ من البحث في معنى اللّفظة اللّغوي، انتقل بعده إلى معناها الاستعمالي في القرآن، يتتبع ورودها فيه كلّه لينظر في ذلك، فيخرج منه برأي عن استعمالها، هل كانت له وحدة اطردت في عصور القرآن المختلفة ومناسبتها المتغيّرة؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فما معانيها المتعدّدة التي استعملها فيها القرآن؟، وبذا يهتدي بمعناها أو معانيها اللغوية إلى معانيها الاستعمالية في القرآن، وهو بما ينتهي إليه من كلّ أولئك يفسّرها مطمئنا في موضعها من الآية التي جاءت فيها.

[1] - أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 238.

ويبدو أن هذه المرحلة من النظر في المفردات على هذين المستويين تنطوي على صعوبة خاصة، حيث صرح صاحب هذا المنهج نفسه بأنه يجب على المفسر هنا أن يعتمد على جهده الذاتي في هذا الصدد، إذ ليس أمامه « حين يبتغي المعنى الأول لألفاظه إلاّ أن يقوم بعمل في ذلك مهما يكن مؤقتاً وقاصراً، فإنه هو كل ما نملك اليوم، وإلى أن نملك قاموسا اشتقاقيا[1] تتدرج فيه دلالات الألفاظ، وتتمايز فيه المعاني اللغوية على ترتيبها عن المعاني الاصطلاحية على ظهورها.. فلا معدى للمفسر من النظر في المادة اللغوية عن غيرها (بنفسه)... »[2].

وإنه لمن الحق قوله هنا، مع أنّ هناك من يقول بأن حديث الأستاذ الخولي عن هذا مجرد نظرية، إذ لم يكن قد أشار إلى موضوعات تدرس بعينها، أو خطة لتصنيف القرآن موضوعياً، وسكت أيضاً عن طريقة ترتيب هذه الآيات و لم يحل فيها إلى ترتيب بعينه..[3] إلاّ أنّ الأستاذ عندما قام تطبيقياً بعلاج بعض الأحرف الهجائية[4] في معجم ألفاظ القرآن الكريم قد ضرب المثل العملي لما يستطيع المفسر الأدبي بجهده الذاتي في غيبة المعجم المطلوب، ولا شكّ أيضاً أنه قد مهد الطريق الوعر في هذا المقام لمن أراد أن يسلك سبيل المعجم التاريخي لألفاظ القرآن الكريم[5].

ثانياً : دراسة في المركبات

والخطوة التالية النظر في المركبات، وقد أوضح الأستاذ الخولي أصول هذه النظرة، وما تحتاج إليه وهو أن المفسر في ذلك مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة شريطة ألا تكون الصنعة النحويّة عملاً مقصوداً بذاته، ولا لوناً يلون التفسير كما كان الحال قديما، بل على أنها

---

[1] – انتقد الخولي معاجم اللّغة، وبيّن بأنها لا تفي بهذا العرض الذي يدعو إليه، فلسان العرب مثلا تجاوزت فيه نصوص تباعدت عصور أصحابها، وتمازجت فيه اللّغويات بالدّنيويات كما يقول. أمّا القاموس المحيط فهو عند عصارات غير ممتزجة لثقافات متغايرة متباينة، من فلسفة عقلية إلى طبية وعلمية، فأدبيّة ولغويّة، فدينيّة اعتقاديّة أو غيرها. [راجع : أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 237].

[2] – أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 238.

[3] – فقد لاحظ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي قصور الخولي في تطبيق نظريته. (انظر كتابه : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر 3 / 896).

[4] –انظر بيأن عن طبيعة هذا العلاج في هامش كتاب ((اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر))، محمد إبراهيم شريف، ص 507.

[5] – محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص 507.

أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده، وأن تكون النظرة البلاغية هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني، وتستبين معارف هذا الجمال وتستجلي قسماته في ذوق بارع قد استشف خصائص التراكيب العربية منضماً إلى تلك التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة مزاياها الخاصة بها بين آثار العربية، بل لمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته فنا فنا، وموضوعا موضوعا، معرفة تبيّن خصائص القرآن في كلّ فنّ منها ومزاياه التي تجلو جماله[1].

ولا شك أن هذا المنهج في التفسير – بأصوله التي وضعها صاحبه – منهج إن كان ممكناً، فيه مشقة كبيرة ويحتاج إلى جهد ودراية قلّ أن توجد عند أحد، بل إن الأستاذ نفسه شعر بمثقلات المنهج ومتطلّباته الكثيرة المعوقة حين قال : « ولئن كان مثل هذا مما يطلب أو يوصف في قليل من الجمل أو الأسطر فإنّ تحقيقه ليس بهذه السهولة والقرب، وإنّما يقوم على إصلاح أدبي بلاغي. أحسب أنّ الحياة الأدبية اليوم تحاله وهي بالغة منه إن شاء الله مبلغا حسنا، ومستفيدة به في التفسير الأدبي للقرآن، كما تستفيد هذه المحاولة الإصلاحية نفسها بمزاولتها للتفسير القرآني »[2].

زد على هذا أنّ الأستاذ أمين الخولي يوجب مراعاة أمر هام في التفسير الأدبي، ينبغي على المفسّر الاهتمام به هو :

التفسير النفسي :

حيث يرى أن المفسّر الموضوعي لابدّ أن يختم خطته بالإشارة إلى ما ينبغي مراعاته من التفسير النفسي، وذلك« لأنّ ما استقرّ من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي للقرآن، كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفساني للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين التي تناولتها دعاوة القرآن الدّينية، وجدله الاعتقادي، ورياضته للوجدانات والقلوب، واستلاله لقديم ما اطمأنّت إليه، وتوارثته عن الأسلاف والأجيال، وتزيينها بما دعا إليه من إيمان ينقض

[1] – أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 238 – 239.

[2] – المرجع نفسه، ص 239.

مبرم هذا القديم ويهدم أصوله.. وكيف تلطف القرآن لذلك كلّه، وماذا استخدم من حقائق نفسية في هذه المطالب الوجدانية والمرامي القلبية؟ وماذا أحدث رعاية ذلك كلّه في إنجاح الدعوة وإعلاء الكلمة؟ ، فالتفسير النفسي يقوم على أساس وطيد من صلة الفن القولي بالنفس الإنسانية، وأنّ الفنون على اختلافها – ومن بينها الأدب – ليست إلاّ ترجمة لما تجده النفس »[1].

وأكّد الأستاذ الخولي على أهمية التفسير النفسي حين قال: « أنّ اللّمحة النفسية في المعنى القرآني ربّما تكون أحسم لخلاف بعيد الغور، كثير الشغب بين المفسرين »[2]، إلى أن قال : « فالملاحظة النفسية حين تعلّل نسج الآية وصياغتها، وتعرف بحو الآية وعالمها، ترفع المعنى الذي يفهم منها إلى أفق باهر السناء، وبدون هذه الملاحظة يرتد المعنى ضئيلا ساذجا لا تكاد النّفس تطمئن إليه، ولا هو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن »[3].

تلكم هي الخطوط الرّئيسية التي رسمها الأستاذ أمين الخولي للتّفسير الأدبي للقرآن الكريم ، وإن أردنا ذكرها إجمالاً فهي :

أولا : جمع الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض و تدبّرها جميعاً وتفسيرها كذلك.

ثانيا : ترتيب آيات الموضوع الواحد ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نزولها.

ثالثا : دراسة خاصّة حول النّص، تقوم على تاريخه ونزوله وجمعه وكتابته وقراءاته، ونحو ذلك من علوم القرآن.

رابعا : دراسة عامّة للبيئة الّتي نزل بها النّص، البيئة الماديّة في الأرض والسماء والجبال والسهول والأودية، وبيئة معنوية في تاريخ هذه الأمّة ونظمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها.

خامسا : دراسة النّص القرآني في مفرداته، وذلك بدراسة استعمالات هذه المفردة لغويّا، ودراسة استعمالها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، ومدلولها في كلّ موضع.

---

[1]- أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 239 – 240.

[2]- المرجع نفسه، ص 240.

[3]- المرجع نفسه.

سادسا : دراسة النّص القرآني في معانيه المركّبة، وذلك بالاستعانة بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة، على أنّ النحو أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده، وعلى أنّ البلاغة هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثّل في الجمال القولي في الأسلوب القرآني، مع التأمّلات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة مزايا كلّ منها، ولمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته.

ولكن ما يجب ذكره هنا، - مع أن الأستاذ الخولي قد وضع هذا المنهج في دراسة التفسير، وزعم أنه لن يكون من العاجزين لتحقيق هذا المنهج رغم كل الصعوبات، كما قال : « مهما يكن لهذه المطالب من أثر يثقل خطانا ويؤخر ثمار دراستنا، ويشعرنا بالنقص ويعود علينا باللاّئمة فإنّ هذه هي الحقيقة، ولن نكذب على أنفسنا وعلى الأجيال، فنزعم الكفاية الكاملة والقدرة الموفورة، ولئن لم يكن لنا من الكمال إلاّ الشعور بالنقص فذلك أجمل بنا من التزيّد الزائف.. وليس الذي نبغيه من هذا المنهج مستحيلاً ولا بعيد التحقيق، فقد شعر أسلافنا بجملته، وقاموا ببعضه للقرآن، ثمّ قام المحدّثون به كلّه لكتبهم الأدبية والدّينية، ولن نكون نحن بين هؤلاء وأولئك الضائعين العاجزين »[1] -، أنه لم يخرج لنا دراسة تطبيقية شاملة كاملة لهذا المنهج، سوى بعض الدراسات الموجودة في كتابه « من هدي القرآن » الذي درس فيه عدة عناوين هي : « القادة والرسل » و « في رمضان » و « في أموالهم » و « السلام والإسلام » و « القَسَمُ القرآني » و « القرآن ةالحياة » و « الطغيان في العلم والمال والحكم » و « الجندية والسلم » و « حكومة القرآن » و « الفن والبيان في القرآن » و « شخصية محمد » و « الحكم بما أنزل الله ». ولكنه في هذه الدراسات لم يقم بتطبيق خط المنهج شاملاً كاملاً، بل ظل الفارق بعيداً بين الواقع الذي سلكه والمثال الذي دعا إليه[2]، ولولا المجال الضيق لقدمنا بعض هذه الدراسات.

وقد حاول بعد الأستاذ الخولي عديد من تلاميذه في تطبيق هذا المنهج، ولعل من أنجبهم تلميذاه : الدكتور محمد أحمد خلف الله و الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ التي سنقوم ببحث جهودها في التفسير البياني في الفصل القادم.

---

[1] - أمين الخولي، مناهج التجديد، ص 241.

[2] - فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ص 902.

المطلب الثالث : الأستاذ فاضل صالح السامرائي وجهوده في الدراسات البيانية للتفسير :

نشطت الدراسات البيانية لنصوص القرآن الكريم في عهدنا الراهن نشاطاً حافلاً نرجو أن يتزايد ويمتد حتى يصبح للمكتبة القرآنية مكانها اللائق في دنيا البيان. فقد بدأت الدراسات على أيدي ذوي الاختصاص ممن يقدمون لطلاب الدراسات العليا في المعاهد والكليات العالية ، حتى اتسعت إلى ساحة الإعلام التليفزوني بحوثاً جديدة في القرآن الكريم على هذا المنهج البياني.

ومن أبرز هؤلاء الأستاذ الدكتور" فاضل صالح السامرائي " أستاذ الآداب في كلية اللغة العربية في جامعة الشارقة الذي أتحف المسلمين بعلمه، وبما فتح الله تعالى عليه من فهم وتدقيق في البلاغة في القرآن الكريم. والدكتور فاضل قدم بعضاً من هذا العلم في برنامج لمسات بيانية الذي عُرض على قناة الشارقة لمدة أربعة أعوام منذ عام 2000م وتوقف الآن بعد عودة الدكتور فاضل إلى بلده الحبيب العراق حيث عاد للتدريس في جامعة بغداد.

نبذة عن حياة الدكتور فاضل السامرائي :

هو فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري من عشيرة " البدري " إحدى عشائر سامراء ، ويُكنّى بـــ « أبي محمد » ومحمد ولده الكبير. ولد في سامراء عام 1933م في عائلة متوسطة الحالة الاقتصادية، كبيرة في الحالة الاجتماعية والدينية أخذه والده منذ نعومة أظفاره إلى مسجد حسن باشا أحد مساجد سامراء لتعلم القرآن الكريم ، وكشف ذلك عن حدة ذكاءه ، حيث تعلم القرآن الكريم في مدة وجيزة . أكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية في سامراء ، ثم انتقل إلى بغداد في مدينة الأعظمية ليدخل دورة تربوية لإعداد المعلمين ، وتخرج فيها عام 1953م ، وكان متفوقا في المراحل الدراسية كافة. وأكمل دراسته في دار المعلمين العالية بقسم اللغة العربية « كلية التربية » عام 1957م، وتخرج فيها عام 1960م - 1961م. حاز على درجة « البكالريوس » بتقدير امتياز، ورجع إلى التدريس في الثانوي . وفي أول دورة فتحت للدراسات العليا في العراق دخل في قسم الماجستير « القسم اللغوي » وحاز على درجة الماجستير في كلية الآداب، وفي السنة نفسها عُيّن مُعيداً في قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة بغداد، ومن جامعة عين شمس في كلية الآداب في قسم اللغة العربية ، نال شهادة الدكتوراه عام

1968م . ثم عاد إلى العراق ، وعُيّن في كلية الآداب بجامعة بغداد بعد دمج كلية التربية بكلية الآداب . وعُيّن عميداً لكلية الدراسات الإسلامية المسائية في السبعينات إلى حين إلغاء الكليات الأهلية في العراق . بعدها أُعير إلى جامعة الكويت للتدريس في قسم اللغة العربية عام 1979م ثم رجع إلى العراق ، أصبح خبيرا في لجنة الأصول في المجمع العلمي العراقي عام 1983م ، وعين عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي عام 1996م ، وأُحيل إلى التقاعد عام 1998م ، بعد ما قضى ما يقارب أربعين عاما أستاذاً للنحو في جامعة بغداد في التدريس ثم رحل إلى الخليج ، ليعمل أستاذاً في جامعة عجمان التي أمضى فيها سنة ثم انتقل إلى جامعة الشارقة أستاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني عام 1999م إلى صيف عام 2004م، حيث عاد الدكتور فاضل إلى بلده الحبيب العراق وعاد للتدريس في جامعته الحبيبة بغداد، أمد الله في عمره وزاده الله تعالى علماً وفهماً بكتابه العزيز وعلّمه ما ينفعه وينفعنا ونفع به الإسلام والمسلمين وجعل عمله في ميزان حسناته اللهم آمين. وبالإضافة لكون الدكتور نحوياً فذّاً وعالماً جليلاً فهو أيضاً شاعر عظيم مع أنه لا يحب أن يُعرّف عنه أنه شاعر وقد نظم الشعر في سن مبكرة[1].

جهوده في الدراسات البيانية للقرآن الكريم :

تمثلت جهود الدكتور "صالح فاضل السامرائي" في الدراسات البيانية للقرآن الكريم في كتب عدة، أهمها :

1. كتاب « **على طريق التفسير البياني** »، وهو كتاب مؤلف من جزئين صدرا في سنتين متتابعتين. فسّر الدكتور فاضل السامرائي فيه بعض سور القرآن الكريم تفسيرا بيانياً دقيقاً. وقد اختار أن يبدأ بتفسير المعوذتين الفلق والناس، ثم سور الإخلاص والكوثر وقريش والضحى والليل والإنسان والصف والحديد. أما الجزء الثاني فيحمل تفسير سورتي يس ولقمان.

[1] - http://www.islamiyyat.com/dr%20fadel.htm (03 / 02 / 2006)

فقد كتب الأستاذ في بداية الكتاب مقدمة تهدي كل من يريد أن يشد العزم ويبدأ الخطو في هذا الطريق القرآني، حيث ذكر فيه الأمور التي يحتاج إليها المتصدي للتفسير البياني، وهي :

1. التبحر في علم اللغة.
2. التبحر في علم التصريف.
3. التبحر في علم النحو.
4. التبحر في علوم البلاغة.
5. القراءات.
6. أسباب النزول.
7. النظر في السياق.
8. مراجعة المواطن القرآنية التي ورد فيها أمثال التعبير الذي يراد تبيينه ليستخلص المعنى المقصود.
9. مراجعة المواطن القرآنية التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها.
10. أن يعلم أن هناك خصوصيات في الاستعمال القرآني كاستعمال الريح للشر، والرياح للخير، والغيث للخير والمطر للشر، والعيون لعيون الماء،والصوم للصمت والصيام للعبادة المعروفة وغير ذلك.
11. أن ينظر في الوقف والابتداء وأثر ذلك في الدلالة والتوسع في المعنى أو التقييد فيه وما إلى ذلك.
12. أن يسترعي نظره أي تغيير في المفردة والعبارة ولو كان فيما يبدو له غير ذي بال فإنه ذو بال، فإن وجد له تعليلا فذاك وإلا فسيأتي من ييسر الله له تعليله وتفسيره كالإبدال في المفردة نحو : « يطّهّر » و « يتطهّر » و « يذّكر » و « يتذكر »، والذكر والحذف نحو : « تذكرون » و « تتذكرون » و « يستطيع » و « يسطع » و « لاتتفرقوا » و « لاتفرّقوا »، وتغيير الصيغة نحو

: مغفرة وغفران، وعداوة وعدوان، ونخل ونخيل، والإدغام والفك نحو : ((من يرتد)) و ((من يرتدد)) و ((يشاق)) و ((يشاقق)) وما إلى ذلك. وكذلك الأمر بالنسبة إلى العبار.

13. إدامة التأمل والتدبر وهما من أهمّ ما يفتح على الإنسان من أسرار، ويهديه إلى معان جديدة.

14. أن يكون قد اطلع على جملة صالحة مما كتبه من تقدمه من مشاهير المفسرين، ونظر في كتب علوم القرآن، وكتب الإعجاز، وكتب المتشابه وتناسب الآيات والسور، وما إلى ذلك مما كتب في أسرار التعبير القرآني فإن فيها أسرار بيانية وفنية بالغة الرفعة.

15. وأساس ذلك كله الموهبة، فإن الموهبة أساس كل علم وفن وصنعة، فبقدر ما أوتي الفرد من موهبة يكون شأنه في العلم والفن، على ألا يعتمد على الموهبة وحدها بل عليه أن ينميها ويصقلها بكثرة الاطلاع والنظر والتدقيق والتأمل.

وقد شرح الأستاذ هذه الأمور شرحاً وافياً في كتابه مستعيناً بأقوال العلماء، أمثال : السيوطي، والزركشي، وابن هشام وغيرهم.

2. كتاب ((**التعبير القرآني**))، وهو دراسة من الأستاذ لتأكيد إعجاز القرآن وعدم قدرة البشر على الإتيان بمثله، فهو مثلا يقول في مقدمته : ((ثم قررت أن أدرس النص القرآني بنفسي، فبدأت أجري موازنات بين كثير من الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير ، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف وما إلى ذلك من أمور لغوية وبلاغية ومعنوية ، وأفحصها فحصا دقيقا، فراعني ما رأيت من الدقة في التعبير والإحكام في الفن والعلو في الصنعة. وجدت تعبيرا فنيا مقصودا حُسِب لكل كلمة فيه حسابها ، بل لكل حرف، بل لكل حَرَكة. وكلما أمعنت النظر والتدقيق والموازنة ازددت بذاك يقينا وبصيرة . وانتهيت إلى حقيقة مسلّمة بالنسبة إلي، وهي أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من كلام البشر، وأن الخلق أولهم وآخرهم لو اجتمعوا على أن يفعلوا مثل ذلك ما قدروا عليه ولا قاربوا))[1].

[1] - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني (ط2 ؛ عمان : دار عمار، 2001م) مقدمة الكتاب.

وإذا أردنا استعراض مضمون الكتاب طالعنا الموضوعات الآتية :

1/ التعبير القرآني.

2/ البنية في التعبير القرآني.

3/ التقديم والتأخير.

4/ الذكر والحذف.

5/ التوكيد في القرآن الكريم.

6/ التشابه والاختلاف.

7/ فواصل الآي.

8/ السمة التعبيرية للسياق.

9/ الحشد الفني.

10/ الحشد الفني في القصص القرآني.

11/ قصة سيدنا آدم عليه السلام.

- قصة آدم في سورتي البقرة والأعراف.
- قصة آدم في سورتي الأعراف و (ص).
- قصة آدم في الحِجر و (ص).

12/ قصة سيدنا موسى عليه السلام.

- في البقرة والأعراف.
- في الأعراف والشعراء.

13/ تفسير سورة التين.

وفي رحلتنا بين موضوعات الكتاب المتنوعة تبهرنا جماليات العرض، وتدهشنا الدقة العالية في اختيار الكلمات في القرآن، ومناسبة اللفظة والحرف للمقام الذي جاء فيه، وتدهشنا البلاغة الرفيعة والتناسب المدهش على الرغم من الاختلاف أو التشابه بين الآيات .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولإظهار هذه الجهود المشكورة من الأستاذ فاضل صالح السامرائي، سنقوم بعرض بعض دراساته في هذا الكتاب ونكتفي بموضوعات : التعبير القرآني، البنية في التعبير القرآني، التقديم والتأخير وتفسير سورة التين.

1. **التعبير القرآني** : تكلم الأستاذ في هذا الموضوع، عن إعجاز القرآن من حيث تعبيره وذهب إلى أن التعبير القرآني فريد في علوه وسموه وأنه أعلى كلام وأرفعه[1]، وأن التعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصوداً، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها، بأن روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله[2]، ثم أن القرآن له خصوصيات في استعمال الألفاظ حيث اختص كثيراً من الألفاظ باستعمالات خاصة به مما يدل على القصد الواضح في التعبير[3]. وضرب لهذه الفكرة أمثلة كثيرة، منها :

إن كلمة « الرياح » استعملت في القرآن الكريم في الخير والرحمة، واستعمل « الريح » في الشر والعقوبات. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾[4] وانظر الفرقان 48 والنمل 63.

وقال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾[5]، في حين قال : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾[6] وقال : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[7]، وقال : ﴿ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾[8] وغير ذلك.

---

[1] - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 9.

[2] - المرجع نفسه، ص 10.

[3] - المرجع نفسه، ص 14.

[4] - الأعراف : 57.

[5] - الروم : 46.

[6] - آل عمران : 117.

[7] - الأحقاف : 24.

[8] - الحاقة : 6.

ولا يستعمل الريح في الخير إلا في موطن واحد أعقبها بالشر وهو قوله تعالى : ﴿ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾[1] وهي خاتمة غير حميدة.

2. **البنية في التعبير القرآني** : يرى الأستاذ بأن القرآن الكريم استعمل بنية الكلمة استعمالاً في غاية الدقة والجمال[2]، ويتمثل ذلك في أمور كثيرة، منها :

– استعمال الفعل والاسم، فمن المعلوم أنّ الفعل يدلّ على الحدوث والتجدد والاسم يدلّ على الثبوت. ومن هذا الضرب قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[3] فهو لم يجعله بعد ولكن ذكره بصيغة اسم الفاعل للدلالة على أنّ الأمر حاصل لا محالة، فكأنه تم واستقر وثبت[4].

– استعماله للأبنية الأخرى، منها أنه يأتي بالفعل ثم لا يأتي بمصدره وإنما جاء بمصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق فيجمع بين معنى الفعل ومعنى المصدر من أقرب طريق وأيسره، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[5] والقياس أن يقول : « أن يضلهم إضلالا بعيداً » لأن مصدر « أضل » : الإضلال، أما الضلال فهو مصدر ضلّ، قال تعالى ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[6]، والمعنى أن يضلّهم فيضلّوا ضلالا بعيداً، وقد جمع المعنيين : الإضلال والضلال في آن واحد. والمعنى أن الشيطان يريد أن يضلهم ثم يريد بعد ذلك أن يَضِلّوا هم بأنفسهم. فالشيطان يبدأ المرحلة وهم يتمونها، فهو يريد منهم المشاركة في أن يتبعوا الضلال ويذهبوا فيه كل مذهب، يريد أن يطمئن إلى أنهم يقومون بمهمته هو »[7].

---

[1]- يونس : 22.

[2]- فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 22.

[3]- البقرة : 30.

[4]- فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 22.

[5]- النساء : 60.

[6]- النساء : 116.

[7]- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو (د.ط ؛ دار الفكر : عمان، 1998م) 2 / 589.

ولو جاء بمصدر الفعل المذكور لما زاد عن معنى الفعل المذكور، ولكنه جاء بالفعل لمعنى، وجاء بالمصدر لمعنى آخر، فيجمع بين المعنيين، والمعنيين مرادان »[1].

3. **التقديم والتأخير** : قسم الأستاذ أحوال التقديم والتأخير في القرآن على قسمين :

أ- تقديم اللفظ على عامله، ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ ونحو ذلك. ومثل هذا التقديم في القرآن كثير منها : قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[2]. فقد قدم المفعول به « إياك » على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية، فلم يقل « إيانا اهد » كما قال في الأولين؛ وسبب ذلك أن العبادة والاستعانة مختصان بالله تعالى، فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به. وهذا نظير قوله تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[3] و﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[4] فقدم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين، وذلك لأن العبادة مختصة بالله تعالى[5].

ب- تقديم اللفظ وتأخيره على غير عامل، لقد رأى الأستاذ أن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعضها دقة عجيبة، و رأى أن القرآن يقدم الألفاظ ويأخرها حسبما يقتضيه المقام، فقد يكون سياق الكلام -مثلا- متدرجاً القدم والأولية في الوجود، فيرتب ذكر الكلمات على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه وهكذا..وضرب مثالا لذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[6]، فخلق الجن قبل خلق الإنس بدليل قوله تعالى : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾[7]، فذكر الجن أولاً ثم ذكر الإنس بعدهم[8].

---

[1]- فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 36.

[2]- الفاتحة : 5 .

[3]- الزمر : 66.

[4]- البقرة : 172.

[5]- فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 49.

[6]- الذاريات : 56.

[7]- الحجر : 27.

[8]- فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 53.

4. تفسير سورة التين

في هذا البحث نرى أن الأستاذ قام بدراسة بيانية في تفسير القرآن، حيث بدأ بدرس علاقات ذكر شجرتي التين والزيتون وما بعدهما، وذهب إلى ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره بأن هذه « محالّ ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول : محله التين والزتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم، والثاني : طور سنين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ، والثالث : مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً »[1].

ثم نظر الأستاذ إلى ترتيب هذه الأشياء المقسم بها، و وجد أن فيه تدرج من الفاضل إلى الأفضل ومن الشريف إلى الأشرف حيث بدأ بالتين والزيتون. والزيتون أشرف وأفضل من التين فقد شهد الله له أنه شجرة مباركة قال : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2]، وهي فاكهة من وجه وإدام من وجه، وزيتها يُستعمل في إنارة المصابيح والسُرُج. ثم أقسم بطور سنين وهو أفضل مما ذكر قبل، فإنه الجبل الذي كلم الرب عليه موسى وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه. ثم انظر من ناحية أخرى كيف وضع طور سنين بجوار الزيتون لا بجوار التين، ثم أقسم بالبلد الأمين وهو مكة المكرمة : مكان مولد رسول الله ومبعثه ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين. وهو أفضل البقاع عند الله وأحبها إليه كما جاء في الحديث الشريف[3].

---

[1] - تفسير ابن كثير (د.ط ؛ دار الأندلس : بيروت، د.ت) 7 / 324.

[2] - النور : 35.

[3] - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 339.

ورأى الأستاذ بأن سبب اختيار لفظ « الأمين » على « الآمن » الذي تردد في مواطن أخرى في القرآن أنه باختياره جمع معنيي الأمن والأمانة، وجمع معنى اسم الفاعل واسم المفعول، وجمع الحقيقة والمجاز، وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة[1].

ثم يقوم الأستاذ بتعليل إسناد الله خلق الإنسان إلى نفسه، ورأى بأن الموطن هنا موطن بيان عظيم قدرته وحسن فعله وبديع صنعه فأسند ذلك إلى نفسه، وأن لو كان السياق على بناء الفعل للمجهول كان القصد بيان نقص الإنسان وضعفه. أما إسناد الله الرد أسفل سافلين إلى نفسه كذلك مع أنه ليس مقام تفضل ولا بيان النعمة، يرى الأستاذ بأنه أنسب شيء هنا ولا يليق لغيره، وذلك لأن الله أراد أن يذكر أن بيده البداية والنهاية، وأنه القادر أولاً وأخيراً لا معقّب لحكمه يفعل ما يشاء في البداية والختام، وهذا لا يكون إلا بإسناد الأمر إلى ذاته العليّة[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[3]، لاحظ الأستاذ بأن الفاء زيد هنا بينما لم يفعل مثل ذلك في آية شبيهة بها، وهي قوله : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[4] دون فاء. واستنتج بأن السياقين مختلفان، فسياق سورة الإنشقاق أكثره في ذكر الكافرين، وقد أطال في ذكرهم و وصف عذابهم، في حين لم يزد في الكلام على المؤمنين سوى آيات قليلة فقط، ولذا حذف الفاء من جزاء المؤمنين في سورة الإنشقاق مناسبة للإيجاز. في حين لم يذكر الكافرين في سورة التين و لم يزد على أن قال ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾[5] يعني الإنسان، وهو غير صريح في أن المقصود به الكافرون أو غيرهم كما أسلفنا. وزاد الأستاذ تعليله بالتأمل في السورتين كيف تناولت الكلام على الإنسان. فقد بدأت سورة الإنشقاق بذكر كدح الإنسان ومشقته ونصبه، وتوعّده ربه بركوب الأهوال والشدائد المتتابعة التي يفوق بعضها بعضاً في الشدة، في حين بدأ في سورة التين بتكريم الإنسان فقال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا

---

[1]- فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص341.

[2]- المرجع نفسه، ص 342.

[3]- التين : 6.

[4]- الإنشقاق : 25.

[5]- التين : 5.

الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1]، فناسب ذلك تأكيدَ استمرار أجره وعدم تنغيصه، وذلك بزيادة الفاء في التين دون الإنشقاق[2].

أما اختيار كلمة « الدين » في قوله : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾[3]، يرى الأستاذ بأنه أنسب هنا، وذلك لما تقدم ذكر مواطن الرسالات، لأن هذه أديان، ولأنه قد يُراد بذلك معنى « الدين » علاوة على معنى الجزاء. والمعنى، أي شيء يجعلك مكذّباً بصحة الدين بعد هذه الأدلة المتقدمة؟، فالذي خلقك في أحسن تقويم يرسم لك أحسن منهج تسعد به في الدنيا وفي الآخرة. فجمعت كلمة « الدين » معنى الدين ومعنى الجزاء في آن واحد، ولو قال فما الذي يكذبك بالجزاء لم يجمع هذين المعنيين[4].

أما قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾[5]، يرى الأستاذ أنه جمع بهذه العبارة معنيين : القضاء والحكمة بل لقد جمع معاني عدة بهذا التعبير، إذ كل لفظ من (أحكم الحاكمين) يحتمل أن يكون بمعنى القضاء والحكمة، فيكون قد جمع أربعة معان كلها مرادة وهي « أحكم الحاكمين » بمعنى أكثرهم حكمة و« أقضى الحكماء » و« أقضى القضاة » و« أحكم القضاة ».

كما يرى الأستاذ أن وضع أسلوب الإستفهام هنا دون أسلوب تقرير بأن يقال (إن الله أحكم الحاكمين) أو نحو ذلك، إنما ليقول المخاطب بنفسه وليشترك في إصدار الحكم فيقول : بلى . ثم نظر الأستاذ إلى ارتباط خاتمة السورة بفاتحتها، ووجد أن فاتحة السورة في ذكر مواطن الرسالات العظمى وارتباطها بخاتمتها واضح بيّن ،فإن الذي أنزل هذه الشرائع العظيمة وما تضمنته من أحكام سامية هو أحكم الحاكمين. وفي الأخير، نظر الأستاذ إلى التنسيق الجميل في إختيار خواتم الآي، فوجد أن خاتمة كل آية اختيرت لتجمع عدة معان في آن واحد، فاختير « الأمين » لتجمع معنيي الأمن والأمانة، و« أسفل سافلين » لتجمع معنى غير منقطع ولا

---

[1] - التين : 4.

[2] - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 245 – 246.

[3] - التين : 7.

[4] - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 346 – 347.

[5] - التين : 8.

منغّص بالمِنّة عليهم، وكلمة « الدين » لتجمع الجزاء والدين، و« أحكم الحاكمين » لتجمع الحكمة والقضاء[1].

3. كتاب « **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني** »، وهو الجزء الثاني من دراسة الأستاذ في التعبير القرآني.

وعند تصفحنا للجزء الثاني من هذه السلسلة القيمة نطالع الآتي :

1/ المقدمة.
2/ الذكر والحذف.
3/ الإبـــــــدال.
4/ فعّل وأفعل.
5/ المبني للمجهول.
6/ الوصف.
7/ الإفراد والتثنية والجمع.
8/ الحركة غير الإعرابية.

وهي موضوعات رئيسية لمسائل فرعية تندرج تحتها، ففي الذكر والحذف مثلا نقرأ المسائل التالية : اسطاعوا واستطاعوا ، تنزّل وتتنزل ، توفّاهم وتتوفّاهم، تبدل وتتبدلوا، ولا تفرّقوا ولا تتفرقوا ... وغيرها مما يعرفنا الأستاذ على الفروق بينها، وسبب هذه الاختلافات بين الكلمات. وأكد الأستاذ بأن التعبير القرآني تعبير فني مقصود. وأن ما حذف من الكلمة في القرآن إنما يفعل ذلك لغرض. ومن ذلك على سبيل المثال :

إنه يحذف من الفعل للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأن زمنه أقصر، ونحو ذلك فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يحذف منه في مقام

[1] - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 348.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل. فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل، بل ذكره بأوفى صورة[1].

ومن ذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾[2] في السد الذي صنعه ذوالقرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب. فقد ذكر الأستاذ أن الصعود على هذا السد أيسر من إحداث نقب فيه لمرور الجيش، فحذف من الحدث الخفيف، فقال : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾، بخلاف الفعل الشاق الطويل، فإنه لم يحذف بل أعطاه اطول صيغة له فقال : ﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾، فخفف بالحذف من الفعل الخفيف بخلاف الفعل الشاق الطويل. وزاد الأستاذ على تعليله بأنه لما كان الصعود على السد يتطلب زمنا أقصر من إحداث النقب فيه حذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق الزمن الذي يتطلبه كل حدث[3].

وفي مبحث آخر، في فعّل وأفعل، نقرأ الموضوعات التالية لنعرف أسرار الاختلاف بين هذه الكلمات: كرّم وأكرم، وصى و أوصى ، نزل وأنزل، نجّى وأنجى ...الخ.

التمس الأستاذ الفرق بين استخدام وزن فعّل وأفعل في كلمة واحدة في القرآن، وأنهما ليسا بمعنى واحد. فهو يرى أن « فعّل » يفيد التكثير والمبالغة غالباً نحو قطّع وفتّح و كسّر وحرّق وسعّر[4].

ففي استعمال « أوصى » و « وصى » مثلا، يرى الأستاذ أن « وصى » استعمل لما هو أهم لما فيه من المبالغة، و القرآن يستعمل « وصّى » للأمور المعنوية ولأمور الدين، ويستعمل « أوصى » للأمور المادية، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾[5]،

---

[1] - فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (ط2 ؛ دار عمار : عمان، 2001م) ص 11.

[2] - الكهف : 97.

[3] - فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 11 – 12.

[4] - المرجع نفسه، ص 62.

[5] - العنكبوت : 8.

وقوله : ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾[1] و﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ﴾[2]، في حين قال : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾[3].

4. كتاب : « **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل** » اختار الأستاذ هذا الاسم عنواناً لبرامجه لئلا يسمي اجتهاده الإعجاز البياني للقرآن الكريم تواضعا منه أمام قدر هذا القرآن، على فضل الأستاذ وتمكنه لكنه تواضع العلماء.

نقرأ في هذا الكتاب مختارات من آيات القرآن الكريم تأملها العالم الفاضل وتوقف عندها ليستخرج بعض درر البيان القرآني، الذي لا يمنح نفسه إلا لمن يستحقه باطنا : « **الإيمان والإخلاص** » وظاهرا : « العلم والجهد ».

يبدأ الكتاب بلمسات البيان في سورة الفاتحة، ويختم بسورتي القيامة والبلد، وبينهما نقرأ مختارات منها سورة القمر والجمعة و المنافقون و قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي الحجر والذاريات، وقصة موسى عليه السلام في سورتي النمل والقصص.

ففي سورة الجمعة مثلا، قام الأستاذ بتأمل الأية 11 من السورة ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[4]، حيث أنه لو سأل سائل لما قدمت التجارة على اللهو أولاً فقال : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ﴾ وأخّرها عنه بعد ذلك فقال: ﴿ خَيْرٌ مِنْ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ ﴾.

أجاب الأستاذ : أنّ سبب تقديم التجارة على اللهو في قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ﴾ أنها كانت سبب الأنفضاض، وذلك أنه قدمت عير المدينة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، وكان من عرفهم أن يدخل بالطبل والدفوف والمعازف عند قدومها

---

[1]- البقرة : 132.

[2]- الأنعام : 151.

[3]- النساء : 11.

[4]- الجمعة : 11.

فانفضّ الناس إليها ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً...﴾، وأما تقديم اللهو عليها فيما بعد في قوله : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ ﴾، فذلك لأن اللهو أعم من التجارة، فليس كل الناس يشتغلون في التجارة ولكن أكثرهم يلهون، فالفقراء والأغنياء يلهون، فكان اللهو أعم فقدمه لذلك إذ كان حكما عاما. فقدم التجارة في الحكم الخاص لأنها في حادثة معينة وقدم اللهو في الحكم العام لأنه أعم، ولأنها مناسبة لقوله: ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾، فالتجارة من أسباب الرزق وليس اللهو فوضعها بجنبه. ولأن العادة أنك إذا فضلت بين أمور فإنك تبدأ بالأدنى، ثم تترقى فتقول: « فلان خير من فلان ومن فلان أيضاً »، فإنك إذا بدأت بالأفضل انتفت الحاجة إلى ذكر من هو أدنى، فبدأ باللهو لأنه ظاهر المذمة ثم ترقى إلى التجارة التي فيها كسب ومنفعة[1].

هذه بعض جهود الأستاذ في مجال التفسير البياني للقرآن الكريم، قدمنها ههنا على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر. ونرى أن ما قام به الأستاذ من أرسخ الجهودَ التي مهدت للدراسات البيانية في العصر الحاضر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 175 – 176.

الفصل الثالث

جهود بنت الشاطئ في التفسير البياني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : جهود بنت الشاطئ في التفسير البياني

في مطلع حياتها الأكاديمية، قضت بنت الشاطئ نحو عشرين عاماً تدرس اللغة العربية، وقد حققت من خلالها وجودها الأكاديمي، فحصلت خلال هذه الفترة على الماجيستر والدكتوراه. ولم تكن لتمض في تفسير القرآن الكريم حتى تملك أدواته وبخاصة اللغة العربية لغة القرآن.. إلى مطلع الستينات من القرن العشرين، حيث لم يكن عجيباً أن يكون في مقدمة أعمالها العلمية التي ترقت بها إلى درجة أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها « معجم المحكم لابن سيده » و « التفسير البياني للقرآن الكريم ».

فجاء التفسير البياني للقرآن الكريم بمثابة حلقة الوصل أو الجسر الذي تعبر عليه من الدراسات العربية إلى الدراسات القرآنية. ودلّ نتاجها العلمي في هذا العقد على متانة الأساس والقدرة والمهارة الفائقة على دراسة ما توقفت عن الخوض فيه قبل عشرين عاماً، وقدمت إلى المكتبة العربية عدة كتب منها : « التفسير البياني للقرآن الكريم » و « الإعجاز البياني في القرآن الكريم » و « الإنسان وقضايا العصر » و « الشخصية الإسلامية » و « القرآن والتفسير العصري ».

وعلى ذلك المدى الطويل، وجدت بنت الشاطئ في هذا القرآن النبع الفيّاض الذي تنهل منه كلما دعيت إلى الجامعات العربية أو المؤتمرات الدولية أوالمواسم الثقافية : « منهج التفسير البياني » الجزائر- أغسطس 1963م، « مشكلة الترادف اللغوي، في ضوء التفسير البياني للقرآن » مؤتمر المستشرقين الدولي بنيودلهي، الهند - يناير 1964م، « كتاب العربية الأكبر » مؤتمر أدباء العرب - بغداد 1965م، « تفسير سورة العصر : منهج وتطبيق » كلية الشريعة ببغداد - 1965م، « القرآن وحرية الإرادة » الموسم الثقافي للكويت - 1965م، « قضية الإعجاز » ندوة أسبوع القرآن، جامعة أم درمان الإسلامية - فبراير 1968م، « الإعجاز البياني القرآني » ندوة علماء الإسلام بالمغرب، الرباط - مايو 1968م، « جديد من الدراسة القرآنية » المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر- مايو 1968م، « القرآن وقضايا الحرية » الموسم الثقافي لجامعة أم درمان الإسلامية الخرطوم، وعطبرة، والأبيض - 1968م، « منهج الدراسة القرآنية » جامعة لاهور، باكستان - 1969م، « القرآن وحقوق

الإنسان » أبو ظبي – أبريل 1971م، « من أسرار العربية في البيان القرآني » جامعة بيروت العربية، آذار – 1972م، « الإسرائيليات والتفسير » طرابلس، لبنان، آذار – 1972م، «القرآن والفكر الإسلامي المعاصر » المركز الثقافي الإسلامي، نيسان بيروت – 1975م.

و في سنة 1970م كانت متفرغة للدراسات القرآنية في جامعة القرويين بالمغرب، ومنذ ذلك الحين يكاد ينحصر نتاجها العلمي في علوم القرآن، والتفسير البياني والإعجاز البياني، وعلوم الحديث.

والآن نحن بصدد دراسة جهودها في التفسير البياني للقرآن الكريم، وحتى نبرز ذلك فلابدّ من أن نقوم بتعريف ودراسة أهم مؤلفاتها في هذا المجال، وهما :

1. التفسير البياني للقرآن الكريم.
2. الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

المبحث الأول : جهودها في كتاب " التفسير البياني للقرآن الكريم "

المطلب الأول : التعريف بالكتاب :

1- تاريخه :

في مطلع الستينات من القرن العشرين، وبالأحرى في سنة 1381هـ (1962م) ظهرت الطبعة الأولى للجزء الأول من هذا الكتاب، وكان مع معجم المحكم لابن سيده[1]، وقيم جديدة لأدبنا العربي، القديم و المعاصر[2]. ثم صدر الجزء الثاني في سنة 1388هـ (1968م)[3]، من المؤهلات التي نالت بها بنت الشاطئ درجة أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها، بجامعة عين شمس. يقع هذا التفسير في جزأين فقط، الأول وعدد صفحاته مائتان وست عشرة صفحة، والثاني ويقع في مائة واثنين وتسعين صفحة، وقامت مطبعة دار المعارف بطبعه عدة مرات.

---

[1]- المجلد الثالث نشرته في نصه المحقق جامعة الدول العربية، طبع الحلبي بالقاهرة : 1958م.

[2]- نشرته دار المعارف سنة 1970م، ثم معهد الدراسات العربية بالقاهرة سنة 1972م.

[3]- محمد بن لطفي الصبّاغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير (ط3 ؛ المكتب الإسلامي : بيروت، 1990م) ص 258.

2- دوافع التأليف :

لابدّ أنّ هناك دوافع جعلت بنت الشاطئ تقدمت على تأليف مثل هذا التفسير، وعادة ما يلجأ أكثر الباحثين إلى تسجيل هذه الدوافع في مقدمة كتبهم كما فعلت بنت الشاطئ في مقدمة تفسيرها، ولعل أهم هذه الدوافع مايلي[1] :

1- لقد رأت بنت الشاطئ أصحاب الدرس الأدبي مشغولين بالمختارات من المعلقات والنقائض والمفضليات وغيرها، شغلوا بذلك وغيره عن القرآن الكريم الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر ومعجزتها البيانية الخالدة، ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل عربي أراد أن يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها، ويستشف أسراراها في البيان وخصائصها في التعبير.

2- ترك الدارسين دراسة النص القرآني لدرس التفسير وحده، دون أن ينقلوه إلى مجال دراسات العربية التي قصروها على دواوين الشعر والنثر ومشهور الكتاب، وقليل منهم من حاول أن يجعل من النص القرآني موضوعاً لدراسة منهجية على غرار ما يفعلونه بنصوص أخرى لا سبيل إلى مقارنتها بالقرآن الكريم في إعجازه البياني.

3- كون القرآن الكريم مناط الوحدة الذوقية والوجدانية لمختلف الشعوب التي اتخذت العربية لساناً لها... و رأت بنت الشاطئ بأن الشعوب العربية اليوم إذا تتداعى بالوحدة، فلابد لنها أن تلوذ بكتابها الأكبر الذي تلتقي عنده لساناً ووجداناً على اختلاف بيئاتها ولهجاتها وتباين ميراثها الحضاري والفني، كما يلتقي المسلمون عنده، في شتى أقطارهم...ولن يكون هذا التلاقي عند كتابنا العربي المبين إلا إذا جدّت محاولتنا في درسه وفهمه وتذوقه على منهج دقيق محرر، ينفذ من وراء الحجب التي أسدلتها التأويلات المذهبية والطائفية، والأذواق الأعجمية، إلى الجوهر الكريم في ذروة نقائه وجلال أصالته.

---

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 13 - 17.

4- إعتقادها بأن التفسير – بناءً على اعتراف العلماء أنفسهم - ظلّ من علوم العربية التي لم تنضج و لم تستوي، مما يفسح لها العذر حين تتقدم إلى الميدان الجليل في حدود جهدها وطاقاتها واختصاصها.

3- أهداف التأليف :

وقد جاءت أهداف بنت الشاطئ لتأليف هذا الكتاب بناءاً على الدوافع السابقة الذكر، وتتمثل هذه الأهداف في[1] :

1- محاولتها تفسير القرآن تفسيراً بيانياً، حيث حرصت على أن تخلص لفهم النص القرآني فهماً مستشفاً روح العربية ومزاجها، مستأنسة في كل لفظ بل في كل حركة ونبرة بأسلوب القرآن نفسه، ومحتكمة إليه وحده عندما يشتجر الخلاف على هدى التتبع الدقيق لمعجم ألفاظه والتدبر الواعي لدلالة سياقه، والإصغاء المتأمل إلى إيحاء التعبير في البيان المعجز.

2- تطبيق المنهج الذي تلقته عن أستاذها أمين الخولي، وتوضيح الفرق بينه وبين الطريقة المعهودة في التفسير، وتناول القرآن الكريم باعتباره نصاً لغوياً يقوم على المنهج الاستقرائي الذي يتناول النص القرآني في جوّه الإعجازي.

3- محاولة لإثبات مدى حاجتنا إلى فهم نص القرآن قبل أي شيئ آخر، و كشف ما في كثير من كتب التفسير واللغة والبلاغة من شطط التأول، والتكلف، واعتساف الملحظ وتحميل ألفاظ القرآن وعباراته ما يأباه القرآن نفسه حين نحتكم إليه.

4- وهي ترجو من وراء هذه المحاولة أن تتيح لها ولمثلها مكاناً في صميم الدرس الأدبي بالجامعة، كما أنها تطمع في التأكيد على أن الدراسة المنهجية لنص القرآن الكريم يجب أن تتقدم كل دراسة أخرى فيه..لأن الذين يعنون بدراسة نواح أخرى فيه، والتماس مقاصد بعينها منه ؛ لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئاً دون أن يفقهوا أسلوبه الفريد ويهتدوا إلى أسراره البيانية التي تعين على إدراك دلالته.

---

[1] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 15 – 18.

4- موضوعاته :

وقد قامت بنت الشاطئ بتفسير عدد من السور القرآنية في كل جزء من تفسيرها، ففسرت سورة الضحى والشرح، والزلزلة، والعاديات، والنازعات، والبلد، والتكاثر في الجزء الأول. كما فسرت سورة العلق، والقلم، والعصر، والليل، والفجر، والهمزة، والماعون، وذلك في الجزء الثاني من هذا التفسير.

المطلب الثاني : منهجها في التفسير :

إن المنهج الذي بَنت عليه بنت الشّاطئ تفسيرها هو المنهج الذي تلقته عن أستاذها « أمين الخولي » الذي شرحه في كتابه « مناهج التّجديد »[1]، فقد وصفت هذا المنهج بقولها : « والأصل في منهج هذا التّفسير –كما تلقيته عن أستاذي- هو التّناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدّلالات اللّغوية لكل ذاك...وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، يؤخذ اللّفظ أو الآية فيه، مقتطعاً من سياقه العام في القرآن كلّه، ممّا لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدّلالة القرآنية لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائص البيانيّة »[2].

وهذا المنهج –كما تراه بنت الشاطئ- يثبت مدى حاجتنا إلى فهم نص القرآن المعجز قبل أي شيئ آخر، ويكشف كذلك عن شطط التأويل في كثير من كتب التفسير واللغة والبلاغة، أو من بُعْد التكلف واعتساف الملحظ، وتحميل ألفاظ القرآن وعبارته ما يأباه القرآن نفسه حين نحتكم إليه[3].

وقد حرصت بنت الشاطئ في هذه المحاولة التفسيرية للنصوص القرآنية التي وقع عليها اختيارها، أن تفيد من جهودها في العرض المعجمي والاستعمالي للفظ، فهي كثيراً ما تلتفت إلى استيحاء السياق الدلالةَ الأدبية لاستعمال اللفظ، ثم تأخذ في تعليل اختيارها، وبيان ميزته

---

[1]- وقد قمنا بعرض منهج الأستاذ عند قيامنا بقصة تأصيل المنهج [أنظر صفحة : 63 – 65].

[2]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 17.

[3]- المصدر نفسه، ص 18.

التي جعلته أنسب الألفاظ لموضعه المقسوم له. وهو موضوع حديثنا الآن لنقوم باستخراج أهمّ قواعد هذا المنهج عند تطبيقها له.

المطلب الثالث : القواعد التي اعتمدت عليها بنت الشاطئ في التفسير البياني :

من خلال قراءتنا لكتابها « التفسير البياني للقرآن الكريم » ، يمكننا استخراج بعض القواعد التي اعتمدت عليها بنت الشاطئ في تفسيرها البياني، أهمها[1] :

أولاً- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب :

وهي القاعدة التي أشارت إليها في مقدمة تفسيرها ورتبت عليها نظرها إلى أسباب النزول حيث قالت : « أن المرويات في أسباب النزول موضع اعتبار في فهم الظروف التي لابست نزول الآية، مع تقدير أن الصحابة الذين عاصروا نزولها ورويت عنهم أقوال فيها، ربطها كل منهم بما وَهِمَ أو فهم أنه السبب في نزولها. وهذا هو معنى قول علماء القرآن : " إن المرويات في أسباب النزول يكثر فيها الوهم "، ونقدر معه أن السببية فيها ليست بمعنى العلّيّة التي لولاها ما نزلت الآية، وأن العبرة في كل حال بعموم اللفظ المفهوم من صريح نصها إلا أن يتعين الاعتبار بخصوص السبب الذي نزلت فيه »[2].

أما المرحلة التطبيقية عندها، فهي تورد سبب النزول ثم تعقب عليه بقاعدة الأصوليين وتعلق عليه، خذ مثالاً لذلك ما قالته في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[3]، قالت : « وللمفسرين في الإنسان قولان : إنه لعموم الجنس، أو إن « ال » للعهد مراداً بالإنسان جماعة من المشركين : " الوليد بن المغيرة " و" العاص بن وائل " و" الأسود بن عبد المطلب " في رواية عن ابن عباس.. ولا نقف عندما اختلفوا فيه، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية، والسياق على ظاهره لا يخص الإنسان بفلان أو بآخر، والتعميم فيه مستفاد صراحةً من الإطلاق، ثم الاستثناء

---

[1] - استفدنا جمع هذه القواعد مما كتبه الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي في كتابه (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) ص 927 – 950 .

[2] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 2 / 8 – 9 .

[3] - العصر : 2 – 3.

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾، وهذا الاستثناء ينقطع إذا ما كان الإنسان خاصاً بالمعهودين الذين ذكروهم، وليس فيهم من يخرج بالاستثناء مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات »[1].

فهي كما نرى لا تكتفي بإيراد القاعدة الأصولية وهي التعميم، بل تبرر سبب رفضها لتخصيص الإنسان بعينه هنا، بانقطاع الاستثناء إذ ليس من المذكورين من يخرج به. ولكنها أحياناً تكتفي بإيراد القاعدة فقط، خذ مثالاً لذلك ما قالته في ما ورد من سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾[2]، قالت : « وقالوا في أسباب النزول، إنها نزلت في : أبي سفيان، أو العاص بن وائل السهمي، أو الوليد بن المغيرة، أو أبي جهل، وقال ابن عباس " نزلت في منافقٍ جمع بين البخل والمراءة "، والعبرة على كل حال بعموم اللفظ »[3]، فهي استغنت بسوق القاعدة الأصولية دون إيراد سبب التعميم، خلافا لصنيعها مع المثال الأول، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنها لا تلجؤ الى التبرير بعد سوق القاعدة إلا إذا كان في المسألة خلاف معتبر، فتدلل على اختيارها مبرزة وجهة نظرها من الناحية البيانية، دون إغفال أو تنازل عن منهجها الذي تصفه دائما بالصارم .

ثانياً : استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده :

وقد أوردت بنت الشاطئ هذا الأصل و قررته في مقدمة الجزء الثاني من تفسيرها، واعتبرته أحد قواعد منهجها حيث قالت عنه : « والمنهج المُتَّبع هنا هو الذي خضعت له فيما قدَّمت من قبل، بضوابطه الصارمة التي تأخذ باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله التماساً لسرها البياني. وإذ نضع معاجم العربية وكتب التفسير في خدمة هذا المنهج، فإننا نحاول أن ندرك حس العربية للألفاظ التي نتدبرها من النص القرآني، عن طريق لمح الدلالة المشتركة في شتى وجوه استعمالها

---

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 2 / 80 – 81 .

[2]- الماعون : 1.

[3]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 2 / 183.

لكل لفظ. وواضح لا سبيل إلى دراسة أي نص في لغة ما، دون فقه لألفاظه في لغته، ثم يكون للنص بعد ذلك أن يحدد لكل لفظ دلالته الخاصة من شتى الدلالات المعجمية، أو يضيف إليها ملحظاً ينفرد به »[1].

فهي توضّح بأن اختيار دلالة خاصة للكلمة القرآنية لا يعني إلغاء سائر الدلالات المعجمية الأخرى، كما أن إيثار القرآن لصيغة بعينها لا يعني تخطئة غيرها من الصيغ في فصحى العربية، وإنما يعني أن لهذا القرآن معجمه الخاص وبيانه المعجز، فلا يعترض معترض بأن العربية تعرف صيغاً ودلالات أخرى للكلمة.

وقد اعتنت بنت الشاطئ بهذا الأصل عناية كبيرة فجاء تفسيرها محتوياً على معجم لألفاظ السور التي تناولتها بالتفسير، بل إن عنايتها تلك جاءت - فيما أعتقد - على حساب فكرة الموضوع التي طال ما دعت إليها كما سيأتي بيانه.

وهي حين تدرس كلمة قرآنية تبذل وسعها في استقراء معانيها في القرآن ومدلولاتها حتى تصل – حسب فهمها - إلى ما ترى أنه الصواب.

و سوف نضرب بعض الأمثلة لتطبيق بنت الشاطئ لهذه القاعدة في تفسيرها :

تقول بنت الشاطئ في معنى الساعة من قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾[2] : « ولفظ " ساعة " في العربية يعني الجزء من الوقت، ثم تحدد بستين دقيقة. ويستعمل مُعَرَّفاً بـــ« ال » للعهد، ظرف زمانٍ للوقت الحاضر، فيقال : أزورك الساعة أي الأن، ثم غلب استعمال «الساعة» في الآلة الضابطة للوقت بعد اختراعها »[3].

ثم تقوم بتطبيق القاعدة باستقراء لفظ " الساعة " الواردة في القرآن نكرةً كانت أو مُعرّفةً إلى أن تصل إلى دلالتها حيث تقول: « لكن للقرآن استعماله الخاص للساعة، فهو لا يستعملها نكرةً إلا في برهة من الوقت قصيرة دون تحديد لها بالدقائق :

[الروم : 55] : ﴿ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ .

---

[1] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 2 / 7 – 8 .

[2] - النازعات : 42.

[3] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 159.

[النحل : 61] : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

[يونس : 45] : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ ﴾.

[الأحقاف : 35] : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾.

أمّا حين يستعمل القرآن « الساعة » معرفة بـــ« ال »، فتلك – دائماً – هي ساعة الآخرة، لم يتخلف هذا في أي موضوع من المواضع الأربعين التي جاءت « الساعة » فيها في القرآن الكريم، بدلالتها الإسلامية في المصطلح الديني[1].

ثم قدمت وجهة نظرها البيانية في هذا الاستعمال المطرد مستقرئةً للآيات التي ورد فيها لفظ " الساعة " بقولها : « والملحظ البياني في هذا الاستعمال المطرد، أن هذه « الساعة » تنفرد دون ساعات الزمن كله، بأنها الحاسمة الفاصلة التي يتغير فيها نظام الزمن وسير الكون، لما يحدث فيها من حدث هائل خطير، وهو معنى يقوى ويتضح بإسناد القيام والإتيان والمجيء إلى هذه الساعة المتميزة الحاسمة دلالةً على بروزها وشخوصها وفاعليتها :

[الأنعام : 31] : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾.

[الأنعام : 40] : ﴿ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ ﴾.

[يوسف: 107] : ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾، ومعها الحج : 55،

والزخرف : 66، و محمد : 18.

[الروم : 12، 14، 55] : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾، ومعها طه 15، والجاثية 28.

[سبأ : 3] : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

[القمر : 1] : ﴿ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾.

[الكهف : 36] : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾، ومعها فصلت :50 »[2].

ويمثل استقراءها للفظ « ساعة » و« الساعة » في القرآن الكريم كان استقراؤها لألفاظ أخرى كثيرة، منها لفظ « يتيماً » في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴾[3]، لكنها هنا

---

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 159.

[2]- المصدر نفسه : 1 / 159 – 160.

[3]- الضحى : 6.

زادت عن ذاك بإيراد أقوال المفسرين في المراد باليتيم، قالت : « ففي اليتم والإيواء قال " الرازي " : إنه من قولهم درة يتيمة، والمعنى : ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظر، فآواك أى جعل لك من تأوي إليه وهو أبو طالب، وقرئ : فأوى – بالتخفيف، أي رحم. ويقول " الزمخشري "، محقاً : « إن تفسير يتيم هنا بالدرة اليتيمة، من بدع التفاسير » وإنما اليتم عنده فقدان الأب، ومثله أبو حيان في البحر. وقال " الراغب " في المفردات : اليتم – في آية الضحى– انقطاع الصبي من أبيه قبل بلوغه. وهذا هو الأصل في اليتم لغة، ثم قيل لكل منفرد : يتيم، ومنه الدرة اليتيمة أي المنفردة »[1].

ثم بعد أن ساقت بنت الشاطئ هذه الأقوال للمفسرين، قدّمت استقراءها للفظ " اليتيم " مفرداً مثنى وجمعاً في القرآن : « والقرآن، استعمل اليتيم، مفرداً ومثنى وجمعاً، ثلاثاً وعشرين مرة، كلها بمعنى اليتيم الذي هو فقدان الأب، ويلحظ فيه اقتران اليتم بالمسكنة في أحد عشر موضعاً : البقرة 83، 177، 215، والنساء 8، 35، والأنفال 41، والحشر 7، والدهر 8، والفجر 17، والبلد 15، والماعون 2.

كما ذكر فيه من آثار اليتيم : الجور، وأكل المال ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُوْنَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[2]، ومعها الأنعام 152، والإسراء 34، والنساء 2، 6.

وعدم الإكرام ﴿ كَلاَّ بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾[3].

والدعّ الذي هو الدفع العنيف مع جفوة ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾[4]، والقهر فى آية الضحى »[5].

ثم قدمت بنت الشاطئ استنتاجها للمراد باليتيم في الآية: « وأمام هذا التتبع، لا نملك إلاّ أن نستبعد تفسير اليتم بغير ذاك الذي في القرآن، وقد ولد محمد يتيماً، ثم تضاعف يتمه بموت

---

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 42.

[2]- النساء : 10.

[3]- الفجر : 17 – 18.

[4]- الماعون : 1 – 3.

[5]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 42 – 43.

أمّه وجدّه، لكنه تعالى نجاه من آثار اليتم التي هي بشواهد من آيات الكتاب الكريم : الدع والقهر، والانكسار والجور، مما كان مظنة أن يكسر نفسه، فذلك هو قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴾[1] ترشيحاً بهذا الإيواء الإلهي –غير المقيد بمتعلق– إلى ما بعده من نعمة الهداية بعد حيرة وضلال، وتهيئة لحمل الرسالة الكبرى »[2]. وبهذا ترفض بنت الشاطئ ما أوردته من تفسير الرازي لليتم، وتقصره على فقدان الأب، ويرجع هذا بالطبع إلى تمسكها الشديد باتباع منهجها الصارم والتقيد التام بنتائجه، و ذلك بعد الاستقراء التام والاحتكام إلى القواعد المنهجية المتبعة أثناء تعرضها إلى تفسير أي كلمة، وهذا ما نلمسه دائما في شخصيتها عند تصفحنا لتفسيرها.

ومثال آخر من عنايتها بالمفردات نذكره لتأكيد اهتمامها بذلك، كتفسيرها لـ« السعي » في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾[3]، فقد أوردت بنت الشاطئ المعنى اللغوي للفظ السعي أولاً : « والسعي في اللغة المشي، لُحِظ فيه أن الساعي يبتغي عملاً أو يتجه إلى مقصد يدأب فيه، فكان السعي بمعنى العمل مع القصد والدأب »[4].

ثم أوردت استعمال القرآن للمادة ووجدت أن الدلالة الأولى للسعي في القرآن بمعنى المشي والحركة على الحقيقة، أو التخييل والمجاز في آيتي « طه » عن عصا موسى ألقاها ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[5]، وحبال السَحرة وعصيهم ألقوها ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾[6]، وفي آيتي التحريم والحديد في نور المؤمنين ﴿ يَسعَى بَيْنَ أَيْدِيْهِم ﴾ يوم القيامة، كما نجد دلالة السعي على العمل مع الدأب في آيات : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾[7]، ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ

---

[1]- الضحى : 6.

[2]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 43.

[3]- الليل : 4.

[4]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 2 / 103.

[5]- طه : 20.

[6]- طه : 66.

[7]- الأنبياء : 94.

سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾[1]، ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾[2]، ودلالة القصد أوضح في آيات : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾[3]، ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ﴾[4] إلى أن حددت أن معنى السعي في آية الليل : « هو من العمل الكسبي مع القصد والدأب، ومثله السعي في آيات : الأنسان 22، النجم 40، الغاشية 9 »[5].

وأمثال هذا الاستقراء اللفظي كثير جدا في تفسيرها، نكاد نجد في كل سورة فسرتها بنت الشاطئ في تفسيرها، وهو الشيء الذي يؤكد استماتة المفسرة في تطبيق منهجها الذي كلما ذكرته وصفته بالإنضباط والصرامة .

ثالثاً : الاهتمام بدلالة السياق :

وهي سمة قصرتها بنت الشاطئ على منهجها الموضوعي، وقطعت السبيل على المناهج الأخرى للاهتداء إلى تفسير القرآن إن لم تسلك منهجها، وأنهم لم يبلغوا مبلغاً لذلك..

قالت : « والمنهج المُتَّبع هنا هو الذي خضعت له فيما قدَّمت من قبل، بضوابطه الصارمة التي تأخذ باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده للوصول إلى دلالته وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله التماساً لسرها البياني..»[6].

وإذا نظرنا إلى جانب التطبيقي عندها وجدنا مجموعة من الأمثلة ، منها : « الكَبَد » في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾[7]، فهي تذكر أن المفسرين لم يختلفوا في أن معناها في آية البلد هو الشدة، لكن أقوالهم شتى في تحديد هذه الشدة.

---

[1]- الإسراء : 19.

[2]- الكهف : 104.

[3]- البقرة : 114.

[4]- المائدة : 33.

[5]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 2 / 104.

[6]- المصدر نفسه : 2 / 7 – 8.

[7]- البلد : 4.

ثم ساقت بنت الشاطئ عدداً من الأقوال وعقبت عليها بقولها : « ما نظن المكابدة هنا تنصرف إلى ما ذكروه من مشاق الحمل والنمو والعيش والموت والحساب، كما نستبعد أن يكون « الكَبَد » في الآية هو مرض القلب وفساد الباطن كما قال الزمخشري »[1].

ثم أبدت بنت الشاطئ ترجيحها : « وإنما الكبد –فيما نرجح– هو ما هيّئ له الإنسان بفطرته من احتمال المسؤولية، ومشقة الاختيار بين الخير والشر »[2].

وعللت ذلك بأن « وجه ارتباطه بالقسم قبله، بحال أهل مكة وما اختاروا لأنفسهم من استحلال أذى الرسول وهو مقيم بالبلد الحرام– واضح ظاهر. وهو أوضح ارتباطاً بالآيات بعده من ضلال الغرور بهذا الإنسان الذي وهبه الله وسائل الإدراك والتمييز، وبيّن له معالم الطريقين : الخير والشر »[3].

ومثلاً آخر « العقبة » في قوله تعالى : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾[4]، قالت عارضةً لآراء المفسرين في " العقبة " : « لكن ما العقبة التي يتحدث عنها القرآن هنا ؟ في الطبري عن الحسن البصرى : عقبة والله شديدة، مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان. وقريب منه، ما قاله الزمخشري، ونقله الشيخ محمد عبده. وقيل العقبة جهنم أو جبل فيها لا ينجى منها إلا الأعمال الصالحة ..»[5].

ثم قدمت ملاحظتها حيث قالت : « ونرى السياق في غير حاجة إلى تأويلٍ يغني عنه أن القرآن نفسه قد تولى بيان « العقبة » حين أتبعها السؤال اللافت : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾[6]، فهذا بيان للعقبة التي يجب أن يقتحمها الإنسان، بما هُيأ له من وسائل المكابدة وطاقة المجاهدة، والإدراك والتمييز. وهو

---

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 178 – 179.

[2]- المصدر نفسه : 1 / 179.

[3]- المصدر نفسه.

[4]- البلد : 11.

[5]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 185.

[6]- البلد : 12 – 17.

كذلك بيان لأوضاع ظالمة نشأت عن غرور القادرين وطغيان أصحاب المال في « هذا البلد » : فليس ما كان المجتمع المكي يعانيه من مآسي الرق، ومن التصدع الطبقي، ومن البغي والاستبداد إلى حدّ انتهاك حرمة الرسول –عليه الصلاة والسلام– في البلد الحرام، ليس هذا كله إلا أثراً لطغيان هذا الإنسان الذي غرته قوته فاستعبد مخلوقين مثله، وملك رقابهم بأغلال الاسترقاق المهين، كما زين له جاه الثراء أن يباهي بأنه أهلك مالاً لبداً، وعلى مقرُبة منه يتيم محتاج، أو مسكين لاصق بالتراب...

أوضاع مريضة، استقرت على مر الأجيال وتوارثها « هذا البلد » ولداً عن ولد، وطبقة في إثر طبقة، وكان الإنسان جديراً بأن يقاوم طغيان المال وغرور القوة، وأن يحتمل أعباء البذل والإيثار من أجل خير الجماعة، على ما في ذلك من مشقة وعناء »[1].

رابعاً : القرآن هو القاعدة :

لقد قالت بنت الشاطئ في مقدمة تفسيرها و هي تقرّر إحدى قواعد منهجها : « نحتكم إلى سياق النص في كتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصاً وروحاً، ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، ونتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات وشوائب الأهواء المذهبية، وبدع التأويل »[2].

وليس الأمر كذلك في التفسير فحسب بل في كل قاعدة لغوية أو بلاغية حيث تقول : « يكفي أن يأتي التعبير في الكتاب العربي المبين ليكون هو الشاهد والحجة والأصل الذى تُعرض عليه كل قاعدة لغوية أو بلاغية، لا أن نحكّم فيه قواعد للنحاة والبلاغيين، في دراستهم للعربية علماً وصنعة »[3].

ولهذا فهي ترفض كثيراً من تأويلات المفسرين لتوافق قواعد النحو، حيث أنها تصر معلنة بأن القرآن هو الكتاب العربي المبين، والمرجع المتين، و محك قواعد النحاة و الباغيين، ولا يسعنا إلاّ أن نأتي ولو بمثالٍ واحدٍ لهذا.

---

[1] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، 1 / 185 – 186.

[2] - المصدر نفسه : 1 / 11.

[3] - المصدر نفسه : 1 / 41.

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[1]، قالت : « وفي الصنعة الإعرابية : أثار بعض المفسرين هنا مشكلات ما أغنى البيان القرآني عنها : القاعدة النحوية عندهم أن اللام في « سوف » إن كانت للقسم، لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد، وإن كانت اللام للابتداء فإنها لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر... لا بد إذن من تكلف واحتيال، لتسوية الصنعة!

ثم قدمت بنت الشاطئ جملة من أقوال العلماء في هذا : منها قول الزمخشري الذي رأى أنه « لا بد من تقدير مبتدأ محذوف وأن يكون أصل العبارة : ولأنت سوف يعطيك ربك فترضى »[2]...وكذلك قال أبو حيان : « إن اللام هنا لام ابتداء أكدت مضمون الجملة على إضمار مبتدأ أي ولأنت سوف يعطيك »[3].

ثم قدمت بنت الشاطئ ملاحظتها على هذه الأقوال وقالت : « وندرك جور الصنعة الإعرابية على هذا البيان العالي إذا احتكمنا إلى حسِّ العربية، ووازناً بين التعبير القرآني ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ وذلك التأويل المقدر الذي قال عنه "الزمخشري" إنه الأصل : ولأنت سوف يعطيك »[4].

ورأت بنت الشاطئ أن العلماء قد جاوزوا قدرهم حين أولوا الآية المحكمة من البيان الأعلى، بقولهم : لا بد من تقدير كذا...لأن أصل التعبير كذا !، وهي ترى أنه كان يكفي أن يأتي التعبير في الكتاب العربي المبين ليكون هو الشاهد والحجة والأصل الذى تُعرض عليه كل قاعدة لغوية أو بلاغية، لا أن نحكّم فيه قواعد للنحاة والبلاغيين، في دراستهم للعربية علماً وصنعة[5]. و بذلك فهي تتحفظ في إعمال القواعد النحوية أو البلاغية التي لا يكون مرجعها الكتاب المبين، لأنه هو الأصل، فلا بد لتلك القواعد أن تحاكي نظمه وان تحتكم إليه لا أن تحاكمه وتطغى عليه.

---

[1]- الضحى : 5.

[2]- الزمخشري، الكشاف 4 / 219.

[3]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (ط2 ؛ دار الفكر : بيروت، 1983م) 8 / 486.

[4]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 40 – 41.

[5]- المصدر نفسه : 1 / 41.

خامساً : ترك الإطناب عما أبهم في القرآن الكريم :

وكثيراً ما تذم بنت الشاطئ أولئك الذين يطنبون في بيان أمر أغفله النص القرآني، إذ لو كان في ذكره فائدة أو تَرَتَّب عليه معنى لذكره القرآن.

فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى ﴾[1]، قالت : « **والأولى ألا نحدد الآية هنا، ما دام القرآن نفسه لم ير تعيينها في هذا الموضع، مكتفياً بوصفها بالكبرى، وهي صيغة تشهد بمبلغ دلالة الآية على صدق موسى، وعلى قدرة ربه، رب فرعون والخلق جميعاً** »[2].

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾[3]، قالت : « **ولا نرى أن نقف هنا عندما ورد في بعض كتب التفسير من تحديد سبب الإبطاء في الوحي...كذلك لا نرى وجهاً للوقوف عندما ذكر مفسرون في تحديد مدة الإبطاء... إذ يغنينا عن مثل هذا سكوت القرآن نفسه عن تحديد فترة الوحي باليوم أو بالشهر، ولو كان البيان القرآني يرى حاجة إلى هذا التحديد ليزيد في اليقين النفسي، لما أمسك عن ذلك التحديد، لأن مقتضى البيان أن يستوفي كل ما يدعو إليه المقام مما يتصل بغايته، فإذا أمسك هنا عن ذكر سبب الإبطاء وتحديد مدته، فلأن الذي يعنيه هو جوهر الموقف لا تفصيلاته الجزئية...فالمهم هنا هو جوهر الموقف ولا شيء من جزئياته بذي جدوى على المعنى** »[4].

ومثالاً آخر في كلمة « النعيم » في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾[5]، قالت بنت الشاطئ : « **وقد اختلف المفسرون في هذا السؤال عن النعيم : ممن يكون؟ ولمن يكون؟ وأين يكون؟ في قولٍ : إن السؤال يكون من الملائكة، وقيل : إن السؤال من الله** »[6].

---

[1] - النازعات : 20.

[2] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 145.

[3] - الضحى : 3.

[4] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 35 – 36.

[5] - التكاثر : 8.

[6] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 210.

وقد أنكرت بنت الشاطئ هذا الاختلاف بقولها : « والقرآن سكت عن ذكر السائل، تركيزاً للاهتمام في السؤال نفسه، ففيم هذا الاختلاف فيمن يكون السائل، مع أن صنيع القرآن صريح في الصرف عنه عمداً ؟ »[1].

ثم أنكرت أيضاً توجيه المفسرين الخطاب في من سُئِل يومئذٍ حيث يقول أحدهم أن السؤال يومئذٍ للكفار، وقيل : بل هو للبشر كافةً، وقالت : « وتوجيههم للآية يجعل السؤال فيها للإنسان بعامة : الكافر والمؤمن، يعزل الآية عن الجو العام الحافل بالوعيد والنذير »[2].

ثم ذهبت إلى أن السؤال هنا نذير، وتركت الإطناب في من يرجع الخطاب في الآية حيث قالت : « ويتناولها مقتطعة من السياق في صريح دلالته على أن السؤال هنا نذير والخطاب فيه لمن ألهاهم التكاثر »[3]. ومثل هذا كثير في تفسيرها، نكاد نجده في كل سورة فسرتها بنت الشاطئ، حيث ترى أن الخوض في المسكوت عنه من القرآن أومحاولة فك رموز ما أبهم فيه ضرب من تحميل النص المعجز ما لا يحتمله، وصرف للجهد في غير ما هو مقصود في السياق القرآني، فالأولى من ذلك إمعان الفكر في منطوق الكلمات الخالدة وفيما تستنبط منه فوائد علمية أوعملية يوحيها السياق الفريد.

سادساً : رفض التفسير العلمي التجريبي :

لقد رفضت بنت الشاطئ التفسير العلمي رفضاً شديداً، فلها في ذلك كتاب مستقل[4] ومقالات في مجلات.

فقد وصفت بنت الشاطئ التفسير العلمي بأنه « خطر على عقلية الجماهير، أن نخايلها بهذه الألفاظ المضخمة من بدع التأويلات العصرية العلمية، تمسخ عقليتهم ويختل بها منطقهم وتخدر وعيهم بغرور السبق إلى علوم العصر »[5].

---

[1] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 210.

[2] - المصدر نفسه : 1 / 211.

[3] - المصدر نفسه.

[4] - اسم الكتاب هو ((القرآن والتفسير العصري)) أصدرته مطبعة دار المعارف بالقاهرة.

[5] - بنت الشاطئ، القرآن وقضايا الإنسان (د.ط ؛ دار العلم للملايين : بيروت 1393هـ) ص 428.

وقالت أيضاً في مقدمة كتابها « القرآن والتفسير العصري » : « لتعلم أنّ ما تسمعه دنيانا من دعوى الحاجة إلى تفسير عصري غير الذي بينه نبي الإسلام وعرفته مدرسة النبوة ليس إلا نغمة جديدة خلابة لا تُخطِئ فيها ذاكرة التاريخ »[1].

ويبدو أن موقفها هذا متأثر بموقف أستاذها أمين الخولي الذي علمها هذا المنهج في التفسير ومزجه بضميرها وقلبها ، كما تقول في إهداء أكثر مؤلفاتها.

كما وصفت أيضاً التفسير العلمي بأنه « بدعة »، وذلك عند تناولها تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾[2]، حيث تقول : « وجاء محدثون ببدعة التفسير العلمي فذهبوا إلى أنها الذرة التي اكتشف العلم سرها في القرن العشرين »!![3].

وقد علقت بنت الشاطئ على تحديد المفسرين للذرة هنا، ورأت أن تحديدهم لمعناها هنا ليس مراد القرآن، ولا هو من مألوف بيانه، وهي تقول أن العربية قد عرفت الذّرة في كل ما يمثل الضآلة والصغر وخفة الوزن[4].

وآثرت بنت الشاطئ على أن تفهم الذرة في ضوء الحس اللغوي وعلى هدى البيان القرآني فحسب، دون تكلف لتقدير الأوزان والأحجام والألوان وما فهم العرب الذين بعث فيهم رسول منهم من قوله تعالى " مثقال ذرة " إلا أنه التناهي في الضآلة والخفة والصغر، حتى ليكون من الهباء الذي لا وزن له[5].

وأضافت بنت الشاطئ على اختيارها هذا بقولها: « وهو ما يلاءم مادياً وفنياً جو الموقف ونسق السياق من الزلزلة والانفجار والتفتيت والتشتيت... فهم يخرجون أثقالاً ويصدرون أشتاتاً ويرون أعمالهم مثقال ذرة من خير أو شر »[6].

---

[1] - بنت الشاطئ، القرآن والتفسير العصري (ط3 ؛ دار المعارف : القاهرة، د.ت) ص 6.

[2] - الزلزلة : 7.

[3] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 97.

[4] - المصدر نفسه.

[5] - المصدر نفسه : 1 / 97 – 98.

[6] - المصدر نفسه : 1 / 98.

ومثالاً آخر لتطبيق بنت الشاطئ نظرتها هذه، تفسيرها لقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[1].

فقد أوردت تفسير الزمخشري أولاً « إن في الآية تفخيماً لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته »[2]، ثم قالت « ... وقد نقله الرازي، ثم أضاف إليه في تأويل « علّم بالقلم » كون الإنسان من علقة وهي أخس الأشياء، ثم صيرورته عالماً والعلم أشرف المراتب...»[3] ثم أوردت بنت الشاطئ قول أبي حيان، ونرى أن بنت الشاطئ رضيت بهذه الأقوال بقولها : « وكل هذا مما يمكن أن يقال »[4].

ثم أبدت بنت الشاطئ تحرجها من صنيع بعض المحدَثين الذي اتجهوا بهذه الآية إلى مجال البحث في علم الأجنة حيث قالت مطولاً : « وليس هو على أي حال بأبعد مما ابتدعه محدثون اتجهوا بهذه الآية إلى مجال البحث في علم الأجنة، والتمسوا المراجع الأجنبية لعلماء الفسيولوجيا والبيولوجيا لفهم آية نزلت على النبي الأمي في قوم أميين لم يسمعوا قط، ولا سمع عصرهم بعلم الأجنة، وغير متصور أن يكون القرآن الكريم قدّم لهم من آيات ربوبية الخالق وقدرته ما لا سبيل لأحد منهم إلى تصوره فضلاً عن فهمه وإدراكه.

وإنما فهموا من العلق ما تعرفه لغتهم وبيئتهم وعصرهم، والعربية قد استعملت العلق مادياً في كل ما يعلق وينشب : كالدم، والمحور الذى تعلق عليه البكرة، وعلقت المرأة حملت، ومعنوياً في العلاقة تنشب بين إثنين حباً أو بغضاً وفي الصلة تربط بينهما.

ولم يكونوا في حاجة إلى درس في علم الأجنة أو مراجعة كتاب في المكتبة الأمريكية التي ظهرت بعدهم بقرون، ليفهموا آية خلق هذا الإنسان من علق في أرحام الأمهات وهم الذين ألفوا استعمال : علقت المرأة، بمعني حملت »[5].

---

[1] - العلق : 2.

[2] - الزمخشري : الكشاف 4 / 223.

[3] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 2 / 17.

[4] - المصدر نفسه : 2 / 18.

[5] - المصدر نفسه.

ثم قدمت بنت الشاطئ رأيها بأن « استعمال العلق هنا، جمع علقة، إيذان بما ذهبنا إليه من إطلاق في عموم لفظ الإنسان. ولا يشير السياق إلى أن القصد من ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ توجيه المصطفى ومن يؤمنون برسالته إلى النظر في علم الأجنة، وإنما هي آية الله في هذا الإنسان، خلقه من علق، وخصّه بالعلم، واحتمل أمانة التكليف، فازدهاه الغرور وأطغاه الشعور بوهم الاستغناء عن خالقه فنسي أن إليه سبحانه الرُّجعى والمصير »[1].

ولعل فيما ذكرناه ما يُظهر حقيقة موقفها من التفسير العلمي، وهي ترفضه كل الرفض وتذمه كل الذم، لأنه يخالف قواعد وأصول منهجها الأدبي. وقد رأى الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي سبب رفضها هذا ووصفها بالتطرف مبدياً لرأيه في القضية، حيث قال : « ولا شك أنها قد تطرفت في الرفض دفعها إلى ذلك، تطرف خصومها في التفسير العلمي، والحق وسط بينها وبينهم »[2]، ونحن نرى أننا مع رأي الدكتور في هذه القضية، إذ لابد من الإنصاف في التعامل مع مثل هذا التفسير لأن القرآن يشتمل على مجامع العلوم كلها.

سابعاً : التفسير الموضوعي

وإذا نظرنا إلى أسس منهج التفسير البياني، فإنا - ولا شك - نرى أن أهم هذه الأسس اثنان :

1- الاستقراء للمفردات.

2- التفسير الموضوعي.

وللتناول الموضوعي عند بنت الشاطئ منزلة مهمة ، بل عدته في مقدمة تفسيرها الأصل الذي يقوم عليه المنهج في هذا التفسير، قالت : « والأصل في منهج هذا التفسير – كما تلقيته عن أستاذي – هو التناول الموضوعي الذي يَفرَغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدى بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك... وأتجه بمحاولتي اليوم إلى تطبيق المنهج في تفسير بعض سورٍ قصارٍ ملحوظ فيها

---

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 2 / 18.

[2]- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ص 949.

وحدة الموضوع وأكثرها من السور المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية...»[1].

وقد يبدو لنا لأول وهلة في تفسيرها للسور القصار أن بنت الشاطئ لم تلتزم منهج أستاذها وسلكت منهجاً آخر غير منهج أستاذها، فلم ترتبط بفكرة الموضوع التي طال دعوته إليها، ولكننا إذا دققنا التفكير وأمعنا النظر في معالجتها النصية لهذه السور، سنجدها لم تبعد كثيراً عن فكرة التناول الموضوعي، لأن الوحدة الموضوعية ملحوظة في كل سورة على حدة إلى حدٍّ ما. وفوق ذلك فإن تفسير السور يفتح مجالات أخرى أمام المفسر، قد تختلف عن الدراسة الموضوعية، ومن ذلك مثلاً مسألة المناسبات بين الآيات، وملاحظة السياق في السورة الواحدة، وهكذا جمعت بنت الشاطئ في تفسيرها لهذه السور القصار بين التحديد الموضوعي و بين التناول الأدبي للسورة كلها.

وكان من ذلك ما قدمته بنت الشاطئ في تفسير سورة العاديات حيث قالت : «وتبدأ بعرض صورة مثيرة لغارة عنيفة مفاجئة، تباغت القوم صبحاً فلا ينتبهون إليها إلا وقد توسطت جمعهم فبعثرتهم وسط عاصفة من النقع المثار.

وتأتي هذه الصورة العنيفة بعد واو القسم لافتةً إلى ما عهد القوم من مثل تلك الغارات المفاجئة المصبحة، وما تُحدث من بعثرة وحيرة وارتباك.

ثم تأتي بعدها صورة أخرى لغيبٍ غير مشهود، ولكنه واقع حتماً : البعث يفجأ على غير موعد، فإذا هم في حيرة وبعثرة وارتباك، قد لفظتهم القبور لليوم اللآخر كالفراش المبثوث، وإذا كل ما في صدورهم قد حُصّل، لم تفلت منه خافية مضمرة، مطوية في أعماق الصدر ومستكن الضمير.

وفي كل كلمة، بل في كل حرف منها، سرّه البياني الباهر فيما قصد إليه القرآن من إحضار مشهد ليوم البعث شاخصاً مجسماً، وتأكيد وقوعه، والإنذار بما ينتظر الإنسان فيه من

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 17 - 18.

حساب دقيق عسير »[1]. هذا مثل من الأمثلة لتطبيق التناول الموضوعي في التفسير عند بنت الشاطئ.

المطلب الرابع : من آراء بنت الشاطئ البيانية في تفسيرها :

تفردت بنت الشاطئ في تفسيرها بآراء بيانية كثيرة عند تعرضها لأي قضية من القضايا البيانية في تفسيرها. فهي عند تعرضها لقضية ما في تفسيرها تقوم باستعراض أراء المفسرين الأقدمين أولاً، ثم تقوم بنقدها و تخطئتها إن إذا تعارضت مع ما توصلت إليه من نتائج، ثم تأتي بمعنى آخر تطمئن إليه حسب المنهج والقواعد التي تلقتها عن أستاذها أمين الخولي.

وسنقوم باستخراج هذه الآراء البيانية من خلال تفسيرها للسور القصار، وسنقتصر بدراسة بعض السور في تفسيرها، فقط من أجل إبراز جهودها لا من باب الحصر.

1. سورة الضحى :

– رأيها في القسم بالواو واختيار المقسم به (الضحى، والليل) في قوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ :

لاحظت بنت الشاطئ قصور العلماء الأقدمين في بيان حكمة قسمه تعالى ببعض مخلوقاته في القرآن.

فهي تقول أن ابن قيم الجوزية مثلاً، قد ذهب إلى أن : « إقسامه تعالى ببعض مخلوقاته دليل على أنها من عظيم آياته »[2]، وسادت هذه الفكرة لدى المفسرين، ولكن بنت الشاطئ ترى بأن هذه الفكرة قد ألجأتهم إلى اعتسافٍ في بيان وجه التعظيم في كل ما أقسم به القرآن بالواو[3].

ثم إن الشيخ محمد عبده بيّن كذلك وجه العظمة في القسم بالضحى « فالقسم بالضياء للإشارة إلى تعظيم أمر الضياء وإعظام قدر النعمة فيه، وللفت أذهاننا إلى أنه آية من آيات الله

---

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 103.

[2]- ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن (د.ط ؛ دارالفكر : بيروت، د.ت) ص 1.

[3]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 24.

الكبرى ونعمه العظمى »[1]، لكنه في القسم بالليل، اضطر – تحت سيطرة فكرة التعظيم بالقسم – إلى التماس وجه الإعظام فيه، في قسرٍ يكفي لبيانه أن يرى في الليل أشبه بالجلال الإلهي.

ولاحظت عليهم كذلك، أنهم التمسوا العظمة في الليل، مطلق الليل مع أنه مقيد في الآية بـ « إذا سجى » وقد جاء مقيداً في آيات أخرى، كما لاحظت أنهم في آية الضحى. وفي أكثر آيات القسم بالواو خلطوا بين الإعظام والحكمة في خلق المقسَم به[2].

ثم قدمت بنت الشاطئ اختيارها الذي تطمئن إليه، حيث قالت : « والذي اطمئننت إليه بعد طول تدبر وتأمل في السور المستهلة بهذه الواو، هو أن القسم بما يمكن أن يكون –والله أعلم– قد خرج عن أصل الوضع اللغوي في القسم للتعظيم إلى معنى بياني على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وضعت له لملحظ بلاغي، فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتاً قويًّا إلى حسيّات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل، توطئة إيضاحية لبيان معنويات أو غيبيات لا تدرك بالحس. فالقسم بالواو غالباً أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدركات الحسية، وما يلمح فيه من الإعظام إنما يقصد به إلى قوة اللفت... وهذ البيان للمعنوي بالحسي، هو الذي يمكن أن نعرضه على أقسام القرآن بالواو، فتقبلها دون تكلف أو قسر في التأويل »[3].

أما المقسَم به في آيتي الضحى، فقد شرحت بنت الشاطئ تفسيره البياني بأنه صورة مادية وواقع حسي، يشهده الناس كل يوم حين تألق الضوء في ضحوة النهار، ثم فتور الليل إذا سجا وسكن، دون أن يخطر على بال أحد أن السماء قد تخلت عن الأرض وأسلمتها إلى الظلمة والوحشة بعد تألق الضوء في ضحى النهار. فعلى هذا فلا عجب أن تجيء –بعد أنس الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم– فترة سكون يفتر فيها الوحي، على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق[4].

---

[1]– محمد عبده، تفسير القرآن الكريم – جز عمّ – ص .

[2]– بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 25.

[3]– المصدر نفسه : 1 / 25 – 26.

[4]– المصدر نفسه : 1 / 26.

– رأيها في حذف ضمير الخطاب في ﴿ وما قلى ﴾ :

وقف المفسرون طويلاً عند حذف ضمير الخطاب في « قلى »، فقال الزمخشري : « إنه اختصار لفظي لظهور المحذوف »[1]، وهو قريب من قول الطبري في تعليل الحذف : « إنه اكتفاء بفهم السامع لمعناه »[2]، أما النيسابوري فقد أضاف سبباً آخر « هو رعاية للفاصلة مع دلالة قرينة الحال أو المقال »[3]، وزاد الرازي على الأراء السابقة « ..فائدة الإطلاق، أي أنه ما قلاك ولا أحداً من أصحابك، ولا أحدًا ممن أحبك إلى يوم القيامة »[4].

وقد رفضت بنت الشاطئ هذه الأراء كلها، وذهبت إلى أن الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل[5]، وعللت رفضها بأنه « لو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا، لَمَا عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى :

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

وليس في السورة كلها ثاء في فاصلة، بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق، و لم يقل تعالى : فخبِّر، لتتفق الفواصل على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به »[6].

ثم قدمت رأيها بأن الحذف هنا لدلالة ما قبله على المحذوف، وتقتضيه حساسية معنوية مرهفة، بالغة الدقة في اللطف والإيناس، وهي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس : ما قلاك، لما في القِلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض[7].

وأرى أن بنت الشاطئ قد تفردت بهذا الرأي هنا، وهو من ضمن الجهود المعتبرة لبنت الشاطئ في التفسير البياني.

---

[1]– الزمخشري، الكشاف 4 / 219.

[2]– تفسير الطبري (د.ط ؛ دار الفكر : بيروت، 1978م) 30 / 148.

[3]– النيسابوري، غرائب القرآن (بهامش تفسير الطبري – دار الفكر : بيروت، 1978م) 30 / 108.

[4]– الرازي، تفسير الكبير (ط3 ؛ دار الفكر : بيروت، 1985م) 31 / 210 .

[5]– بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 35.

[6]– المصدر نفسه.

[7]– المصدر نفسه.

2. سورة الإنشراح :

- رأيها في الإستفهام في ﴿ ألم نشرح ﴾ :

تكلّم المفسرون عن الاستفهام في الآية، فالزمخشري قال : « إنه استفهام عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فكأنه قيل : شرحنا لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك »[1].

ولكن –كما وجه أبو حيان[2]–، وجهت بنت الشاطئ الاستفهام هنا على وجه التقرير : « وإذا لم يكن بد من توجيه الاستفهام في الآية، فهو على وجه التقرير كما قال أبو حيان، لا الإنكار كما ذهب الزمخشري »[3].

- رأيها في العدول من المتكلم إلى الجمع في ﴿ نشرح ﴾ :

ذكر بعض المفسرين أن فائدة العدول من المتكلم إلى الجمع، إما تعظيم حال الشرح، وإما الإعلام بتوسط المَلَك –يعني جبريل– في ذلك الفعل[4].

أما بنت الشاطئ، فهي ترى أن تحدُّث الله عن ذاته بصيغة الجمع ليس بالأمر الذي يوقف عنده أو يتأول له وسيط ثان يسوي الصنعة اللغوية في العدول عن الواحد إلى الجمع في « نشرح »، وعللت رأيها بأن أحدنا أحياناً يتحدث عن نفسه بصيغة الجمع، فلا داع لتكلف وسيط ثانٍ يسوغ هذا العدول من الواحد إلى الجمع[5].

- رأيها في الذكر المرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم في ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ :

أوردت بنت الشاطئ بأن أقوال أهل التأويل تقاربت حول الذكر المرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم، يمكن أن ترد جميعاً إلى ما رواه الطبري في تفسيره، حيث يقول : وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . فلا أُذْكَرُ إلاّ ذُكِرْتَ معي، وبنحو ذلك قال أهل التأويل..قال قتادة : رفع الله ذكره

---

[1]- الزمخشري، الكشاف 4 / 220.

[2]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 8 / 487.

[3]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 61.

[4]- المصدر نفسه.

[5]- المصدر نفسه، 1 / 62.

في الدنيا والآخرة، فليس خطيبٌ ولا نتشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله[1].

وقد أضافت بنت الشاطئ هنا من الملاحظ البيانية للذكر المرفوع مستخدمة منهجها الاستقرائي حيث قالت : « أن كلمة الذكر تضاف أكثر ما تضاف إلى اسمه تعالى ظاهراً، مثل : ذكر الله، ذكر ربك...أو إلى ضميره جل شأنه : " ذكرى " وفي القرآن كلها ستة مواضع : (الكهف 101، طه 14، 42، 124، المؤمنون 110، ص 8) كلها لله جل جلاله، و" ذكرنا " (مرتين : الكهف 28، النجم 29) كلتاهما لله تعالى. كما جاء الذكر معرفاً بأل، بمعنى الوحي أو القرآن الكريم (الحجر 6، 9، ص 8، القمر 25، فصلت 41، النحل 44، الفرقان 18، يس 11 »[2].

فاستنتجت بنت الشاطئ بعد هذا الاستقراء بأن هذه الظواهر « مما يضفى على كلمة الذكر جلالاً ورفعة لكثرة ما تقترن بذات الجلالة، أو تضاف إلى ضميره تعالى، أو يقصد بها القرآن والوحي »[3]، ثم ربطت هذه الظواهر بمقام الرسول عند الله بأنه « إذا قال الله لعبده ورسوله : " وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ " بلغ بهذا أقصى المدى من الإيناس والرفعة، لما يحف بلفظ الذكر من علو قدر »[4].

– رأيها في (الفاء)، واستعمال (مع) بدل من (بعد)، و تعريف (العسر) وتنكير (يسر) وتكرار (إن مع اليسر يسراً) مرتين في ﴿ فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً ﴾ :

ترى بنت الشاطئ أن في الفاء هنا، مع معنى الترتيب دلالة السببية، فهي تقرر ما يترتب على ما سبق بيانه من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر[5].

---

[1]– تفسير الطبري 30 / 150 – 151.

[2]– بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 68.

[3]– المصدر نفسه.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– المصدر نفسه.

أما استعمال (مع) بدل من (بعد)، فمن المفسرين من التفت إليه بأنه مما يفيد التفاوت الزمني. كما قال الزمخشري : « إن " مع " للصحبة، ومعنى اصطحاب اليسر والعسر أن الله أراد أن يصيبهم –يعني المؤمنين– بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب، فقرَّب اليسر حتى جعله كالمقارن للعسر، زيادةً في التسلية وتقوية القلوب »[1].

ولكن بنت الشاطئ قد لاحظت على هذا الرأي بعدم الدقة في موضعين[2] :

أوّله، قوله : " أن يصيبهم " في مقام البشرى، ترى بنت الشاطئ أن ضرورة بيانية في الآية لا تقتضي هذا القول، كما أنها ترى أن الآية تقوية للرّسول بخاصة لا للمؤمنين بوجه عام، لأن السياق قبلها وبعدها يجعل هذا التخصيص أولى بالمقام.

ثانيه، قوله : " حتى جعل اليسر كالمقارن للعسر "، ترى بنت الشاطئ أن الأولى إسقاط كاف التشبيه، وفهم الآيتين على أن اليسر مقترن بالعسر إذ تفيد "مع" المصاحبة، لا التشبيه.

أما التكرار في ﴿ إن مع اليسر يسراً ﴾، فقد ذهبت بنت الشاطئ بأن الآية الثانية تأكيد للأولى، لتقوية اليقين النفسي وترسيخ ما منّ الله به على عبده من شرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره[3].

3. سورة الزلزلة :

– رأيها في مجيئ الفعل مبنياً للمجهول، واستعمال فعل الماضي، والمباغتة بـــ (إذا) في ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ :

فقد شغل أكثر المفسرين والبلاغيين بتأويل الفاعل، عن الالتفات إلى اطراد هذه الظاهرة الأسلوبية في أحداث يوم القيامة.

ولكن بنت الشاطئ بمنهجها الصارم، فقد رأت بأنه « لا يجوز أن نتأول الفاعل مع وضوح العمد في البيان القرآني إلى صرف النظر عنه، ولا أن نتعلق بما لم يشأ لنا الكتاب المحكم

---

[1]- الزمخشري، الكشاف 4 / 221.

[2]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 69.

[3]- المصدر نفسه : 1 / 71.

أن نتعلق به »[1] ثم ذهبت إلى أن « البناء للمجهول تركيز للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن محدثه...إذ الكون كله مهيأ للقيامة على وجه التسخير، والأحداث تقع تلقائياً لا تحتاج إلى أمر أو فاعل »[2].

أما مجيئ الفعل ماضياً، فرأت بنت الشاطئ بأنه تقرير، لأنه حادث فعلا، أما المباغتة في (إذا) فمن المفسرين من يشتغلوا بتسوية الصنعة الإعرابية، فيلتمسوا عاملاً مضمراً في (إذا) تقديره عند بعضهم : أذكر وعند أخرين : تحشرون[3]، أي : يوم تزلزل الأرض زلزالها تحشرون، ولكن بنت الشاطئ رفضت كل هذه التأويلات، مبررةً أن سراً بيانياً وراء كل هذا، ولأن مناط القوة في التعبير هو بغتة المفاجأة، وتأكيد الحدث، وصرف الذهن إليه، ولا شيء من ذلك يتعلق بما شغلوا من تأول وتقدير، ولأن « لها أثرها البياني في هذا الموقف، و هذه أيضاً ظاهرة أسلوبية تسيطر على الحديث عن اليوم الآخر، الذى يأتي بغتة، إمعاناً في الترهيب »[4].

– رأيها في جعل الأرض فاعلة، وتكرار ذكرها، وإخراجها أثقالها في ﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ :

ترى بنت الشاطئ أن جعل الأرض هنا فاعلة، وهي جماد، مضياً في تقرير مطاوعتها وكونها مسخرة لمثل هذا، كما أن السياق ملتئم مع الآية قبلها من حيث تركيز الاهتمام على الحدث، دون شغلٍ للسامع بمصدره أو محدثه[5].

أما تكرار الأرض هنا، فبنت الشاطئ ترى بأنها مقصود، لترسيخ اليقين، والإقناع النفسي.

أما عن إخراج الأرض أثقالها، فقد أبت بنت الشاطئ أن تقف في تحديد ما تخرجه الأرض يوم القيامة، مثل ما فعله بعض المفسرين، مبررة أنه لا داعي أن نقف عندما لم يتعلق

---

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 81.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 8 / 500.

[4]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 82.

[5]- المصدر نفسه : 1 / 84.

القرآن بذكره، بل هي ترى أن السياق يلفت إلى أن في إخراج الأثقال هنا ما توحي به من اندفاع للتخلص من الثقل الباهظ، فالأرض إذا ما أتيحت لها أن تخرج أثقالها تفعل ذلك كالمدفوعة برغبة التخفف من هذا الذي يثقلها عندما حان الأوان[1].

- رأيها في تحدث الأرض في ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ :

اختلف المفسرون حول تحدث الأرض، هل هو حقيقة أو مجاز؟ **فالإمام الطبري يذهب** إلى أن تحدث الأرض هنا تمثيل[2]، وتابعته على ذلك جماعة، منهم **الزمخشري إذ يقول في الكشاف** : « والتحديث مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان »[3]، وكذلك ذهب إليه الشيخ محمد عبده[4].

وذهب آخرون، إلى أن التحدث حقيقة لا مجاز، ففي سنن إبن ماجه : « تقول الأرض يوم القيامة : يا رب هذا ما استودعتني »[5]، وجاء في الكشاف : « وقيل يُنطقها الله على الحقيقة، وتخبر بما عمل عليها من خير وشر »[6]، وقال الطبرسي[7] في مجمع البيان : « يجوز أن يكون الله تعالى أحدث الكلام فيها..»[8]، كما اطمئن إليه أبو حيان بقوله في البحر المحيط : « الظاهر أنه تحديث وكلام حقيقة..»[9].

---

[1]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 85.

[2]- تفسير الطبري 30 / 172.

[3]- الزمخشري، الكشاف 4 / 227.

[4]- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم : جزء عمّ، ص 143.

[5]- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت. 275 هـ)، سنن ابن ماجه – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ، كتاب : الزهد، باب : ذكر الموت والاستعداد له، رقم 4263، جـ 2، ص 1424 (د.ط ؛ دار الفكر : بيروت، د.ت)

[6]- الزمخشري، الكشاف 4 / 227.

[7]- هو : الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي أمين الدين أبو علي، مفسر محقق لغوي. من أعلاء الإمامية، نسبته إلى طبرستان. له ((مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان)) و ((جوامع الجوامع)) و ((مختصر الكشاف)) وغيرها. توفي في سبزوار سنة 548 هـ. [انظر : الأعلام للزركلي 5 / 148].

[8]- الطبرسي، مجمع البيان (ط1 ؛ دار المعرفة : بيروت، 1986م) 10 / 798.

[9]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 8 / 500.

أما بنت الشاطئ، بعد أن تتبعت عديداً من أيات القرآن[1]، ذهبت إلى أن تحدّث الأرض هنا حقيقة لا مجاز، وكشفت من خلال تتبعها أن البيان القرآني لا يُنطق الجماد الأصم فحسب، بل يجرد منه كذلك شخصية حية، فاعلة ناطقة مريدة مدركة[2].

- رأيها في معنى الوحي، وإيثار تعدّي الفعل (أوحى) باللام بدل (إلى)، والإيحاء للأرض في ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ :

فسّر العلماء معنى إيحاء الله للأرض هنا بالأمر، فالإيحاء هنا عند الزمخشري مجاز[3]، كقوله تعالى : « أَنْ نَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنَ » ، والشيخ محمد عبده قال في الوحي « أن ما يكون للأرض يومئذ إنما هو بأمر إلاهي خاص، قال لها : كوني خراباً، كما قال لها عند إيجادها : كوني أرضاً..»[4].

أما بنت الشاطئ فقد أقرّت بهذا القول وقالت بأنها مقبولة، غير أنها ترى بأنه لا يكفي تفسير الوحي بالأمر ليتبين أثر اللفظ في المعنى، إذ أن العربية قد استعملت الوحيَ بعدة معاني منها السرعة، كما أن القرآن قد استعمل الوحي بمعنى خفي الإلهام، وبمعنى التسخير. فهي ترى بأن الوحي في الآية ليس بمعنى الأمر، لأن الأمر يقتضي توجيه الحديث ويعوزه ما للوحي من دلالة السرعة والخفاء، وإنما الوحي يكفي منه إيداع القوة فيها، مما هو أنسب لجو التسخير والمطاوعة المسيطر على الموقف[5].

أما إيثار تعدّي (أوحى) بـــ (اللام) مع أن المشهور تعديتها بـــ (إلى)، فقد رأت بنت الشاطئ بأنه لما في معنى اللام من اختصاص، وإلصاق، وصيرورة، وتقوية الإيصال، ليلائم تحدث الأرض نفسها تلقائياً وإيحاء للأرض مباشرة دون واسطة[6]. وهذا القول يختلف مع أقوال

---

[1]- منها : ق 30، المعارج 17، الفرقان 12، و الملك 7.

[2]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 88.

[3]- الكشاف، الزمخشري 4 / 227.

[4]- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم - جزء عمّ -، ص 143.

[5]- التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ 1 / 89 – 90.

[6]- المصدر نفسه.

الأخرين، مثل أبي حيان الذى يراه لمراعة الفواصل[1]، و ابن هشام النحوي الذى يرى بأن اللام هنا تأتي موافقة لإلى : كما تأتي موافقة لـــ : على، في، عند، بعد، عن، ومع[2].

4. سورة التكاثر :

– رأيها في ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ :

أخرج الرازي مجيء هذه الآية من الإخبار إلى الاستفهام بمعنى التوبيخ والتقريع[3]، ولكن بنت الشاطئ رأت أن الخبرية هنا أولى من الاستفهام إذ أنها أوقع في الزجر وأبلغ في الوعيد، بما تشهد به على أن إلهاء التكاثر إيّاهم واقع قد كان فعلا، وقد رفضت رأي الرازي بقولها «وليس المقام مقام استفهام، وإنما هو مقام بيان لما وراء هذا التكاثر العقيم الخاسر الذي ألهى القوم وشغلهم عن التفكير في المصير»[4].

– رأيها في معنى " حتى " في ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ :

ذهبت بنت الشاطئ أن في "حتى"، هنا معنى الغاية، فغاية التكاثر إلى زيارة المقابر[5]، وقد أفادت بنت الشاطئ أيضاً أن القرآن يأتي بها هكذا إثر التكاثر ليبلغ الترويع منتهاه بقصر المسافة بينهما، والانتقال السريع بل المباغت من التكاثر إلى المقابر[6].

– رأيها في معنى الزيارة في ﴿ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ :

أوردت بنت الشاطئ ثلاثة أقوال للمفسرين حول معنى الزيارة، منهم من قال بأن الزيارة هنا بمعناها الحقيقي، حين ذهب المتكاثرون إلى القبور يعدون موتاهم، ومنهم من رأى بأن الزيارة هنا مجاز، أريد به ذكر الموتى عند المفاخرة، وممن استبعد هذا القول هو «أبو حيان » حيث قال : « هذا تعبير ينبي عنه لفظ : زرتم »[7]، ومنهم من ذهب إلى أن الزيارة هنا

---

[1]– البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 8 / 501.

[2]– إبن هشام الأنصري، مغني اللبيب (د.ط ؛ المكتبة العصرية : بيروت، 1991م) 1 / 237 – 238.

[3]– الرازي، تفسير الكبير 32 / 76.

[4]– بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 195.

[5]– المصدر نفسه : 1 / 198.

[6]– المصدر نفسه.

[7]– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 8 / 507.

معناها الموت، وهو استعمال مألوف في العربية، وقد اختاره الإمام الطبري عند تفسيره آية التكاثر[1] وأخذ به غير قليل من المفسرين بعد[2].

أما بنت الشاطئ فقد رأت منحاً آخر، حيث ذهبت إلى أن استعمال الزيارة بهذا المعنى صريح الإيحاء بأن الإقامة في القبر ليست إقامة دائمة، وإنما نحن فيها زائرون، والزائر غير مقيم، وسوف تنتهي الزيارة حتماً إلى بعث وحساب وجزاء. وأضافت أن هذا الإيحاء ينفرد به لفظ « زرتم » دون غيره، فلا يمكن أن يؤديه لفظ آخر[3].

– رأيها في إيثار البيان القرآني لفظ (المقابر) على لفظ (القبور) :

قد نجد الصنعة البلاغية في استعمال المقابر هنا مجرد ملاءمة صوتية للتكاثر، ونحس فيها نسق الإيقاع بهذه الفاصلة، ولكن هل يكون إيثار « المقابر » على « القبور » هنا لرعاية الفواصل فحسب ؟.

أما بنت الشاطئ فقد أتت برأيها البياني هنا حيث قالت : « فتأويل المقابر بالقبور ليس إلاّ إثراً لتناول مفردات القرآن تناولاً لفظياً معجمياً، مجرداً عن إيحاء سياقه وسره البياني معزولاً عن الاستعمال القرآني الذي لم يجئ بالمقابر هنا لمجرد المشاكلة اللفظية والرنين الصوتي، وإنما هي الملاءمة المعنوية أيضاً بين التكاثر والمقابر بما فيهما من سعة وشمول وعموم، وهو هو الإعجاز البياني يوجز رحلة الدنيا وعبرة الموت ونذر المصير في أربع كلمات فحسب، تفجأ اللاهين في نشوة الدنيا، بصدمة « زرتم المقابر » ليس بينها وبين « ألهاكم التكاثر » إلا "حتى"، أداة غاية »[4].

---

[1]- تفسير الطبري 30 / 183.

[2]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 199.

[3]- المصدر نفسه : 1 / 200.

[4]- المصدر نفسه : 1 / 201.

- رأيها في تكرار (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) في ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وإفادة حرف ((ثم)) بينهما :

أقرّت بنت الشاطئ أراء المفسرين[1] بأن التكرار هنا مبالغة في الزجر وتأكيد للوعيد والنذير[2]، ولكنها رفضت إضافتهم إلى هذا الرأي أقوال أخرى فيها خلاف في توجيه الخطاب في الآيتين[3] حيث قالت : ((وليس النص القرآني بمسؤول عن هذا الخلاف، ولا هو بحيث يوجه إلى تفسير الآية الواحدة بالنقيضين، فيستوي خطاب الكفار والمؤمنين، وأسلوب الوعد والوعيد في البيان المعجز!))[4].

أما في ((ثم))، فقد أيدت بنت الشاطئ ما ذهب إليه الزمخشري بأن ((ثم)) في هذا السياق ((ليست على موضعها عند النحاة، وإنما جيء بها مبالغة في الإنذار، كما يقال للمنصوح : " أقول لك ثم أقول لك : لا تفعل هذا "))[5]، وبناءً على هذا رأت بنت الشاطئ أن جو الوعيد هو المسيطر على السورة كلها، وأكدت أن البيان القرآني يأبى أن يستوي فيه أسلوب الوعيد والوعد، فما الخطاب في الآيتين كلتيهما إلا للذين ألهاهم التكاثر، وما التكرار إلا مبالغة في ردعهم وزجرهم وإنذارهم[6].

- رأيها في علم اليقين في ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ :

ذهب كثير من المفسرين[7] إلى أن معنى علم اليقين في آية التكاثر هو علم يقين أضيف إلى الصفة، نحو : ولدار الآخرة، وإنما اختلفوا في تحديد المقصود باليقين، فقيل هو الموت،

---

[1]- منهم الطبري، والزمخشري، وأبو حيان الأندلسي.

[2]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 202.

[3]- في تفسير الطبري عن الضحاك : أن الآية الأولى للكفار فهي وعيد، وأن الثانية للمؤمنين فهو وعد (30 / 84)، و في البحر المحيط : عن علي كرم الله وجهه : ((كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ)) في القبر (8 / 507)، ((ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ)) في البعث، وأورد ((الرازي)) أربعة وجوه في التكرير : أنه للتوكيد، وأنه وعيد للكفار ووعد للمؤمنين، وأن الأول عند الموت والثاني في سؤال القبر، وأن إحدى الآيتين لعذاب القبر والأخرى لعذاب القيامة (32 / 79).

[4]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 202.

[5]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها، وانظر تفسير الكشاف : 4 / 231.

[6]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 202 – 203.

[7]- منهم : الرازي (32 / 79)، و النيسوري (30 / 156)، و أبو حيان الأندلوسي (8 / 508).

ونظيره عندهم قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[1]، وقيل هو البعث، وقد اختاره الطبري، بينما سكت الرازي وأبو حيان الأندلوسي فلم يرجحا قولا على آخر.

ولكن بنت الشاطئ لا تطمئن إلى هذا وذاك حيث قالت : « لا نطمئن إلى تفسير اليقين هنا، ولا في آية الحجر التي نظروا بها، بالموت أو البعث »[2] وبرّرت رفضها بأن لو كان اليقين هنا بمعنى الموت أو القيامة، فما يستوى التأويل : :كلا لو تعلمون علم الموت، أو علم القيامة وعطاء الآية : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ من قوة ونذير[3]. ثم قامت بنت الشاطئ بالاستقراء الموضوعي لآيات وردت فيها مادة اليقين فعلا أو اسما، على اختلاف الصيغ[4]. لتخرج بأن اليقين في القرآن هو التحقق وإزاحة الشك، والإدراك الواثق الذي لا يلتبس بوهم أو ظن أو تخمين أو ارتياب، مما لا يدع مجالاً لتفسير اليقين بغير ما لم يرد في القرآن[5].

– رأيها في ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ :

رأت بنت الشاطئ أن مجيء هذه الآية مما يجلو مفهوم « علم اليقين » بما لا يغني عن أي تأويل، فهي بيان لما سوف يعلمون يقيناً. أما إضافة عين إلى اليقين في الآية الثانية، فقد رأت بنت الشاطئ بأنها تأكيد وتجسيم وترسيخ[6].

– رأيها في (النعيم) الذي يُسأل المرء عنه في ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ :

اختلف المفسرون حول توجيه لفظ « النعيم » في الآية، فالرازي اختار إطلاق اللفظ على جميع النعم، قال : « والأولى أنه يجب حمله على جميع النعم، وأن تكون الألف واللام فيه للاستغراق »[7]. وخصه الزمخشري بنعيم « من عكف همته على استيفاء اللذات و لم يعش إلا ليأكل ويشرب ويقطع أوقاته باللهو والطرب...فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها

---

[1]- الحجر : 99.

[2]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 204 – 205.

[3]- المصدر نفسه.

[4]- النمل : 14 و 22، المدثر : 31، النساء 157، الحاقة : 32.

[5]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 205.

[6]- المصدر نفسه.

[7]- الرازي، تفسير الكبير 32 / 82.

إلا لعباده، وتقوّى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل، وكان ناهضاً بالشكر، فهو من ذاك بمعزل »[1].

أما بنت الشاطئ، وبمنهجها الاستقرائي، فقد لاذت إلى القرآن لتحتكم إليه فيما اختلف المفسرون حوله، وقامت باستقراء جميع الآيات التي ورد فيها لفظ « النعيم »[2]، فوجدت أن الدلالة القرآنية لكلمة « النعيم » في كل مواضع ورودها في القرآن خاصة بنعيم الآخرة، ، وقالت : « فلسنا مخيَّرين في تأويل لفظ النعيم بما تحتمله لغة أو مجازاً، وهذا القرآن أمامنا لم يستعمل النعيم قط من نعم الدنيا، وإنما هو فيه دائماً، نعيم الآخرة...فعلى هدي القرآن الذي خص صيغة (النعيم) وحدها بالآخرة، دون نعمة، ونعماء، وأنعم، ونعم، لا نملك إلا أن نفهم أن السؤال في آية التكاثر، إنما هو عن نعيم الآخرة ... »[3].

وشرحت بنت الشاطئ أن سرّ البيان هنا، أن الموقف في الآخرة هو موقف العلم اليقين، والإدراك المتحقق الذي لا مجال فيه لشك وارتياب، وإذ كان نعيم الجنة هو النعيم الحق، كان السؤال في موقف الحق عن النعيم الحق، لا عن الأغراض الزائلة...والإنذار بهذا السؤال عن النعيم، يتسق على أكمل وجه، مع الوعيد المسيطر على السورة كلها، وبه تتلاءم آياتها وتترابط في نسق معجز، لا موضع فيه لخلل الصنعة واضطراب النظم وتفاوت جو الأداء وتغير روح الموقف، مما أقحمته تأويلات يفوتها إدراك أسرار التغيير في المعجزة الخالدة[4].

هذا ما بوسعنا تقديمه هنا من الأراء البيانية لبنت الشاطئ في تفسيرها –وهي مأخوذة من الجزء الأول فقط من كتابها التفسير البياني للقرآن الكريم–، وهي مع كثرتها هنا لا تمثل ما قدمته بنت الشاطئ من جهود بيانية معتبرة في تفسيرها البياني للقرآن الكريم، حيث عجزتُ عن عرضها كلها لطاقتي المحدودة في استقراءها، ولكي لا يكون هناك إطناب في المثيل. ولكن ما ينبغي قوله هنا، أن بنت الشاطئ مع كثرة أراءها البيانية في تفسيرها التي انفردت بها

---

[1] - الزمخشري، الكشاف 4 / 231.

[2] - بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 213 – 214.

[3] - المصدر نفسه : 1 / 215 – 216.

[4] - المصدر نفسه : 1 / 216.

دون سائر المفسرين –حسب اطلاعي–، فهي في أحيان كثيرة تكتفي بمجرد تأييد رأي مفسر ما بعينه دون تعليق أو إضافة رأيها فيه.

المبحث الثاني : جهودها في كتاب " الإعجاز البياني للقرآن الكريم "

المطلب الأول : التعريف بالكتاب

1- تاريخه وعلاقته بالتفسير البياني للقرآن الكريم :

لقد شغلت قضية الإعجاز البياني بنت الشاطئ دون أن تتجه إليها قصداً، فأثناء اشتغالها بالتفسير البياني للقرآن الكريم، تجلى لها من أسراره الباهرة ما لفتها إلى موقف العرب الأصلاء من المعجزة القرآنية في عصر المبعث، ووجهها إلى محاولة منهجية في فهم عجزهم عن الإتيان بسورة من مثل هذا القرآن، وقد تحداهم أن يفعلوا، والعربية لغته ولغتهم، والبيان طوع ألسنتهم.

وهذا –كما تقول– هو مجال المحاولة المتواضعة التي تقدمها في فهم إعجاز البيان القرآني لا تجهد بها جهود السلف الصالح في خدمة القرآن الكريم، تفسيراً وإعراباً وبلاغة وإعجازاً.

2- دوافع التأليف :

من خلال قراءتنا لفاتحة كتابها تجلت لنا بعض العوامل التي استثارت دوافع تأليف الكتاب، منها :

1- اعتزازها بنسبها العريق إلى الشيوخ والعلماء، فهذا الاعتزاز دفعها إلى التصدى لهذا الموضوع الدقيق الصعب الذي توارد عليه أئمة من علماء السلف أفنوا أعمارهم في خدمة القرآن الكريم، وقدموا إلى المكتبة الإسلامية ثمار جهودهم السخية الباذلة.

2- إدراكها للمكانة الجليلة للمرأة المسلمة في تاريخنا، تقول: « ولولا ما أعلم من مكانة جليلة للمرأة المسلمة في تاريخنا، لأحجمت عن التقدم إلى هذا الميدان الجليل، إشفاقاً من أن يُنكَرَ مكاني فيه..»[1].

[1]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم (ط3 ؛ دار المعارف : القاهرة، د. ت) ص 11.

3- لقد عاشت عمرها كله مع الكتاب المعجز، وفي المدرسة القرآنية كانت تلمذتها الطويلة، وإليها انتهى تخصصها في الدراسة العليا التي وجهها إليها أستاذها أمين الخولي، فقد شغلتها قضية الإعجاز البياني أثناء دراساتها القرآنية حيث تجلى لها من أسراره الباهرة .

3- أهداف التأليف :

تجلت لبنت الشاطئ -أثناء اشتغالها- بالتفسير البياني والدراسات القرآنية الأسرار البيانية المعجزة للقرآن الكريم وعجز العرب الأصلاء عن الإتيان بمثله بعد أن تحدّاهم أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، فتصدت لتأليف هذا الكتاب، وهي تستهدف من خلال دراستها :

1- محاولة منهجية لفهم عجزهم عن الإتيان بسورة من مثل هذا القرآن والعربية لغتهم وهم فرسانها ، والبيان طوع ألسنتهم وهم أساطينه.

2- وهي تريد أن تفتح بكتابها المجال للدارسين، فتبدء من حيث انتهى السلف، وتدع الباب مفتوحاً للأجيال بعدها ليضيفوا جهدهم إلى جهد من سبقهم.

4- موضوعاته :

يتألف كتاب الإعجاز البياني من جزئين :

1- الجزء الأول : الإعجاز البياني، واشتمل على مبحثين: المبحث الأول اشتمل على شرح مفهوم المعجزة والجدل والتحدي، وجوه الإعجاز البياني، البلاغيون والإعجاز.

أما المبحث الثاني فهو محاولة في فهم الإعجاز عن طريق دراسة استقرائية، و لتكريس هذه المحاولة درست بنت الشاطئ : فواتح السور وسر الحروف، دلالات الألفاظ وسر الكلمة، والأساليب وسر التعبير.

2- الجزء الثاني : مسائل نافع بن الأزرق، واشتمل على محاولة تطبيقية في دراسة قرآنية بيانية لمسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما في نحو مائتي كلمة من غريب القرآن مع شاهد من كلام العرب لتفسير كل مسالة.

فقد قامت بنت الشاطئ بدراسة هذه المسائل في تراث السلف المطبوع مثل : « كتاب الكامل » لأبي العباس المبرد، و« إيضاح الوقف والابتداء من كتاب الله عز وجل »

لأبي بكر الأنبري، و « المعجم الكبير » للطبراني، و « الإتقان في علوم القرآن » للجلال السيوطي.

المطلب الثاني : منهجها في الكتاب :

فقد طبقت بنت الشاطئ في هذا الكتاب المنهج نفسه الذي قامت عليه دراسته في التفسير البياني للقرآن الكريم، وهو استقراء النص القرآني في معالجة قضية ما من قضايا الإعجاز البياني.

ففي قضية فواتح السور مثلاً، قد قامت بنت الشاطئ بالاستقراء الكامل للفواتح في سورها وترتيب سياقها لتخرج بملاحظ تختلف عن أقوال العلماء السابقين[1]، كما أنها فعلت نفس المنهج في الرد على من قال بزيادة الباء في خبر " ما " و " ليس "[2] في مثل قوله تعالى : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[3].

كما طبّقت نفس المنهج عند دراستها لمسائل أبن الأزرق لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

المطلب الثالث : ظواهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم ورأيهافيها :

لقد درست بنت الشاطئ في كتابها الإعجاز البياني للقرآن الكريم بعض ظواهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم كفواتح السور والزيادة والحذف والإلغاء والتناوب والترادف وغيرها ، وقد قامت بمعالجتها محتكمة إلى منهجها المختار، وهو التناول الموضوعي للنص القرآني. وبما أننا بصدد إبراز جهودها في التفسير البياني فأولى بنا أن نقوم بدراسة هذه الظواهر واستخراج أراء بنت الشاطئ فيها. وهذا عرض موجز لما قامت به بنت الشاطئ من تحليل وتفسير لبعض هذه الظواهر :

---

[1] - انظر هذه الملاحظ في صفحة 179 – 180 من كتاب الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

[2] - انظر استقرائها في صفحة 187 من الكتاب.

[3] - القلم : 2.

1. فواتح السور :

اختلف المفسرون وتعددت أقوالهم حول حقيقة مجيء حروف الفواتح، المفردة منها والمركبة على صورها التي نزلت بها في القرآن الكريم، فقد شغلهم من قديم، فما يخلو كتابُ تفسيرٍ من التعرض لها.

وقد أوردت بنت الشاطئ معظم هذه الآراء في كتابها الإعجاز البياني للقرآن الكريم مطولاً[1]، وانتهت بنت الشاطئ إلى رأي الحافظ ابن كثير في تفسيره في « أن كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن الكريم وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة »[2].

وعند تأييدها لهذا الرأي قامت بنت الشاطئ برد ملاحظة الشيخ محمد رشيد رضا الذي لاحظ بأن الاستقراء غير تام، لأن سورة مريم ليست كذلك[3]، تقول : « لا نرى وجهاً لتعليق السيد محمد رشيد رضا على ملحظ ابن كثير من حيث لم يقيده بالآيات التالية للفواتح في مستهل السور، وإنما أطلق القول بأن " كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن الكريم، وبيان قوله : " يذكر فيها "، لا يقيد الانتصار للقرآن بالآيات التالية للفواتح، وإنما يطلقه فيجيء في أي موضع من السورة »[4].

وأضافت بقولها « وبتدبر السور الثلاث — مريم، العنكبوت، الروم - يطرد ملحظ ابن كثير، لا تتخلف عنه سورة مريم —كما وهم السيد رضا- وفيها يتكرر قوله تعالى للمصطفى عليه الصلاة والسلام ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ...﴾ خمس مرات — آيات : 16، 41، 51، 54، 56 - ثم تختم السورة بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾ 97، 98 »[5].

---

[1]- انظر : الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 143 – 157.

[2]- تفسير ابن كثير (د.ط ؛ دار الأندلس : بيروت، د.ت) 1 / 68.

[3]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 158.

[4]- المصدر نفسه.

[5]- المصدر نفسه، ص 159.

ثم اتجهت بنت الشاطئ إلى منهجها الاستقرائي لتضيف إلى هذا الملحظ الهام الذي يتصل اتصالاً قوياً ومباشراً بما يشغلنا من أمر الإعجاز البياني حيث قامت بتدبر سياق هذه الفواتح في جميع مواضعها، وشرحت مطولاً طبيعة إيثار كل من هذه الفواتح في مقامها[1]، وانتهت بعد استقرائها الكامل للفواتح في سورها وترتيب سياقها بالملاحظ الآتية :

1. أنها بدأت من أوائل الوحي في سورة القلم، لافتة إلى سر الحرف، ثم كثرت وتتابعت في أواسط العهد المكي – من سورة " ق " وترتيب نزولها الرابعة والثلاثون إلى سورة القصص وترتيب نزولها التاسعة والأربعون – حين بلغ الجدل في القرآن أشده، فعرضت قضية التحدي، وظلت آيات القرآن تعاجزهم وتتحداهم أن يأتوا بمثله أو بسورة منه، إلى أول العهد المدني الذي نزلت فيه آية البقرة فحسمت الجدل العقيم، بعد أن لزمتهم الحجة على صدق المعجزة، بعجزهم مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله.

2. ما من سورة بُدئت بالحروف المقطعة، إلا كان فيها احتجاج للقرآن وتقرير نزوله من عند الله، ودحضٍ لدعاوى من جادلوا فيه، مع التنظير لموقف المجادلين فيه، بموقف أمم قبلهم كذبوا بآيات الله واستهزئوا برسله تعالى فحق عليهم العقاب.

3. أكثر السور المبدوءة بالفواتح، نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى، وأفحشوا في حمل الوحي على الافتراء والسحر والشعر والكهانة، فواجههم القرآن بالتحدى، وعاجزهم مجتمعين، ومن ظاهرهم من الجن، أن يأتوا بسورة من مثله مفتراة، أو فليأتوا بعشر سور، أو بحديث مثله، ما داموا يزعمون أن محمداً افتراه وتقوّله[2].

وقد تحمست بنت الشاطئ إلى إضافتها هذه ووصفت محاولتها بقولها : « وهي محاولة لا أعلم أن أحداً ممن قرأت لهم في هذه الفواتح قد اتجه إليها، مع أنها التي يمكن أن تهدينا إلى ملحظ مشترك في هذه السور جميعاً، مأخوذ من تدبر سياقها وفهم طبيعة المقام الذي اقتضى

---

[1]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 160 – 179.

[2]- المصدر نفسه، ص 179 – 180.

- أن الجمل الخبرية المنفية بـــ« ما كان » لا يقترن خبرها بالباء. ووجه الاستغناء عن الباء، أن النفي بهذا الأسلوب يفيد الجحد أصالةً، شأنه شأن أسلوب الجحد في الفعل : « ما كان الله ليعذبهم ».

- حيثما جاء الخبر منفياً بما أو ليس في الجمل الخبرية، واقترن الخبر بالباء، أفادت تقرير النفي بالجحد والإنكار. وتلزم الباء خبر ما وليس في هذا السياق في البيان القرآني، ولا تتخلف إلا حينما يكون المقام مستغنياً عن تقرير النفي، أو محتملاً للشك في الخبر.

- في الجمل الإستفهامية، يطرد اقتران خبر ليس بالباء، وبها ينتقض النفي ويخرج الاستفهام إلى إثبات حاسم وتقرير بات، لا إلى أي وجه آخر من سائر الوجوه التي يعرفها علم البلاغة في خروج الاستفهام عن معناه الأول في أصل اللغة.

وانتهت بنت الشاطئ إلى أن الباء الداخلة على خبر " ما " و" ليس " لا تكون زائدة، وإنما وفق قاعدة بلاغية بيانية ملحوظة في الأسلوب القرآني.

وختمت بنت الشاطئ مناقشتها لهذه المسألة بقولها : « وإذ كشف حرف الباء عن سرّه الأعلى في البيان، يبدو القول بزيادته مما يجفوه حسّ العربية المرهف، ولا يلطف من هذه الجفوة أن نعلم أنهم لم يعنوا بالزيادة مجرد الحشو أو الفضول، بل أدرجوها تحت الحكم العام لمعنى التأكيد بالباء الزائدة »[1].

هذا هو رأي بنت الشاطئ في قضية الزيادة الحرفية في النص القرآني، فهي ترفض القبول بهذه الزيادة وتعتبر حروف المعاني عاملة أصيلة في سياقها القرآني، جيء بها في مواضعها وفق أهداف وحقائق بلاغية وبيانية.

وهذا الاتجاه الذي تبنته بنت الشاطئ نجده كذلك عند الدكتور عبد الله دراز في كتابه « النبأ العظيم »، فقد وجدناه أيضاً يرفض فكرة وجود حروف أو كلمات زائدة في التعبير القرآني بزعم أنها جاءت فيه للتوكيد، ويخطّئ كل من قال بهذه الفكرة ، ويرى « أن الحكم في القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها إنما هو ضرب من الجهل –مستوراً أو مكشوفاً– بدقة

[1] - بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 190.

الميزان الذى وضع عليه أسلوب القرآن، وينتصر لهذا الرأي، ويدعو الناظر في القرآن إلى إمعان النظر في الحروف والكلمات التي قالوا بزيادتها، وإلى البحث عن الحكمة من ورودها على تلك الصورة، فإن لم يدركها، فاليتهم فهمه وعقله بدل أن يتهمها هي بالزيادة، وليقل : " الله أعلم بأسرار كتابه، ولا علم لنا إلا بتعليمه »[1].

3- الحذف :

كذلك تعرضت بنت الشاطئ من خلال منهجها في التناول الموضوعي لقضية الحذف التي أشار إليها بعض اللغويين والنحويين في النّصّ القرآني، عندما يقدّرون حروفاً محذوفة ويعمدون إلى تأويل الآيات على تقدير تلك الحروف، ثم تأويل حذفها، وأوردت بنت الشاطئ مثالاً على ذلك ما ذكره النحويون من تقدير حرف " لا " النافية في هذه الآيات :

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾[2]

وقوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[3]

وقوله : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[4]

والتقدير في الآيات الثلاث : لا تفتأ، أن لا تضلوا، لا يطيقونه.

وقد وضّحت بنت الشاطئ المعنى الصحيح لكل من الآيات الثلاث على النحو الذي وردت به[5].

وخلصت إلى أن ما قاله بعض اللغويين والنحويين من زيادة أو تقدير حرف " لا " في الآيات المذكور أمر لا داعي له، وأن « الذي نفهمه هو أنه متى اطرد الحذف -كقولهم- فالسياق حتماً مستغنٍ عن المحذوف، ولا وجه إذن لتقدير الحرف ثم تأويل حذفه »[6] لأن

---

[1]- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم (ط2 ؛ دار القلم : الكويت، 1970م) ص 130 - 131، وانظر ايضاً ص 132 – 136.

[2]- يوسف : 85.

[3]- النساء : 176.

[4]- البقرة : 184.

[5]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 192 – 198.

[6]- المصدر نفسه، ص 192.

الميزان الذى وضع عليه أسلوب القرآن، وينتصر لهذا الرأي، ويدعو الناظر في القرآن إلى إمعان النظر في الحروف والكلمات التي قالوا بزيادتها، وإلى البحث عن الحكمة من ورودها على تلك الصورة، فإن لم يدركها، فاليتهم فهمه وعقله بدل أن يتهمها هي بالزيادة، وليقل : " الله أعلم بأسرار كتابه، ولا علم لنا إلا بتعليمه »[1].

3- الحذف :

كذلك تعرضت بنت الشاطئ من خلال منهجها في التناول الموضوعي لقضية الحذف التي أشار إليها بعض اللغويين والنحويين في النّصّ القرآني، عندما يقدّرون حروفاً محذوفة ويعمدون إلى تأويل الآيات على تقدير تلك الحروف، ثم تأويل حذفها، وأوردت بنت الشاطئ مثالاً على ذلك ما ذكره النحويون من تقدير حرف " لا " النافية في هذه الآيات :

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾[2]

وقوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[3]

وقوله : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[4]

والتقدير في الآيات الثلاث : لا تفتأ، أن لا تضلوا، لا يطيقونه.

وقد وضّحت بنت الشاطئ المعنى الصحيح لكل من الآيات الثلاث على النحو الذي وردت به[5]

وخلصت إلى أن ما قاله بعض اللغويين والنحويين من زيادة أو تقدير حرف " لا " في الآيات المذكور أمر لا داعي له، وأن « الذي نفهمه هو أنه متى اطرد الحذف –كقولهم- فالسياق حتماً مستغنٍ عن المحذوف، ولا وجه إذن لتقدير الحرف ثم تأويل حذفه »[6] لأن

---

[1]- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم (ط2 ؛ دار القلم : الكويت، 1970م) ص 130 - 131، وانظر أيضاً ص 132 – 136.

[2]- يوسف : 85.

[3]- النساء : 176.

[4]- البقرة : 184.

[5]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 192 – 198.

[6]- المصدر نفسه، ص 192.

السياق متى أعطى المعنى المراد، مستغنياً عن هذا الحرف أو عن غيره، كان ذكره من الفضول أو الحشو الذي ينتزه عنه الكلام البليغ، فضلاً عن البيان المعجز »[1].

وفي كلامها دعوة صريحة إلى فهم السياق القرآني على ما ورد به، دون النظر إلى زيادة أو تقدير، لأنه –كما تقول– لا وجه لتقدير الحرف، ثم تأويل حذفه، ولأن عدم التقدير في هذا الوضع أولى من التقدير.

4- الإلغاء :

يقصد بالإلغاء هنا الإبقاء على حرف ما مع تعطيل دلالته في صريح النص. وقد ناقشت بنت الشاطئ ما ذهب إليه بعض النحويين من " إلغاء " عمل بعض حروف المعاني، كإلغاءهم مثلاً عمل " لا " النافية في قوله تعالى : ﴿ لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾[2].

وواضح من سياق الآية أنها تنفي استئذان المؤمنين في الجهاد، وقد حملها مفسرون على نفي الاستئذان في التخلف والقعود وترك الخروج للجهاد، من حيث بدا لهم أن الاستئذان لا يكون إلا في التخلف والقعود. و ممن ذهب إلى هذا الإمام الطبري :

« فأما الذي يصدق بالله ويقر بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب، فإنه لا يستأذن في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه »[3].

فقد رفضت بنت الشاطئ هذا الرأي واحتكمت إلى النص القرآني لترى أن الأولى حمل الآية على نفي استئذان المؤمنين « أن يجاهدوا » لا أن يتخلفوا ويقعدوا إذ ليس المؤمن بحيث يستأذن في أن يؤدي فريضة الجهاد، لأن الجهاد لا يحتاج إلى استئذان في خوضه باعتباره واجباً ومفروضاً، والمؤمن لا يستأذن في أداء الواجبات كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد[4].

---

[1]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 192.

[2]- التوبة : 44.

[3]- تفسير الطبري 10 / 100.

[4]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص 199.

وأفاضت بنت الشاطئ في بيانها أن آية التوبة نزلت في « غزوة تبوك »، ولا مجال لاستئذان في الخروج مع المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد أن استنفر أصحابه للجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بل الذين يستأذنون النبي في الجهاد ليحصلوا على الإذن بالتخلي عنه هم المترددون، كما أشارت الآيتان التاليتان للآية السابقة : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوْبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيْلَ اقْعُدُوْا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[1].

وبما أن المتردّدين – وهم هنا المنافقون – حريصون على عدم الجهاد، فهم يستأذنون النّبيّ في الخروج ليحصلوا على إذن يبررون به قعودهم على نحو كلام الله عنهم بعد ذلك : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوْكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾[2].

وإذا كان المنافقون يستأذنون في الجهاد والخروج لينالوا الإذن بالقعود، فإن المؤمنين على نقيض المنافقين في هذا العمل، فهم لا يستأذنون في الجهاد بأموالهم وأنفسهم والخروج إلى الميدان، كما هو صريح الآية وصريح عمل " لا " النافية فيها[3].

وهذا المعنى هو ما ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف حين قال : « ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، وكان الخُلّص من المهاجرين والأنصار يقولون : " لا نستأذن النبي أبداً، ولنجاهدنّ أبداً معه بأموالنا وأنفسنا »[4].

ونحن نرى هنا أن الحق مع بنت الشاطئ فيما ذهبت إليه بشأن هذه الآية، لأن إلغاء " لا " وإبطال عملها فيه تعسف واضح، ولأنه يتناقض مع سياق الآية والقضية التي تعالجها. فالاستئذان لا يكون في الواجب والمفروض، ومن يفعله يكن منافقاً حقاً، ومن ثم جيء بـــ (لا) في هذا الموضع لتنفي استئذان المؤمنين للجهاد، لأن الجهاد وغيره مما هو في صالح

---

[1]- التوبة : 45 - 46.

[2]- التوبة : 83.

[3]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 200.

[4]- الزمخشري، الكشاف 2 / 154.

الأمة لا يحتاج إلى استأذان في خوضه، باعتباره واجباً ومفروضاً، والمؤمن لا يستأذن في أداء الواجبات.

5- التناوب أو التعاقب :

ومن القضايا اللغوية القرآنية التي التفتت إليها بنت الشاطئ على ضوء منهجها في التفسير قضية " التناوب " في عمل الحروف أو " التعاقب "وهي قضية نحوية بلاغية تدور حول أن بعض الحروف قد تتعاقب مكان بعض، فيعدل عن دلالة الحرف الأصلي ليودي دلالة حرف آخر لتقارب معنى الحرفين[1]. كانت هذه القضية وما تزال محل خلاف بين مدرستي النحو العربي.

فالبصريون لا يقرون هذا التناوب حيث يرون أنه ((في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة، أن الحرف باق على معناه، فإن كانت تجوز، فليكن في الفعل لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحروف))[2]، فالحرف عندهم ليس له ((...إلا معنى واحد، وما أوهم فمحمول عندهم على تضمين الفعل معنى يتعدى بتلك الأداة))[3]، وقد أوجدوا تأويلاً وتفسيراً لظاهرة التناوب بما يرونه متفقاً مع المعنى الأصلي غير الظاهر للحرف[4].

أما الكوفيون فقد ذهبوا على خلاف البصريين إلى قبول تناوب حروف الجر في الوظيفة دون تأويل، أو تضمين عن طريق الاحتجاج[5]. ولكنهم لم يقدموا تفسيراً لمذهبهم، واكتفوا باستقراء الشواهد والتمثيل لظاهرة التناوب[6].

---

[1]- مجاز القرآن لأبي عبيدة ؛ تعليق محمد فؤاد سزكين (ط1 ؛ منشورات الخانجي : مصر، 1954م).

[2]- بنت الشاطئ، من أسرار العربية في البيان القرآني (د.ط ؛ دار الأحد - البحيري إخوان : بيروت، د.ت) ص 32.

[3]- مهدي المخزومي، الدرس النحوي في بغداد (د.ط ؛ دار الرائد العربي : بيروت – لبنان، 1986م) ص 171.

[4]- ظاهرتا التضمين والتناوب في حروف الجر بين البصريين والكوفيين، د. ذهبية بورويس (مجلة الأمير عبد القدير : قسنطينة، العـــدد 12، سبتمبر 2002) ص 220.

[5]- المرجع نفسه، ص 221.

[6]- المرجع نفسه، ص 222.

وكعادتها في الاستقراء والتقصي تعرض بنت الشاطئ هذا الخلاف على النص القرآني من خلال أمثلتها المختلفة في هذا الموضوع، فهي تراه يأبى أن نتأول حرفاً منه بحرف آخر يمكن أن ينوب عنه[1].

ومما ذكرته مما مثل به العلماء للحروف المتناوبة قوله تعالى : ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[2]، حيث ذكروا أن « في » في هذه الآية بمعنى « من » أو « اللام »، أي : من ريبهم، أو لريبهم.

لكنها ترى أن أحد الحرفين لا يقوم مقام الحرف في النصّ القرآني، وليس المقصود منه التعليل المستفاد من حرف اللام، وإنما مناط التعبير فيه هذا الانغماس والملابسة الملحوظة في ظرفية " في "[3].

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[4]، حيث عدّوا « عن » في هذا الموضع بمعنى « في »، أي في صلاتهم ساهون، فإن بنت الشاطئ تستبعد رأي من تأول السهو عن الصلاة في الآية بأنه سهو في الصلاة، وكذلك فهي لا تطمئن في تفسير السهو عن الصلاة إلى ما ذهب إليه الإمام الطبري، بأن السهو عن الصلاة المقصود في الآية هو تركها أو ترك وقتها باللهو عنها والتشاغل بغيرها، وترى أننا « حين نفهم الآية في سياقها مع الآيات التي قبلها، ومع الآية التالية لها، وقد ارتبطت بها الصلة بالموصول : " الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ "، يعطينا حرف « عن » سرّه، فنرى النذير بالويل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون عن كونها قياماً بين يدي الخالق، يكبح غرور الإنسان وينهاه عن الفحشاء والمنكر، ويأخذه بالخشوع والتواضع أمام جلال خالقه وعظمته وقدرته، ويرهف ضميره فيتقي الله في اليتيم والمسكين مؤدياً حقهما في التواصي بالمرحمة »[5].

---

[1]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 201 – 202.

[2]- التوبة : 45.

[3]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 202.

[4]- الماعون : 4 – 5.

[5]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 203.

فليس السهو عن الصلاة هنا –في رأي بنت الشاطئ– إذن سهواً فيها ولا تركاً لها أو ترك وقتها، أو العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب، وإنما هو سهو عن حكمتها ومراءاة بها. وذلك لأن بعض الناس قد يؤدونها في أوقاتها، ويتظاهرون بالخشوع فيها والإخبات رئاء الناس وقصداً إلى منفعة، كما ترى بأن صلاة الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين لا يمكن أن تصدر عن قلب خاشع وضمير مؤمن، وحين لا تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر، فذلك هو السهو عنها تعود به طقوساً شكلية ونفاقاً من المصلين يراءون به الناس[1]. وهذه نراها رؤية جديدة في تفسير هذه السورة تحسب لبنت الشاطئ كذلك.

ومما ذكرته من هذه المواضع أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾[2]، إذ حسبوا أن العطف بالواو هنا يعطي حاصل الجمع : تسع نساء في وقت واحد! ولهذا اعتبروها هنا بمعنى " أو " التخييرية، أي مثنى أو ثلاث، أو رباع[3]، وهذا الرأي لا توافق عليه بنت الشاطئ لأن " أو " –في رأيها– إذا وضعت نيابة عن " الواو " في هذه الآية لا يستقيم السياق، ولا يصح المعنى إطلاقاً ، لأن مقتضى التخيير بـــ " أو " : أن ينكحوا مثنى، أو ينكحوا ثلاث أو رباع، بحيث لا يحل لمن اختاروا أن ينكحوا مثنى أن ينكحوا ثلاث أو رباع، وليس هذا هو الحكم المستفاد من الآية، في إباحة تعدد الزوجات مثنى وثلاث ورباع، ثم لا يتجاوز إلى المحظور وراء رباع[4].

وتلفت بنت الشاطئ القارئ إلى ضرورة أن يفرق بين : مثنى وثلاث ورباع، وبين اثنتين وثلاث وأربع، مجموعها تسع، لأن الأعداد لا تجمع إلا إذا جاءت على أصلها غير معدول بها إلى : مثنى وثلاث ورباع. كما تلفته أيضاً إلى ضرورة أن يميز بين " مثنى وثلاث ورباع " بما تفيد من إباحة التعدد مثنى وثلاث ورباع بحسب الظروف والأحوال، وبين : مثنى أو ثلاث أو رباع بما تفيد من دلالة التخيير يقتصر فيها إما على مثنى أو ثلاث أو رباع[5].

---

[1] – بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 203.

[2] – النساء : 3.

[3] – بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 206.

[4] – المصدر نفسه، ص 207.

[5] – المصدر نفسه.

وهي ترى أن الشواهد التي ذكرها كافية لاجتلاء سرِّ الحرف، لا يقوم مقامه غيره ولا ينوب عنه[1].

5- الترادف :

وقد عالجت بنت الشاطئ على ضوء منهجها في التناول الموضوعي أيضاً قضية الترادف، وذلك في أحد مباحث كتابها " الإعجاز البياني للقرآن الكريم " والذي أسمته " دلالة الألفاظ وسر الكلمة ".

لعل من المفيد قبل الخوض في رأي بنت الشاطئ حول الترادف في القرآن أن نلجأ إلى المعجم العربي، لنبين الأصل اللغوي لمصطلح « الترادف »، والمقصود به اصطلاحياً لدى فقهاء اللغة.

فالفعل « رَدِفَ » ردفاً ركب خَلْفَه، ويعني : تبعه أيضاً، ومنه الفعل المزيد بالهمزة في أوله، فالفعل « أَرْدَفَ » يعني تَوَالَى وتَتَابَعَ، ومنه قوله تعالى عن العون السماوي في غزوة « بدر » المشرفة : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[2] أي متتابعين، يَلْحَقُ بعضُهم بعضاً، وفي سورة النمل قال عز وجل : ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[3] أي قَرُبَ، وفي المعجم الوسيط : « أردف فلان فلاناً ركب خلفه، ورادفت الدابّة : قَبِلَت الرَّديف، وفَوِيَتْ على حَمْلِه، فالرَّديف : الراكب خلف الراكب »[4].

أما في الاصطلاح، فقد اصطلح فقهاء اللغة على أن الترادف يعني تعدّدَ الأسماء للمسمى الواحد، بوقوع الألفاظ على المعنى الواحد، ونتيجة لهذا التطابق التام بين المترادفات يصحُّ في نظر مؤيدي تبادل المترادفات فيما بينها في أي سياق[5].

وحجّتهم في هذا هي تعايُش اللغات بعد ظهور وَضْعَيْن اثنين للمعنى الواحد، وقد ذكر السيوطي في كتابه « المُزْهِر » أن الترادف « إنما يكون من وَاضِعَيْن، وهو الأكثر بأن تضع

---

[1]- المصدرنفسه، ص 207.

[2]- الأنفال : 9.

[3]- النمل : 72.

[4]- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط (د.ط ؛ دار التراث العربي : بيروت، د.ت) 1 / 339.

[5]- أحمد ياسُوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير (ط1 ؛ دار المكتبي : دمشق، 1994م) ص 60.

إحدى القبيلتين أحدَ الاسمين، والأخرى الاسمَ الآخرَ للمسمى الواحد، من غير أن تشعرَ إحداهما بالأخرى، ثم يشتهر الوضعان، ويخفَى الوَاضِعَان »[1].

وقد اختلف فقهاء اللغة حول وقوع الترادف في القرآن، ونحن عندما ننظر فيما وصل إلينا من كتب اللغة ومعاجمها، نراها تسلك مسلكين متغايرين، منها ما يذهب إلى وجود الترادف فيجمع للمعنى أو الشيء الواحد ألفاظاً ذات عدد، دون إشارة إلى كونها لغات فيه، ومنها ما يميز دلالة خاصة لكل لفظ من الألفاظ التي تطلق على الشيء الواحد أو تتوارد على معنى من المعاني[2].

وبنت الشاطئ بالرغم من إقرارها بأن تقدم الدراسات اللغوية في هذا العصر « قد جاوز بنا مرحلة المفاضلة الساذجة بين العربية وغيرها من اللغات، ووجّهنا إلى البحث في خصائص العربية منتفعين بما هدت إليه البحوث في اللغات والصوتيات...»[3] فإنها ترى أن هذه القضية مازالت معلقة لم يستقر فيها أصحاب العربية على رأي، حتى بعد أن اتصلت دراساتنا اللغوية الحديثة بجديد البحوث في علوم اللغة والصوت والاجتماع[4].

لهذا، تطالب بنت الشاطئ بكلمة سواء في هذه القضية من خلال النّصّ القرآني باعتباره كتاب العربية الأكبر، وباعتبار أننا ينبغي ألا نأخذ في القضية برأي دون عرضها على هذا الكتاب أولاً، لأنه الذي يَحْسِمُ ذلك الخلاف الذى طال[5].

وكعادتها في الالتزام بمنهجها الصارم في البحث، حشدت مجموعة من الكلمات القرآنية المتقاربة التي رآها بعضهم مترادفة، رغبة منها في حسم هذا الخلاف القديم، وقامت بدراستها، وبيان الفروق الدلالية بينها، في محاولة جادة منها حتى وصلت إلى نتيجة وهي عدم فكرة الترادف في النّصِّ القرآني.

---

[1]- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق : محمد أبو الفضل إبراهيم ورفيقيه (د.ط ؛ المكتبة العصرية : بيروت، 1987م) 1 / 405.

[2]- لقد أوردت بنت الشاطئ آراء علماء كل المَسلَكين في كتابها ((الإعجاز البياني للقرآن الكريم))، ص 211- 213.

[3]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 210.

[4]- المصدر نفسه، ص 214

[5]- المصدر نفسه.

والألفاظ المتقاربة التي اعتمدت عليها بنت الشاطئ في بيان الفروق الدلالية في هذه الدراسة الجديدة هي : الرأيا والحلم، وآنس وأبصر، والنأي والبعد، وحلف وأقسم، وتصدع وتحطم، والخشوع والخشية، والخضوع والخوف، وزوج وامرأة، وأشتات و شتى، والإنس والإنسان، والنعمة والنعيم[1].

وقد أكدت بنت الشاطئ في دراستها لهذه الألفاظ أن التتبع الاستقرائي لألفاظ القرآن في سياقها شهد « أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يؤديها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشد له معاجم وكتب التفسير عدداً قلّ أو كثر من الألفاظ »[2].

فهي ترى – مثلاً – أنه كثيراً ما يفسر الفعل « أحلف » بلفظ « أقسم » وأنه ليس في استعمال العرب لهما ما يمنع من تفسير أحدهما بالآخر على ما نجد في المعاجم وفي الشعر. لكن التتبع للاستعمال القرآني –كما تقول– يمنع هذا الترادف، ويأبى أن نفسر القَسَم هنا بالحلف، إذ جاءت مادة « ح ل ف » في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً، كلها – بغير استثناء – في مقام الحنث باليمين (انظر أيات التوبة : 42، 56، 62، 74، 95، 96، 107، والنساء : 61، 62، 63، والمجادلة : 14، 18، والقلم : 10) والغالب أن يأتي الفعل مسنداً إلى المنافقين، كآية التوبة التي فضحت زيف نفاقهم[3].

أما القسم فقد ورد في الإيمان الصادق وجاء موصوفاً بالعظمة في آية الواقعة : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُوْنَ عَظِيمٌ ﴾[4]، وسؤالاً من الله تعالى على وجه الاعتبار لكل ذى حجر في آية الفجر : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾[5]، واختصّ القسم بحرمة الشهادة على الوصية، حيث لا يحل الحنث باليمين في آيتي المائدة (108، 109) وكان أصحاب الجنة في سورة القلم صادقين : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴾[6]. وليس المجرمون بكاذبين إذ

---

[1]- انظر تحليلها لهذه الألفاظ في سياقها القرآني، في كتابها ((الإعجاز البياني للقرآن الكريم))، ص 215 – 236.

[2]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 214 – 215.

[3]- المصدر نفسه، ص 221 – 222.

[4]- الواقعة : 76.

[5]- الفجر : 5.

[6]- القلم : 17، 18.

يقسمون يوم تقوم الساعة " ما لبثوا غير ساعة "، وكذلك يسند القسم في القرآن إلى الضَّالّين، عن وهم منهم أو إيهام بالصدق، قبل أن ينكشف أنهم كانوا على ضلال، كما في آيات الأنعام : 109، والأعراف : 48، 49، وإبراهيم : 44، والنحل : 38، والمائدة 53[1].

وأمام هذا الاستعمال القرآني -كما ترى بنت الشاطئ- لا يهون أبداً أن نفسر القسم بالحلف، ودليل ذلك أن صنيع القرآن فيهما يلفت إلى فرق دقيق بينهما، ثم تبرز بنت الشاطئ هذا الفرق الواضح بين اللفظين بقولها : « فإن لم نقل إنّ القسَم لليمين الصادقة -حقيقةً أو وهماً- والحلف لليمين الكاذبة على إطلاقها، فلا أقلّ من أن يكون بين دلالتهما الفرق بين العام والخاص : فيكون القَسَمَ لمطلق اليمين بعامة، ويختص الحلف بالحنث في اليمين على ما اطّرد استعماله في البيان القرآني »[2].

ولا يعني تفرد الكلمة القرآنية بدلالة خاصة - في رأي بنت الشاطئ - تخطئة سائر الدلالات المعجمية، كما أن إيثار القرآن لصيغة بعينها لا يعني تخطئة سواها من الصيغ في العربية الفصحى، بل يعني ذلك تفرد القرآن الكريم بمعجمه الخاص وبيانه المعجز، ويكفي أن يقال إن هذه الصيغة أو هذه الدلالة قرآنية، ثم لا يعترض بعد ذلك بأن العربية تعرف صيغاً ودلالات أخرى للكلمة[3].

وأنهت بنت الشاطئ حديثها عن هذه الألفاظ بقولها « وقد ينبغي لي أن أعترف هنا بقصوري عن لمح فروق الدلالة لبعض ألفاظ قرآنية تبدو مترادفة، فليس لي إلا أن أقرّ بالعجز والجهل، وأنا أتمثل بكلمة ابن الأعرابي : " كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا، فلم نُلزم العرب جهله »[4].

---

[1]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 221 – 224.

[2]- المصدر نفسه، ص 224.

[3]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم : 2 / 8.

[4]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 238.

وقد خرجت بنت الشاطئ من دراستها لمسائل ابن الأزرق بتأكيد واضح بأن الكلمة القرآنية مهما روعيت الدقة في تفسيرها تبقى فوق ذلك، منفردة بجلالها وجمالها وإعجازها. وأنه لا يغض من قدر المفسرين، سواء أكانوا من الصحابة أو التابعين، أو من الأئمة المتأخرين ألا تكون الكلمة القرآنية مرادفة لما يذكرونه في تفسيرها، بل يفرض الإعجاز البياني للقرآن أن يعيا أي مفسر عن الإتيان بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ أن ما يأتي به، إنما هو من قبيل الشرح والتقريب ولا يعني ذلك بحال أنها والكلمة القرآنية سواء[1].

والحق أن معالجة بنت الشاطئ لقضية الترادف نراها من أصرح المعالجات وأوضحها، فاللفظ القرآني لا يقوم مقامه سواه، والحرف لا يؤدي معناه حرف آخر، بل الحركة والنّبرة تأخذ مكانها الخاص في هذا النّظم القرآني المعجز[2].

وقد قال الدكتور حفني محمد شرف : « كل لفظة من ألفاظ القرآن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا نجد فيه ترادفاً، بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديداً »[3]، وهو في ذلك ينحو منح بنت الشاطئ فيما ذهبت إليه.

6- الاستغناء عن الفاعل :

من الظواهر الأسلوبية في البيان القرآني التي التفتت إليها بنت الشاطئ أيضاً، ظاهرة الاستغناء عن الفاعل. فهي ترى أن البلاغيين قد قصّروا في استجلاء سر ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في القرآن الكريم، ويكتفون بقولهم في حذف الفاعل : إنه يحذف للعلم أو الجهل به، أو الخوف منه أو عليه.

بينما بنت الشاطئ قد لافتها اطراد ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في البيان القرآني، في موقف القيامة إما بالبناء للمجهول في مثل آيات :

---

[1]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 601 – 603.

[2]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم : 1 / 18.

[3]- حفني محمد شرف، الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق (ط1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية : القاهرة، د.ت) ص 222.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّوْرِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾[1].

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ فَتَأْتُوْنَ أَفْوَاجاً . وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ﴾[2].

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُوْمُ انكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوْشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النُّفُوْسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا الْمَوْءُوْدَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ . وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ . وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ . وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾[3].

ومعها سائر آيات النفخ في الصور، وكلها مبنية للفعل المجهول، الماضي منها والمضارع : (الكهف 99، المؤمنون 101، يس 51، الزمر 68، ق 20، الحاقة 23، الأنعام 73، طه 102، النمل 87، النبأ 18...).

وإما أن يستغني البيان القرآني عن ذكر الفاعل في موقف الآخرة بإسناده إلى غير فاعله، مطاوعة أو مجازاً، كما في آيات :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾[4].

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾[5].

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِيْنٍ ﴾[6].

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾[7].

---

[1]- الحاقة : 13 – 14.

[2]- النبأ : 18 – 19.

[3]- التكوير : 1 – 14.

[4]- القمر : 1.

[5]- الانفطار : 1.

[6]- الدخان : 10.

[7]- الزلزلة : 1 – 4.

فقد اهتدت بنت الشاطئ بعد اطراد ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في البيان القرآني في موقف القيامة إلى :

1. أن أساليب البناء للمجهول، والمطاوعة، والإسناد المجازي، تلتقي جميعاً في الاستغناء عن ذكر الفاعل، وإن كان لكل أسلوب منها ملحظه البياني الخاص، يجلوه استقراء مواضعه في الكتاب المحكم.

2. اطراد هذه الظاهرة في موقف البعث والقيامة، ينبه إلى أسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة البلاغية وإجراءات الإعراب الشكلية :

فبناء الفاعل للمجهول : فيه تركيز الاهتمام على الحدث، بصرف النظر عن محدثه.

والمطاوعة : فيها بيان للطواعية التي يتم بها الحدث تلقائياً أو على وجه التسخير، وكأنه ليس في حاجة إلى فاعل...

والإسناد المجازي : يعطي المسنَد إليه فاعليةً محققة يستغنى بها عن ذكر الفاعل الأصلي[1].

7- البدء بواو القسم :

الأصل في الواو أن تأتي في درَج الكلام للربط والعطف، فإذا جاءت للقسم فإن لها الصدارة، في مقام التوثيق لما يسبق إنكاره، أو الإقرار والشهادة.

وقد اتجه بها المفسرون، أو جمهرتهم إلى تعظيم المقسَم به، ثم مضوا يلتمسون وجه العظمة في المقسم به بالواو.

ولكن بنت الشاطئ قد وقفت أمام هذه الظاهرة الأسلوبية في البيان القرآني، واحتلت من سرها البياني ما أضافته إلى فكرة الإعظام التي سيطرت وحدها على جمهرة من قرأت لهم من المفسرين والبلاغيين حيث قالت :

« والذي اطمأننت إليه بعد طول التدبر لسياقها في الآيات المستهلة بالواو، وهو أن هذه الواو قد خرجت عن أصل معناه اللغوي الأول في القسم للتعظيم، إلى معنى بلاغي، هو اللفت

[1] - بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 242 – 243.

بإثارة بالغة إلى حِسِّيات مدركة لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومماراة، توطئة إيضاحية لبيان معنيويات يمارى فيها، أو تقرير غيبيات ليست من الحسيات والمدركات »[1].

ثم قامت بتطبيق رأيها في الأقسام الواردة في سورة الليل، والضحى، والنجم، والعاديات، والعصر[2].

وقد عللت بنت الشاطئ سبب اعتساف العلماء - في رأيها- في تأويل الآيات المبدوءة بواو القسم، وهو لأن علماء البلاغة قد عرفوا خروج الخبر والاستفهام والأمر والنهي عن معانيها الأولى في أصل اللغة إلى معان بلاغية، ولكنهم لم يشيروا إلى خروج القسم عن معناه الأول - أي اللغوي - إلى المعنى البلاغي[3].

8. السجع ورعاية الفواصل :

ومن الظواهر البيانية التي اهتمت بها بنت الشاطئ أيضاً، قضية الفواصل القرآنية. ولكن قبل الخوض في المسئلة، نحب أن نبين المراد بالفاصلة لغة واصطلاحا ليتضح لنا الفرق بين الفاصلة القرلآنية والسجع.

الفاصلة لُغةً : هي ما يفصِل بين شيئين، وهي في علامات الترقيم في الكتابة، العلامةُ التي توضَعُ بين الجُمَل التي يتركب منها كلام تامُّ الفائدة، ويبين الكلمات المفردة المتصلة بكلمات أخرى تجعَلُها شبيهةً بالجملة في طولها[4].

أما الفاصلة اصطلاحاً: فهي كلمة آخرِ الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام.

---

[1]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 248.

[2]- المصدر نفسه، ص 249 —251.

[3]- المصدر نفسه، ص 252.

[4]- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط 2 / 698.

وتسمَّى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخرَ الآية فصل بينها وبين ما بعدَها، ولم يسمُّوها أسجاعاً، فأما مناسبة فواصل، فلقوله تعالى ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُـــهُ ﴾[1]، وأما تجنُّب أسجاع، فلأنَّ اصله من سَجْع الطير[2].

فالفاصلة في القرآن كلمة تختم بها الآية وغالباً ما تضمنت الواو والنون، أو الياء والنون، ففاصلة الآية الكريمة : ﴿ الَّذِيْنَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُوْنَ﴾[3]، هي كلمة « ساهون » لأنها تفصل بين آيتين.

وقد رأت بنت الشاطئ أن العلماء لم يختلفوا في أن لفواصل القرآن إيقاعها الفريد وبلاغتها العليا، إنما اختلافهم في شأن هذه الفواصل، هل هي من قبيل ما يعرف بالسجع في فنون البديع، أو هي شيء آخر غيره ؟[4].

وقد عرضت بنت الشاطئ أقوال السلف على اختلافهم في الفواصل القرآنية والسجع وأطالت فيه[5]، حيث وجدت أنه قد تباعدت بهم السبل بين الطرفين المتقابلين :

ففي البيئة الكلامية اختلفت الفرق الإسلامية بين نفي السجع في القرآن نفياً باتاً، والقول بوجوده في النظم القرآني، وعدَّه من وجوه إعجازه.

وفي البيئة اللغوية والبلاغية، اتسع الخلاف بين مذهب « الفراء » في أن السجع في القرآن مقصود إليه لذاته، وأنه ربما عدل عن نسق إلى آخر وآثر لفظاً على غيره في معناه، قصداً إلى المشاكلة والتوافق بين رءوس الآيات، وبين من أنكروا كابن سنان الخفاجي وابن الأثير، أن تكون معاني الفواصل القرآنية تابعة للألفاظ.

كما أن من علماء السلف من فرّقوا بين الفواصل والأسجاع، كالقاضي الباقلاني وعلي بن عيسى الرماني، وإن لم ير أكثر البلاغيين فرقاً بين الفواصل والسجع، وعندهم أن الأمر في

---

[1]- فصلت : 3.

[2]- أنظر : البرهان في علوم القرآن لبرهان الدين الزركشي (ط3 ؛ دار الفكر : بيروت، 1980م) 1 / 54.

[3]- الماعون : 5.

[4]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 253.

[5]- المصدر نفسه، ص 253 – 266.

هذه التفرقة، ليس إلا كراهة القول بالسجع في القرآن، بعد أن شاع إطلاقه على سجع الكهان[1].

ثم توجهت بنت الشاطئ إلى تدبر الفواصل القرآنية، لترى ما إذا كان البيان الأعلى يتعلق في فاصلة منها بمجرد رعاية شكلية للرونق اللفظي، أو أن فواصله تأتي لمقتضيات معنوية، مع نسق الإيقاع بهذه الفواصل، وائتلاف الجرس لألفاظها التي اقتضتها المعاني على نحو تتقاصر دونه بلاغة البلغاء. واختارت بعض الشواهد من الفواصل لتقوم بتدبرها :

نأخذ مثلاً تدبرها في هذه الفواصل القرآنية من سورة الضحى :

﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾[2].

فقد ذهب " الفراء " إلى أن القرآن جرى فيها على طرح كاف الخطاب من : قلاك، اكتفاء بالكاف الأولى في : "ودعك"، ولمشاكلة رءوس اللآيات[3].

وعدَّ " الفخر الرازي " من وجوه حذف الكاف رعاية الفاصلة[4].

ومثله " النيسابوري " في تفسيره لآيات الضحى[5]، ونظائرها.

فقد لاحظت بنت الشاطئ قصورهم في تدبر هذه الآيات، حيث ترى أنه لو كان البيان القرآني يتعلق بهذا الملحظ اللفظي فحسب، لما عدل عن رعاية الفاصلة في الآيات بعدها : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[6]، وليس في السورة كلها " ثاء " فاصلة، بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق، وعلى مذهبهم كانت الفواصل ترعى بمثل لفظ : فحبِّر، لمشاكلة رؤوس الآيات بالعدول إلى هذا اللفظ، عن " فحدث "[7].

1- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 267.

2- الضحى : 1 – 3.

3- الفراء، معاني القرآن، تحقيق : د. عبد الفتاح أبراهيم شلبي (د.ط ؛ تراث في مكتبة أمير عبد القدير د.ت) 3 / 274.

4- الرازي، التفسير الكبير 31 / 210.

5- على هامش تفسير الطبري 10 / 108.

6- الضحى : 9 – 11.

7- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 269.

كما أنها ترى –من وجهة نظرها– أن حذف الكاف من : « وما قلى » مع دلالة السياق عليها، تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقة واللطف، هي تحاشى خطابه تعالى رسوله المصطفى، في موقف الإيناس، بصريح القول : وما قلاك. وذلك لما في القلى من حسّ الطرد والإبعاد وشدة البغض، وأما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل اللقاء. وأضافت بنت الشاطئ تعليلها بأن حذف كاف الخطاب في الفواصل بعدها، لأن السياق بعد ذلك أغنى عنها، ومتى أعطى السياق الدلالة المرادة مستغنياً عن الكاف، فإن ذكرها يكون من الفضول والحشو المنزه عنهما أعلى بيان[1].

وهكذا، ردت بنت الشاطئ رأي من قال برعاية الفواصل في مقاطع الآيات بشتى الوسائل، مع أنها أحياناً تكتفي بمجرد استقراء القضية في مواضع أخرى من القرآن دون أن تأتي برأيها الجديد، مثل ما فعلت في فواصل الآيات الأوائل من سورة الفجر[2].

9- لا أقسم :

ومن الأساليب البيانية القرآنية التي تعرضت لها بنت الشاطئ بالدراسة في كتابها وآخرها، مجيء فعل القسم بعد « لا النافية » في مثل قوله تعالى :

﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ . أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[3].

وقد أوردت بنت الشاطئ أقوال العلماء على اختلافها في هذا الباب[4]، وردّت على هذه الأقوال كلها مستخدمة منهجها الإستقرائي[5]، إلى أن جاءت برأيها من عندها :

« أفلا يهدينا تدبر سياق آيات " لا أقسم " لله تعالى وحده، إلى سر البيان في " لا " تنفي حاجته جل جلاله إلى القسم؟ بلى، وإنما نحتاج نحن البشر إلى أن نقسم، دفعاً لمظنة اتهام

1- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 269.

2- المصدر نفسه، ص 270.

3- القيامة : 1 – 4.

4- الإعجاز البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ، ص 280 – 282.

5- المصدر نفسه، ص 282 – 284.

أو إزاحةً لشكٍّ. ومن ثم نلمح سر العربية إذ تستعمل هذا الأسلوب، حيث تنتفي الحاجة إلى القسم، في مواضع الثقة واليقين »[1].

وعللت بنت الشاطئ اختيارها هذا بأن هناك فرق بعيد أقصى البعد، بين أن تكون " لا " لنفي القسم، كما قال بعض العلماء، وبين أن تكون لنفي الحاجة إلى القسم، كما يهدي إليه البيان القرآني، حيث إن من نفي الحاجة إلى القسم يأتي التوثيق والتقرير. لأنه يجعل المقام في غنى بالثقة واليقين عن الأقسام. وهي تؤكد رأيها بأننا بسليقتنا اللغوية ما نزال نؤكد الثقة بنفي الحاجة معها إلى القسم، فنقول لمن نثق فيه : " لا تقسم "، أو : " من غير يمين ". مقرراً بذلك أنه موضع ثقتنا، فلسنا بحاجة إلى أن يقسم لنا[2].

هذه من المسائل اللغوية التي عالجتها بنت الشاطئ في كتابها التفسير البياني مستخدمة منهجها المختار.

المبحث الثالث : من المؤاخذات على جهود بنت الشاطئ في التفسير البياني :

إن أي عمل يقوم به الإنسان لا يخلو من النقائص والعيوب، إذ النقصان من طبيعة البشر وجلّ من لا عيب فيه. ونحن من خلال دراستنا لجهود بنت الشاطئ في التفسير البياني، وجدنا بعض الملاحظات تحسب على جهودها في التفسير البياني. من أبرز هذه الملاحظات مسألة الرأي الواحد ونفي ما عداه من أراء أخرى، وجزمها لصحة رأيها وتخطئة رأي الآخرين.

نضرب لذلك على سبيل المثال، قولها في تفسير لفظ « النازعات » : « لا نطمئن إلى تفسير « النازعات » بما ذهب إليه أكثر المفسرين من أنها الملائكة تنزع الأرواح، إذ ليست الملائكة في نزعها للأرواح وسبقها إلى تدبير أمر الله مما يدخل في نطاق الحسيات المدركة، كما يبدو مستبعداً في فهمنا »[3].

---

[1]- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، 285.

[2]- المصدر نفسه، ص 285.

[3]- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، 1 / 124.

وفي تفسير كلمة « زرتم » في آية سورة التكاثر، قالت : « وليس بعجيب أن يفوت هذا السِّفر البياني مفسرين كان جهدهم أن يجمعوا كل ما يمكن أن تحتمله الدلالات المعجمية لزيارة المقابر، وشتى الملاويات في تأويلها »[1].

وقالت أيضا « من عجب أن المفسرين لكي يخلصوا رؤية الجحيم من الامتناع أو احتمال الشك الموهوم، أكدوا امتناع شرط (لو) في : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُوْنَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾[2] مع أن الله تعالى يقول : ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾[3]. فلم يلتفتوا إلى أن احتمال الشك في تحقق شرط لو، وأنهم سوف يعلمون علم اليقين، هو الباطل عين الباطل »[4].

كما قالت أيضاً : عند تفسيرها للفظ « النعيم » في آخر سورة التكاثر : « ولكن هذا المعنى المتعين، هو الوحيد الذي لم يذكره المفسرون – فيما قرأت – وهم يعدون كل ما يمكن أن يقال في تفسير « النعيم » ويذكرون فيه ذلك الحشد المختلط إلا نعيم الآخرة الذي يصر القرآن على تخصيص لفظ النعيم به، والذي يجب أن يحتكم وحده في توجيه آية التكاثر »[5].

وقالت أيضاً :

وهناك عبارات متعددة في مواضع كثيرة قالتها بنت الشاطئ في كثير من صفحات كتابها، وهي مع تفسير كل كلمة يشتجر فيها الخلاف بين المفسرين أو تتعدد أقوالهم تقرر على الدوام أن البيان العالي لا يحتمل هذه المعاني المتعددة في موضع واحد في فهم النص والوقوف على سره البياني، وتجزم أنه الوجه الوحيد لا وجه غيره.

والحق، أن المفسر القديم كان أكثر حيطة منها حين وضع في اعتباره أن التفسير قول على الله، وخشي دائماً القطع بقول لا يعلم أنه مراد الله من قوله، فلم يكن يجرؤ على الجزم بتأويل واحد –يكون ما عداه خطأ – ما لم يرد في ذلك نص صريح وإنما فهم أن النص الذي

1- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، 1 / 200.

2- التكاثر : 5.

3- التكاثر : 3 – 5.

4- بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم 1 / 210.

5- المصدر نفسه، 1 / 215.

يقبل التأويل هو طائفة من الإمكانات، وقد يرجح بعضها مستعيناً في ذلك بالسياق العام للنص، ولكنه لا يجزم بمعنى واحد يخطئ ما سواه كما فعلت الباحثة[1].

ونحن نرى أن هذا أمر له خطورته في التعامل مع النص القرآني كنص لغوي أدبي في المقام الأعلى، لأن هذا يعني غلقا لمجال الاجتهاد في النص القرآني. فالنص القرآني نص ثري عال ذو وجوه أدبية تسمح لكل متذوق بتأويل مشروع، إذا تحققت له أداة المفسر وبصيرته، وهذه الوجوه تلتقي ولا تتناقض، وكلها يخدم الحقيقة الدينية والأدبية[2].

والرأي الواضح في هذه القضية البعد عن الشطط أو التعسف، لأن كل آية من آيات هذا النص المعجز لها معناها وتأويلها الخاص الذي قد يتفق عليه المفسرون جميعاً، لأن سياق الآية لا يحتمل غيره، للإجماع أو لورود نص صريح فيه، وقد يختلفون حوله، لأم السياق يحتمل أكثر من وجه من الدلالة. وفي هذه الحالة الأخيرة ليس من حق المفسر أن يجزم بصحة كل الوجوه الممكنة في النص، أو بصحة أحدها مع نفي غيرها، ولكن من حقه أن يحاول الوصول إلى مدلول الآية بتعقب المعاني المحتملة اجتهاداً في الوصول إلى مراد الله دون قطع صريح[3].

ولكن رغم هذه المؤاخذات على عمل بنت الشاطئ في التفسير البياني للقرآن الكريم، فإن عملها في هذا المجال لمن المجهودات المعتبرة، إذ استطاعت أن تحقق الغاية التي قصدت إليها من تطبيق هذا المنهج الذي اعتقدته وآمنت به في فهم القرآن الكريم، ونجحت في ذلك نجاحاً ملحوظاً مما هيأ لكتاباتها في هذا المجال أن تكون من خير الجهود في التفسير في العصر الحديث.

1- محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص 607.

2- عفت الشرقاوي، اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث (د.ط ؛ مكتبة سعيد رأفت : القاهرة، د.ت) 320.

3- المرجع نفسه، ص 318.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

لعل هذه الدراسة قد حاولت أن تكشف اللثام عن طبيعة و مكانة هذه الشخصية النسائية العملاقة بحق ، وأن تظهر أنها كما كانت أديبة مفكرة ملأت ساحة الفكر الإسلامي بأفكارها النيرة ونتاجها الأدبي الرفيع، كانت كذلك مفسرة صاحبة منهج بياني فريد من نوعه، لها نظرات سديدة في العديد من القضايا البيانية خاصة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

ولعل الدراسة حاولت جاهدة أن تبرز جانبا من ملامح المنهج البياني في التفسير مبينة مراحل تطوره وجهود العلماء في ذلك عبر العصور، مع التركيز على جهود بنت الشاطئ في التفسير البياني للقرآن الكريم وإسهاماتها في تطبيقه بعد أن كان مجرد منهج يدرس.

خلاصة واستنتاج :

بعد دراسة المحاور السابقة وبذل الوسع من الجهد للإلمام بشتى جوانبها خلصت إلى النتائج الآتية :

1. من خلال دراستنا لتطور التفسير البياني وجدنا أن له جذوراً قديمةً تصل إلى صدر الإسلام الأول. وهو الشيء الذي لمسناه من خلال تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم لعدة آيات، حيث أنه فسّرها بيانيا. كما وجدنا أن الصاحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من العلماء قد تعرضوا عند تفسيرهم لآيات القرآن إلى الآراء البيانية.
2. إن من أبرز الفروق بين صنيع المتقدمين والمحدثين فيما يتعلق بالتفسير البياني للقرآن الكريم ، أنه إذا كانت دراسات المتقدمين للبلاغة القرآنية مجرد وسيلة لغاية أسمى وهي إعجاز القرآن البياني، والّتي كانت محصورة في حدود مجمدة تدور في النطاق التقليدي – كما وصفته بنت الشاطئ –، فإن دراسة المحدثين للبيان القرآني غاية تدرس النص القرآني « قصدُها الأول أدبي محض صِرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك..وعليه يتوقف تحقق كل فرض آخر يقصد إليه..» –كما قاله أمين الخولي –.

3. تأثرت بنت الشاطئ بأستاذها أمين الخولي في اتجاهها نحو منهجية التفسير، وطبقت المنهج الذي تلقته عن الأستاذ بضوابطه الصارمة. وهي وإن كان يبدو للناظر لأول وهلة في تفسيرها لقصار السور أنها قد سلكت منهجاً آخر غير منهج أستاذها، بعدم التزمها لفكرة التناول الموضوعي التي طال دعوته إليها، إلا أنه إذا أمعن النظر في معالجتها النصية لهذه السور سيجدها لم تبتعد كثيراً عنه ، لأن الوحدة الموضوعية ملحوظة في كل سورة على حدة إلى حد ما.

4. كما أوضحت لنا هذه الدراسة القواعد التي اتسم بها منهج بنت الشاطئ في تفسيرها، فهي تسعى دائماً أن تحتكم إلى منهجها في التناول الموضوعي باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده، للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في النص القرآني، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله، التماساً لسرّها البياني.

- كما أنها كثيراً ما تلتفت إلى استيحاء السياق للدلالة الأدبية لاستعمال اللفظ، ثم تأخذ في تعليل اختيارها وبيان ميزته التي جعلته أنسب الألفاظ لموضعه المقسوم له.

- كما أنها اعتقدت بأن القرآن هو القاعدة دائماً، فـ((تحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصاً وروحاً، ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، ونتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات وشوائب الأهواء المذهبية، وبدع التأويل)).

- كما تجلت معالجاتها لبعض القضايا البيانية في القرآن الكريم كفواتح السور، والحذف، والزيادة، والإلغاء والتناوب، والترادف وغيرها، واحتكمت في هذه المعالجات النصية إلى منهجها المختار.

وفي الأخير يمكننا القول : أن بنت الشاطئ - رغم بعض المؤاخذات على عملها في التفسير البياني - قد قدّمت وأضافت أشياءً جديدة في هذا المجال، مما جعلها صاحبة رأي سديد وبصر من حديد ، أهّلها لأن تكون من رواد التفسير البياني في العصر الحديث.

في نهاية هذا البحث الذي نشكوا فيه إلى الله تقصيرنا، حيث أننا لم نوفّه حقه من الدراسة والتدقيق في شتى جوانبه، فهو بحث واسع مترامي الأطراف يحتاج المتبحر فيه إلى نفس عميق ونظر دقيق لكي يصل إلى شاطئ المعرفة فيه، وإن كانت هذه الدراسة قاصرة على بعض المباحث والجزئيات، فهي لبنة أساس في هذا الموضوع الذي يحتاج إلى من يتم بنائه، وهو ما نرجوه كدراسة مستقبلية تقوم بها الأجيال القادمة لكي نوفيه حقه كاملا ويخرج إلى الوجود في نهاية المطاف بحلة قشيبة يزدان بها بين بقية العلوم.

والحمد لله الهادي إلى الرشاد، ومانح التوفيق والسداد، نسأله تعالى أن يتقبل منا وسائر العباد، اليسير من العمل فهو الكريم الجواد، وأن يجعله طريقاً إلى مغفرته وستره، وزلفى إلى مثوبته وعفوه، وصلى الله على نبيه، محمد ابن عبده، وعلى آله وصحبه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله وحده.

قسنطينة، في 16 مايو 2006

كتبه الفقير إلى عفو ربه :

الطالب / رحيم الأمين الإندونيسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة البقرة		
1	﴿ آلَمّ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾	1، 2	47
2	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوْا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ... لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾	6	47
3	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ... وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	7	47
4	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُوْلُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ.. ﴾	8	47
5	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوْا ... نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾	14	47
6	﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	30	81
7	﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾	71	49
8	﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾	96	49
9	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ... فِي خَرَابِهَا ﴾	114	102
10	﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾	132	87
11	﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾	143	58
12	﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	172	82
13	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾	179	49
14	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾	184	133
15	﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ... مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾	187	32
16	﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ... لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُوْنَ ﴾	266	33
	سورة آل عمران		
17	﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ ... فَأَهْلَكَتْهُ ﴾	117	80
	سورة النساء		
18	﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ... وَرُبَاعَ ﴾	3	138
19	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ... سَعِيراً ﴾	10	100

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

20	﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾	11	87
21	﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾	60	81
22	﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾	116	81
23	﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾	176	133
	سورة المائدة		
24	﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ﴾	33	102
	سورة الأنعام		
25	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... مُهْتَدُونَ ﴾	82	32
26	﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾	31	99
27	﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ﴾	40	99
28	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾	100	49
29	﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ﴾	151	87
	سورة الأعراف		
30	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾	57	80
31	﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ ... كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾	175، 176	43
	سورة الأنفال		
32	﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي ... مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾	9	139
33	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾	51	131
	سورة التوبة		
34	﴿ لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ... بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾	44	134
35	﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ ... الْقَاعِدِينَ ﴾	45، 46	134
37	﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ ... فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾	83	135
	سورة يونس		

	سورة يونس		
38	﴿ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾	22	80
39	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ... حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾	24	50
40	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ﴾	45	99
	سورة هود		
41	﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ... بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾	44	46
	سورة يوسف		
42	﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾	85	133
43	﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾	107	99
	سورة إبراهيم		
44	﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾	22	131
	سورة الحجر		
45	﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾	27	82
46	﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	99	123
	سورة النحل		
47	﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾	61	99
	سورة الإسراء		
46	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا ... فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾	16	53
49	﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى ... سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾	19	102
	سورة الكهف		
50	﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾	36	102
51	﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾	97	86
52	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾	103 ، 104	102
	سورة مريم		

53	﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾	62	45
	﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ ... أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾	97، 98	129
	سورة طه		
54	﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾	20	101
55	﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾	66	101
56	﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ ... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾	121	24
	سورة الأنبياء		
57	﴿ أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا ... أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾	30	34
	سورة النور		
58	﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ ... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	35	83
	سورة النمل		
59	﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ... الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾	72	139
	سورة القصص		
60	﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ ... وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾	23، 24	48
	سورة العنكبوت		
61	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾	8	87
	سورة الروم		
62	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾	12	99
63	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ... وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾	46	80
64	﴿ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾	55	98
	سورة سبأ		
65	﴿ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾	3	99
	سورة فاطر		
66	﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ ... كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾	9	54

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	سورة الصّافات		
67	﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾	65	42
	سورة الزمر		
68	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ... وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	23	53
69	﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	28	69
70	﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾	66	82
71	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ ... سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	67	50
	سورة غافر		
72	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾	49	44
	سورة فصّلت		
73	﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾	3	146
	سورة الدخان		
74	﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾	10	144
	سورة الأحقاف		
75	﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	24	80
	﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ... لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾	35	99
	سورة ق		
76	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾	37	49
	سورة الذّاريات		
77	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾	56	82
	سورة القمر		
78	﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾	1	99، 144
	سورة الواقعة		
79	﴿ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ ﴾	19	36
80	﴿ لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ ﴾	33	36
81	﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾	56	44

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

82	﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُوْنَ عَظِيمٌ ﴾	76	141
	سورة المجادلة		
83	﴿ وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ اللّه ﴾	10	131
	سورة الجمعة		
84	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ...لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	5	50
85	﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ... وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾	11	88
	سورة القلم		
86	﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾	2	128
87	﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴾	17، 18	141
	سورة الحآقة		
88	﴿ فَأُهْلِكُوْا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾	6	80
89	﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّوْرِ ... وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾	13، 14	143
	سورة القيامة		
90	﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ...قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾	1 – 4	149
91	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	22، 23	51
	سورة النبأ		
92	﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ ... السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ﴾	18، 19	143
	سورة النازعات		
93	﴿ فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى ﴾	20	106
94	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾	42	98
	سورة المطففين		
95	﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ ... إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾	15، 16	52
	سورة التكوير		
96	﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ... عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾	1 – 14	144
97	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾	17–18	60
98	﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾	22	131

	سورة الانشقاق		
99	﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾	25	84
	سورة الانفطار		
100	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾	1	144
	سورة الفجر		
101	﴿ وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾	1، 2	56
102	﴿ كَلاَّ بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . .. عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾	17، 18	100
103	﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾	5	141
	سورة البلد		
104	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾	4	102
105	﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾	11	103
106	﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ... وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾	12-17	103
	سورة الليل		
107	﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾	4	101
	سورة الضحى		
108	﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾	1، 2، 3	112، 148
109	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾	3	106
110	﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴾	6	99 ، 101
11	﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ... وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	9 - 11	148
	سورة الشرح		
112	﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾	4	115
113	﴿ فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً ﴾	5، 6	116
	سورة التين		
114	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	4	84
115	﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾	5	84
116	﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾	6	84
117	﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾	7	84

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

118	﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾	8	85
	سورة العلق		
119	﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾	2	109، 110
	سورة الزّلزلة		
120	﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا... يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾	1	117
	﴿ وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾	2	118
	﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾	4	119
	﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا .. يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾	4 – 1	144
121	﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾	5	120
122	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾	7	108
	سورة التكاثر		
123	﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُر ﴾	1	121
124	﴿ حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ ﴾	2	121
125	﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾	5 – 3	122، 150، 151
126	﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾	7 ،6	124
127	﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾	8	106، 124
	سورة العصر		
128	﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	3 ،2	91
	سورة الماعون		
129	﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾	1	92، 95
130	﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ... عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾	3 ،2	96
131	﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾	5 ،4	137، 146

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث الشريفة

الرقم	الحديث	الصفحة
1	لما نزل قول الله عزّ وجلّ ﴿ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴾ شقّ ذلك على المسلمين فقالوا " يا رسول الله وأيّنا لا يظلم نفسه "؟ فقال عليه الصّلاة والسّلام " ليس ذلك، وإنّما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ﴿ يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.	32
2	لما نزل قول الله عزّ وجلّ : " ﴿ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴾ شقّ ذلك على المسلمين فقالوا " يا رسول الله وأيّنا لا يظلم نفسه "؟ فقال عليه الصّلاة والسّلام " ليس ذلك، وإنّما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ﴿ يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.	32
3	تقول الأرض يوم القيامة : يا رب هذا ما استودعتني	119

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العلم	الصفحة
إبراهيم الجبالي	60
ابن أبي رباح	35
ابن أبي مليكة	52
ابن الصلاح	19، 20
ابن جبير	35
ابن جرير الطبري	9، 33، 103، 114، 115، 119، 122، 124، 134، 137
ابن حيان القرطبي	22
ابن سعد	9
ابن سيده	17، 18، 20، 91، 92
ابن قتيبة	37
ابن قرقول	21
ابن قيم الجوزية	112
ابن كثير	129
ابن كيسان	52
إبن ماجه	119
ابن هشام النحوي	78، 121
أبو الأصبع المصري	39
أبو الحسن علي بن عيسى الرماني	37، 147
أبو العباس المبرد	127
أبو بكر الأنبري	128
أبو بكر الباقلاني	38، 147

أبو جهل	97
أبو حيان الأندلسي	100، 105، 115، 119، 121، 124
أبو سفيان	97
أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي	37
أبو طالب	100
أبو العلاء المعري	10، 11، 14، 15، 17، 20، 21.
أبو عبيدة معمر بن المثنى	35
أبو مروان ابن حيان	21
آدم	24
الأسود بن عبد المطلب	96
إقبال	22
الإمام مالك	21، 22
أمين الخولي	8، 10، 13، 14، 60، 62، 65، 66، 68، 70، 72، 73، 94، 95، 108، 112، 127
برهان الدّين بن عمر البقاعي	39
البلقيني	19، 209.
الجاحظ	31، 32، 36، 37، 40، 41، 42، 44، 45
جبرائيل تكلابك	12
جلال الدين السيوطي	9، 34، 39،78، 128، 139
جمال البنا	65
جمال الدين الأفغاني	55
الحسن البصرى	103
حسن باشا	75
حسن جبر	16
حسني محمد شرف	60، 136
الحسين بن علي	1

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حوّاء	15، 24
خنساء	20
الزّركشي	9، 78
الزمخشري	38، 40، 50، 51، 52، 53، 54، 100، 103، 105، 109، 114، 115، 119، 120، 123، 124، 135
شهاب الدّين السيد محمود الألوسي	39
الشيخ إبراهيم الدّمهوجي	1، 2.
الشيخ دسوقي جوهري	8
الشيخ عبد الرّحمن	1
الشيخ علي عبد الرّحمن	1، 3
الشيخ مرسى	3
الشيخ موسى قمر	6
الطبراني	128
الطبرسي	119
طه حسين	8، 11، 14.
عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)	1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 10، 11، 12، 13، 14، 16، 17، 18، 19، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 61، 74، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152
العاص بن وائل	96، 97
عباس محمود العقّاد	23، 24، 25
عبد الجبار أبو الحسن	37
عبد القادر المغربي	60
عبد القاهر الجرجاني	38، 40، 45، 46، 47، 49، 50

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الله بن عبّاس	33، 34، ، 52، 96، 97
عبد الله بن عمر	34
عبد الله دراز	132
عزيزة الدمياطي	4
عكرمة	35
علي بن أبي طالب	13
عمر بن الخطاب	33
فاضل صالح السّامرائي	30، 75، 76، 80
فخر الدّين الرّازي	38، 100، 101، 109، 114، 121، 124، 125، 148
الفرّاء	36، 147
فهد بن عبد الرحمن الرومي	67
القاضي عياض	21
قتادة	52، 115
كراتشوفسكي	21
لبيبة أحمد	12
لطفي سعيد	8
مالك بن أنس	63
مجاهد	35
محمد أحمد خلف الله	74
محمد حسين الصغير	29، 30
محمد رشيد رضا	129
محمد عبده	55،56، 58، 60، 63، 66، 103، 112، 119، 120
محمد فؤاد عبد الباقي	35
محمد مصطفى المراغى	56، 60
محمّد رجب البيومي	30، 31

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمود شلتوت	26
مصطفى عبد الرازق	8
الملك الحسن الثاني	22
الملك فيصل	23
مي زيادة	12
نافع بن الأزرق	20، 34، 127، 128، 143
نجدة بن عويمر	34
النيسابوري	114، 148
الوليد بن المغيرة	96، 97.
وهب بن منبه	24
يحيى بن حمزة العلوي	39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس البلدان والأماكن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اسم البلد أو المكان	الصفحة
أبو ظبي	92
آذار	92
الاسكندرية	55
أشمون	62
أكرا	22
أم درمان	13، 22، 91
الإمارات	13
باريس	55
باكستان	22، 91
برلين	62
بغداد	22، 75، 91
بيروت	13، 55، 63، 92
الجزائر	13، 21، 91
الجيزة	11
حلوان	5
الخرطوم	91
دمياط	1، 2، 3، 4، 11
الرّباط	22، 61
الرّياض	13
روما	22، 62
سامراء	75

شبرا بخوم	3
شنرا	55
شوشي	62
طرابلس	22، 92
طشقند	22
طنطا	5، 6، 11
العراق	75، 76
غانا	22
فاس	22
القاهرة	6، 11، 12، 22
الكويت	22، 23، 76
لاهور	91
لبنان	92
لندن	22
ليبيا	22
مراكش	22
مصر	1، 6، 12، 13، 18، 20، 22، 25، 58، 59،
المغرب	13، 18، 21، 91، 92
المنصورة	5، 11
منوفية	3، 62
ميونخ	22
نيسان	92
نيودلهي	22، 91
الهند	91
اليمن	42

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص.

1- أبـــو الفـــلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (د.ط ؛ دار الكتب العلمية : بيروت، د.ت).

2- أبـــو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، (ط1 ؛ دار الكتب العلمية : بيروت، 1995م).

3- اتجاهـــات الـــتجديد في تفســـير القـــرآن الكريم في مصر، محمد إبراهيم شريف (ط1 ؛ دار التراث : القاهرة، 1982م).

4- اتجاهـــات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، (ط4 ؛ مكتبة الرشد : الرياض، 2002م).

5- اتجاهـــات التفســـير في مصر في العصر الحديث، عفت الشرقاوي (د.ط ؛ مكتبة سعيد رأفت : القاهرة، د.ت).

6- الإتقـــان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ط1 ؛ دار الكتب العلمية : بيروت، 1987م).

7- الإستيعاب في معرفة الأصحاب – تحقيق وتعليق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود – أبو محمد عبد الله ابن مهرام الدارمي(د.ط ؛ دار الفكر : بيروت، د.ت).

8- الإعجـــاز البـــياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (ط3 ؛ دار المعارف : القاهرة، د.ت).

9- إعجـــاز القـــرآن البياني بين النظرية والتطبيق، حفني محمد شرف (د.ط ؛ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، 1390هـــ).

10- الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي (ط7 ؛ دار العلم للملايين : بيروت، 1986م).

11- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ط2 ؛ دار الفكر : بيروت، 1983م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

12- بحـــوث في أصـــول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، (ط7 ؛ مكتبة الملك فهد الوطنية : الرياض، 1424هـــ).
13- البداية والنهاية، ابن كثير (ط6 ؛ مكتبة المعارف : بيروت، 1985م).
14- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، (ط1 ؛ دار الكتب العلمية : بيروت، 1998م).
15- الـــبرهان في علـــوم القرآن، برهان الدين الزركشي (ط3 ؛ دار الفكر: بيروت، 1980م).
16- بلاغـــة الكلمـــة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي (ط2 ؛ دار عمار : عمان، 2001م).
17- بنت الشاطئ من قريب، حسن جبر (ط1 ؛ دار الكتب الحديث، 2001م).
18- البيان والتبيين، الجاحظ (ط4 ؛ دار الفكر : بيروت، د.ت).
19- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (د.ط ؛ المكتبة السلفية : المدينة المنورة – السعودية، د.ت).
20- التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم الجوزية، (د.ط ؛ دارالفكر : بيروت، د.ت).
21- تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (د.ط ؛ دار الكتب العلمية : بيروت، د.ت).
22- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي (ط2 ؛ عمان : دار عمار، 2001م).
23- التفســـير البـــياني للقـــرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (ط6 ؛ دار المعارف : القاهرة، 1977).
24- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (د.ط ؛ دار الأندلس : بيروت، د.ت) .
25- تفســـير القرآن الكريم - جزء عمّ -، محمد عبده (د.ط ؛ دار الكتب الجزائر : الجزائر العاصمة، د.ت).
26- تفســـير القـــرآن الكـــريم بين القدامي والمحدثين، جمال البنا (د.ط ؛ دار الفكر الإسلامي : القاهرة، 2003م).
27- تفسير الكبير، فخر الدين الرازى، (ط3 ؛ دار الفكر : بيروت، 1985م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

28- تفسير المنار، محمد رشيد رضا (ط3 ؛ دار المنار : مصر، 1367هـ).
29- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي (د.ط ؛ مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، د.ت).
30- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين النووي (د.ط ؛ دار الكتب العلمية : بيروت، د.ت).
31- تهذيب التهذيب، شهاب الدين محمد أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ط1 ؛ دار الفكر : بيروت، 1984م).
32- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري (د.ط ؛ دار الفكر : بيروت، 1978م).
33- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، أحمد ياسوف (ط1 ؛ دار المكتبي : دمشق، 1994م).
34- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ط3 ؛ دار الكتاب العربي : بيروت، 1980م).
35- الحيوان، الجاحظ (ط3 ؛ دار و مكتبة الهلال : بيروت، 1995م).
36- خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، محمد رجب البيومي، (د.ط : الشركة المصرية للطباعة، 1971م).
37- الدرس النحوي في بغداد، مهدي المخزومي (د.ط ؛ دار الرائد العربي : بيروت، 1986م).
38- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ط2 ؛ دار الكتاب العربي : بيروت، 1998م) و (ط2 ؛ مكتبة الخنجي : القاهرة، 1989م).
39- سنن ابن ماجه، أبة عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت. 275 هـ) – تحقيق محمد فواد عبد الباقي – (د.ط ؛ دار الفكر : بيروت، د.ت).
40- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ط1 ؛ مؤسسة الرسالة : بيروت، 1981م).

41- شـــرح السنن النسائي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (د.ط ؛ دار الكتاب العربي : بيروت، د.ت).

42- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري (د.ط ؛ دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، د.ت).

43- الطبقات الكبرى - دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا - ، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ط1 ؛ دار الكتب العلمية : بيروت، 1990م).

44- طـــبقات المفســـرين ؛ - تحقـــيق علي محمد عمر -، شمس الدين محمد بن علي الداودي (ط1 ؛ مكتبة وهبة : القاهرة، 1972م).

45- طـــبقات المفسرين، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (د.ط ؛ دار الكتب العلمية : بيروت، د.ت).

46- ظاهـــرتا التضـــمين والتـــناوب في حروف الجر بين البصريين والكوفيين، ذهبية بورويس (مجلة الأمير عبد القدير - قسنطينة -، العدد 12، سبتمبر 2002).

47- علـــى الجسر بين الحياة والموت، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (د.ط ؛ مكتبة الأسرة، القاهرة : 2003م).

48- غـــرائب القـــرآن، النيســـابوري (بهامش تفسير الطبري - دار الفكر : بيروت، 1978م).

49- فـــتح الـــباري ؛ شـــرح صحيح البخاري، أحمد ابن علي ابن حجر العسقلاني، (ط3 ؛ مكتبة دار السلام : الرياض، مكتبة دار الفيحاء : دمشق، 2000 م).

50- القرآن والتفسير العصري، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (ط3 ؛ دار المعارف : القاهرة، د.ت).

51- القـــرآن وقضـــايا الإنسان، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (د.ط ؛ دار العلم للملايين : بيروت : 1393هـــ).

52- كتابنا الأكبر- محاضرة عامة -، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (طبع القاهرة، 1972م).

53- الكشـــاف، جـــار الله الزمخشـــري (ط1 ؛ مطـــبعة مصـــطفى محمد : مصر، 1354 هـــ).

54- لسان العرب، ابن منظور (د.ط ؛ دار المعارف : بيروت، د.ت).

55- لســـان الميـــزان، ابـــن حجر العسقلاني (ط1 ؛ دار الكتب العلمية : بيروت، 1996).

56- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصّبّاغ (ط3 ؛ المكتب الإسلامي : بيروت، 1990م).

57- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم – دراسة مقارنة –، محمد حسين علي الصغير (ط1 ؛ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : بيروت، 1983م).

58- مجـــاز القرآن لأبي عبيدة ؛ تعليق محمد فؤاد سزكين (ط1 ؛ منشورات الخانجي : مصر، 1954م).

59- مجلة الأزهر، رجب سنة 1360، المجلد الثاني عشر.

60- مجمع البيان، الطبرسي (ط1 ؛ دار المعرفة : بيروت، 1986م).

61- مجمـــع مقاييـــس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت. 390 هـــ) – تحقيق عبد السلام محمد هارون (د.ط ؛ دار الفكر : بيروت، د.ت).

62- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم (ط 2 ؛ دار القلم : الكويت، 1970م).

63- المزهـــر في علـــوم اللغـــة وأنـــواعها – شرح وتعليق : محمد أبو الفضل إبراهيم ورفيقيه – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (د.ط ؛ المكتبة العصرية : بيروت، 1987 م).

64- معـــالم المـــنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، محمد بركات حمدي أبو علي (ط4 ؛ دار الفكر : عمان – المملكة الأردنية، 1984م).

65- معاني القرآن – تحقيق : د. عبد الفتاح أبراهيم شلبي–، الفراء (تراث قي مكتبة أمير عبد القدير).

66- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي (د.ط ؛ دار الفكر : عمان، 1998م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

67- معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ط1 ؛ دار الكتب العلمية : بيروت، 1991م).

68- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط (د.ط ؛ دار التراث العربي : بيروت، د.ت).

69- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصري (د.ط ؛ المكتبة العصرية : بيروت، 1991م).

70- من أسرار العربية في البيان القرآني، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (د.ط ؛ دار الأحد، البحيري إخوان : بيروت، د.ت).

71- مناهج التجديد، أمين الخولي (د.ط ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م).

72- الموسوعة العربية العالمية (ط2 ؛ مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع : الرياض – السعودية، 1999م).

73- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز (ط 2 ؛ دار القلم : الكويت، 1970م).

74- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – تحقيق الدكتور إحسان عباس –، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (د.ط ؛ دار الصادر : بيروت، 1977م).

مواقع إنترنيت :

75- http://www.nahdha.net
76- http://www.syirianstory.com
77- http://www.islam-online.net
78- http://www.ikhwanonline.com
79- http://www.islamiyyat.com
80- http://www.balagh.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
أسباب اختيار الموضوع	ب
أهميّة الموضوع	ج
إشكالية الموضوع	ج
أهداف البحث	د
المنهج المتّبع في الدراسة	د
الدّراسات السابقة	ه
صعوبات البحث	و
خطة البحث	و
الفصل الأول : شخصية بنت الشاطئ	1
المبحث الأول: حياتها.	1
المطلب الأول : إسمها، مولدها، ونسبها	1
إسمها	1
مولدها	1
نسبها	1
المطلب الثاني : نشأتها	2
المطلب الثالث : مسارها التعليمي	2
المطلب الرابع : تعليمها الجامعي	6

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقاء أمين الخولي وأساتذة الجيل	8
إنجازات أكاديمية	10
المطلب الخامس : حياتها العملية	11
المطلب السادس : وفاتها	13
المبحث الثاني : إنتاجها العلمي والعملي	14
المطلب الأول : إنتاجها العلمي	14
المطلب الثاني : مؤلّفاتها	20
المطلب الثالث : الملتقيات والنّدوات التي حضرتها	21
المطلب الرابع : جوائزها	22
المبحث الثالث : معاركها الفكرية ؛ قضايا وأراء.	23
علاقتها بالأزهر	25
أوّل امرأة تحاضر في الأزهر	25
المسهامة في تطوير الأزهر وموقفها منه	26
الفصل الثاني : دراسة حول المنهج البياني في التفسير	29
المبحث الأول : مفهوم المنهج البياني، نشأته ومراحله ، جهود العلماء المتقدّمين فيه	29
المطلب الأول : مفهوم المنهج البياني	29
المطلب الثاني : نشأته و مراحله	30
المطلب الثالث : من جهود الأقدمين في التفسير البياني	40
جهود الجاحظ	40
جهود عبد القاهر الجرجاني	45
جهود الزمخشري في التفسير البياني	50
المبحث الثاني : تطور المنهج البياني في التفسير في العصر الحديث وجهود العلماء فيه.	55

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول : الإمام محمد عبده ودوره في تطوير المنهج البياني في التفسير في العصر الحديث.	55
التعريف بالإمام محمد عبده	55
قواعد التفسير عند الإمام محم عبده	56
جهود الإمام محمد عبده في التفسير البياني	58
المطلب الثاني : أمين الخولي ودوره في تأصيل المنهج البياني في التفسير في العصر الحديث.	60
التعريف بالأستاذ أمين الخولي	62
نظرته في التفسير وغرضه فيه	63
مراحل التفسير البياني عند أستاذ الخولي	66
المطلب الثالث : الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي ودوره في الدراسات البيانية للتفسير.	75
نبذة عن حياة الدكتور فاضل السامرائي	75
جهوده في الدراسات البيانية للقرآن الكريم	76
الفصل الثالث : جهود بنت الشاطئ في التفسير البياني	91
المبحث الأول : جهودها في كتاب " التفسير البياني للقرآن الكريم "	92
المطلب الأول : التعريف بالكتاب	92
تاريخه	92
دوافع التأليف	93
أهداف التأليف	94
موضوعاته	95
المطلب الثاني : منهجها في التفسير	95
المطلب الثالث : القواعد التي اعتمدت عليها بنت الشاطئ في التفسير البياني	96
المطلب الرابع : من آراء بنت الشاطئ البيانية في تفسيرها	112

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني : جهودها في كتاب "الإعجاز البياني للقرآن الكريم ".	126
المطلب الأول : التعريف بالكتاب	126
تاريخه وعلاقته بالتفسير البياني للقرآن الكريم	126
دوافع التأليف	126
أهداف التأليف	127
موضوعاته	127
المطلب الثاني : منهجها في الكتاب	128
المطلب الثالث : ظواهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم ورأي بنت الشاطئ فيها	128
فواتح السور	129
الزيادة	131
الحذف	133
الإلغاء	134
التناوب أو التعاقب	136
الترادف	139
الاستغناء عن الفاعل	143
البدء بواو القسم	145
السجع ورعاية الفواصل	146
لا أقسم	149
المبحث الثالث : من المؤاخذات على جهود بنت الشاطئ في التفسير البياني	150
الخاتمة	154
الفهارس	157
فهرس الآيات القرآنية	158
فهرس الأحاديث	166

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام	167
فهرس البلدان والأماكن	172
فهرس المصادر والمراجع	174
فهرس الموضوعات	180

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية